الحـــــكم المصـــرى فـــي سوريـــه

(١٨٤٠ - ١٨٣١)

اعـــداد

عدنـــان فريـــد حسيـــن جـــراد

باشـــراف

الاستاذ الدكتور عبد الكريـــم محمود غرايبه

قدمت استكمالا لمتطلبات درجة الماجستيـــر
في التاريخ لكلية الاداب فـــي
الجامعة الاردنيه

١٩٧٩

الاهـــــــــــداء

الى عصافير العش التي لم يكتمـــــــــــل

نمو اجنحتها بعـــد .

اليهم ثمرة هذا الجهد المتواضـــــــــع

عدنـــــان

خطه البحث

- الاهداء
- مقدامه الرساله
- تحليل المصادر

الفصل الاول : - مقدمات الاحتلال المصرى
- سوريه قبل الفتح المصرى .
- علاقات محمد على بسوريه قبل الاحتلال .
- اسباب الحمله المصريه على سوريا

الفصل الثاني :- حكومة محمد على في سورية
- الحملة العسكرية على سورية -(القوات العسكرية المصرية) .
- التقسيم الادارى-الادارة المصرية في سوريه
- القضاء في سورية .
- المالية في سورية .
- الحياة الاجتماعية .
- الحياة الاقتصادية .

الفصل الثالث :- اسباب التذمر في سورية والاحداث التي ساعدت على قيام الثورات
- الادارة ومعامله الرعايا -الاستنطاقات
سفك الدماء - انشاء الخمارات
- الميرى والضرائب الاستثنائية ، الفردة
الميرى ، السخرة ، البلص .
- الاحتكار والمصادره والتسعير .
- التجنيد ونزع السلاح .
١ - في سائر سورية ما عد لبنان ١٨٣٤ .
٢- في لبنان (١٨٣٥-١٨٣٧).

الفهـــــرس

" بسم الله الرحمن الرحيم"

مقدمة الرساله :

ان البحث التاريخي مشوق وممتع ، خاصه اذا ما اختار الباحث موضوع دراسته عن قناعه تامه ، رغم ادراكه لصعوبه الدرب والوصول الى مايريد أن يصل اليه في بحثه.

وكان سبب اختياري موضوع البحث هذا : (الحكم المصرى في سوريه) . هو القاء بعض الاضواء على تاريخ سوريه في هذه المفتره ، القصيره بل والقصيره جدا (١٨٣١-١٨٤٠) من تاريخ سوريه الطويل لان تاريخ سوريه ـ اداريا ـ لم يلاق الدراسه ، والاهتمام بشكل جيد للان ،(للاسف الشديد) ، من قبل الباحثين والدارسين ،الذين يحاولون دائما ان يبينوا لنا بان تاريخ سوريه ،وكأن كل فتراته هو تاريخ ، حروب ، ودمار ، وويلات ، ونكبات و مظالم . فهل هو فعلا هذا تاريخ سوريه.

اشتملت الرساله على خمسه فصول ، كان الفصل الاول تحت عنوان : مقدمات الاحتلال المصرى ، تحدثت فيه عن سوريه قبل الفتح المصرى ، وعن اديانها ، وطوائفها ، وسكانها ، وظروفها الداخليه . كما تعرضت في هذا الفصل عن علاقات محمد علي بسوريه قبل الاحتلال ، ومحاولات محمد علي بسوريه من أجل توطيد علاقاته معهم .

وايضا تناول هذا الفصل أسباب الحمله المصريه على سوريه ، مبينا الاسباب التي دفعت محمد على للتفكير بالاستيلاء على سوريه سواء اكانت اسبابا مباشره او غير مباشره .

وشرح الفصل الثاني ،حكومة محمد علي في سوريه ، اذ تناول الحديث عن الحمله العسكريه على سوريه (القوات العسكريه المصريه) ، وأيضا التقسيم الادارى (الاداره المصريه في سوريه) ، كما تحدثت عن القضاء في سوريه وكذلك الماليه في سوريه ، مبينا انواع الضرائب التي كانت موجوده قبل مجيء المصريين وما كان موجودا ابان حكمهم ، كما تناول هذا الفصل الحديث عن الحياة الاجتماعيه والحياة الاقتصاديه .

واشتمل الفصل الثالث على اسباب التذمر في سوريه ، والاحداث التي ساعدت على قيام الثورات ، واشار الفصل ايضا ، الى الاداره ومعاملة الرعايا ، و الاستنطاقات ، وسفك الدماء ، وانشاء الخمارات ، كما اوضح الميرى ، و الضرائب الاستثنائيه ، الفرده ، الميرى ، والسخره ، والبلص ، والاحتكار ، والمصادره والتسدير والتجنيد ، ونزع السلاح ، في سوريه ولبنان (١٨٣٤ — ١٨٣٧) .

اما الفصل الرابع فقد تناول الثورات على حكومة محمد علي (١٨٣٤) . منها ثورة فلسطين ، التي قد امتدت من شهر نيسان الى شهر ايلول ١٨٣٤ ، والاضطرابات ، التي قامت في شهر ايار ، وكذلك في طرابلس من حزيران وتموز من نفس السنه ، وما قام من اضطرابات في عكاظ وصافينا والحصن (آب ، ايلول ١٨٣٤) ، وتحدث الفصل عن ثورة النصيريه والتي امتدت من شهر تشرين أول - اخر كانون اول .

كما كان هناك ثورات صغرى في كل من حلب ، وانطاكيا ، وسائر سوريه الشماليه . واخر هذه الثورات وأهمها ثورة دروز حوران من تشرين ثاني - آب ١٨٣٨ .

اما الفصل الخامس فتناول الحديث فيه عن الفترة بين معركة كوتاهية ومعركة نصيبين (١٨٣٣ — ١٨٣٨) ، وشمل الفصل ايضا معركة نصيبين والحالة السياسيه ١٨٣٩ . وثورة اللبنانيين سنه ١٨٤٠ ، وعن تدخل الدول الاوروبية في سوريه واثر هذا التدخل على جيش ابراهيم باشا . ثم انسحاب جيوش ابراهيم باشا من سوريه ، وما كان من اثر لحكومه محمد علي في سوريه فيما بعد .

وفي ختام هذه المقدمه لا يسعني الا ان اتقدم بالشكر والعرفان الى استاذى الفاضل الدكتور عبد الكريم غرايبه المشرف على هذه الرساله .

فقد اخذت من وقته الشيء الكثير ، وأفادني بملاحظاته القيمه ، وانني اذ اتقدم له بالشكر العميق ، لأرجو ان اكون عند حسن ظنه في دراسة فترة من التاريخ العثماني المجيد . كما انني اشكر الدكتور عدنان البخيت الذى كثيرا ما اجاب على اسئلتي واستفساراتي في دراستي . ولا يفوتني ان اشكر الاخ صالح القدومي ، وأمين جبر في قسم المراجع في المكتبه اللذان طالما امداني بكل مساعدة احتجتها منهم ، ولكل من ساعدني اقول : جزاهم الله كل خير .

والله ولي التوفيق ،،،،

عدنان فريد حسين جراد

- د -

تحليـــــــل المصــــــادر

جاء في مقدمة هذه المصادر المخطوطات ، التي تعتبر من أهم المراجـع التي يعتمد عليها البحث التاريخي الذى يتناول الفترات التاريخيه المختلفه .

ولقد كانت تلك المخطوطات ، اول المراجع التي اعتمد عليها الباحـث في دراسته هذه . الا انها على مايبدو لم تتناول سوى النواحي العسكريـة من حروب ، ودمار ، وفتن ، اللهم باستثناء مخطوطه واحده لمشاقه : مشهد العيان ، التي تناولت بعض النواحي الاداريه ، لما كان يتمتع به صاحبها من علاقات خاصـة مع بعض الاداريين المصريين في سوريه ، الامر الذى مكنه من ان يدون بعض المعلومات من قرب وربما بصدق .

وثاني المصادر اهميه المصادر العربيه ، التي تناول القسم الاول منهـا الحديث عن معظم الجوانب التي تناولتـها الدراسه ، ومن هذه المصادر كتـاب (الاصول العربيه لتاريخ سوريه في عصر محمد علي) ، وكتاب (بشير بين السلطان والعزيز) ، وكتاب (ذكرى البطل الفاتـح ـ ادارة الشام) ، لاسد رستم . افادتني هذه افاده كبيره في جميع فصول البحث . هذا بالاضافه الى كتابي رستم (اسباب الحملة المصريه على سوريه) ، و (الثورات في فلسطين سنه ١٨٣٤) ، باللغـة الانجليزيه ، ساعدتني في سد كثير من النقص في المعلومات ، والتي اشتملـت على معلومات متكامله عن الحكم المصرى في بلاد الشام .

في حين تناول القسم الاخر من تلك المصادر جانبا ، او اكثر من جوانـب الحكم المصرى ، في بلاد الشام . ومن هذه المصادر (الشهابي ، لبنان فـي عهد الامراء الشهابيين) ، (غرايبه ، سوريه في القرن التاسع عشر) .

ولقد كان للدوريات والمقالات المختلفه المنشوره ، في مجالات " المشرق " و " المقتطف " و " الكليه " أثر في استكمال المعلومات الضروريه لموضوع البحث .

كما كان لبعض التصاوير التي كانت تصلني من صديق لي في جامعـة الاسكندريه ، عن بعض الوثائق (المحفوظات الملكيه المصريه بيان بوثائق الشـام) بعض العون والافادة .

الفصـــــــل الأول

مقدمـــــــات الاحتــــلال المصـــــرى

١- سوريه قبل الفتــــــح المصـــرى
٢- علاقات محمد على بسوريه قبل الاحتــــلال
٣- اسباب الحملـــــة المصريــة على سوريه

الفصـــــــل الاول

١- سوريـــــــه قبـــل الفتـــح المصري

سوريه اسم أطلق اواخر هذا العهد ، على مجموعه ولا يات لم يشتهر بين أهلهـــا هذا الاسم(١) . ولا يرد هذا الاسم في الكتب العربيه الا مـرات معدوده في الطبـرى وياقوت(٢) .

ويشوب أصل هذه الكلمه ومعناها كثير من الغموض(٣) ، كذلك ليس هناك اجماع على تحديد جغرافي للبلاد التي أطلق عليها هذا الاسم(٤) . ولكنها استعملـــت كمرادف لبلاد بر الشام(٥) . وأطلقت في الغالب على البلاد التي تحدها جبـــال طوروس شمالا ، وسيناء وخليج العقبه جنوبا ، والبحر الابيض المتوسط غربا ، وباديـــة الشام شرقا (٦) .

والتنوع والتباين هو اكثر ما تتصف به سوريه في حاضرها ، وماضيها ، وطبيعتهـــا ، وسكانها وطوائفها . ولقد وصف لنا صاحب حسر اللثام التنوع الطائفي حين قال : " ويمتاز اهل الشام عن بقيه أهل الارض بكثره اديانهم فليس في المسكونه بلاد صغيره مثل هذه تضم العدد العديد من (الاديان والطوائف . وفيها أديان خاصـــه بها لا وجود لها في سواها من البلدان ، ولعل من اكبر اسباب انحطا طهـــا

---

(١) غرايبه ، سوريه ١٧٢ .

(٢) حتي ، سوريه ، ٦٢ - ٦٣ ، ماده سوريه في ياقوت.

(٣) قساطلي ، حسر اللثام ، ٤ .

(٤) كان يسميها الافرنج وغيرهم من الاجانب سوريا ، وهي بر الشام بالنسبـــة للعرب ،
بينما تمسك سكان أقاليمها باسماء محليه بعضها جغرافي ، والبعض الاخر طائفـــي ، واطلقت على السكان القدماء في سوريه اسم الاموريين كما عرف بعضهم بالكنعانييـــن ، او الفنيقيين حتى تاريخ سوريه ، ٥ ، ٨٥-٨٧ .

(٥) لا حاجه لتوضيح ذلك هنا لأنه ليس مجال البحث ، انظر في سوريه حتى ٣١-٥١ .

(٦) قساطلي حسر اللثام ٦ - ٩ .

وشبوب الحروب الأهليه فيها . ولسبب الاول كثرة الامم التي تغلبت عليها في الازمنه السالفه . وليس في الارض كلها من طائفه الروم الكاثوليك ، والموارنه ، الا في بلاد الشام ، والبلدان التي يتردد عليها أهل الشام ومن غريب أمر الطوائف ان بينها أربعه هي : طوائف الدروز ، والاسماعيليه ، والسمره والنصيريه ، التي لا وجود لها في غير بلاد الشام(١) .

وكان لا بدّ وان يؤثر هذا التنوع والتباين على التطور التاريخي لسوريه ، فبسبب ذلك لم تشكل سوريه قط وحده اداريه او سياسيه (٢) ، بل تميزت بوجود اتجاهات اقليميه ، وميول استقلاليه انفصاليه نشطه في اجزائها المختلفه . وغدا تاريخها جزءاً من تاريخ جاراتها مضافا اليه خصومات محليه (٣) .

خضعت سوريه كلها للحكم العثماني ، الذي لم يعتبرها منطقه واحده ، أو وحده اداريه واحده . ودخلت سوريه ضمن حدود أربع ولايات عثمانيه ، ثلاث منها كانت كل أرضها سوريه (دمشق - طرابلس - صيدا) . أما حلب فقد امتدت شمالا لتشمل اراضي لا تعتبر الان سوريه . ولم تختلف الاداره العثمانيه في أي من هذه الولايات الأربعة عن الادارة في اي ولايه عثمانيه اخرى . كان في كل ولايه من هذه الولايات والٍ أو دفتردار ، واغا القوات المسلحه ، وقاض . كما انقسمت الولايات الى سناجق على رأس كل منها حاكم أو سنجق .

تم تعيين الوالي بأمر سلطاني لسنه واحده (٤) ، ولم تطبق قواعد ثابته في تعيين الولاه ونقلهم ، ومده حكمهم ، فقد يعين أحدهم واليا على ولايه صغيره ، ثم ينقل الى أخرى كبيرة وليعود بعدها الى ولايه أصغر . وقد يحكم الوالي احدى الولايات ثلاث او أربع مرات او اكثر في فترات متواليه او متقطعه او يعزل قبل ان يتم عامه او شهره الاول (٥) .

---

(١) قساطلي حسر اللثام : ٥-٦ .
(٢) غرايبه ، سوربه : ١٧ .
(٣) حتي سوريه : ٦٤ -٦٥ ، غرايبه سوربه ١٧ .
(٤) رستم بشير ١ : ٤ ، احمد عزت التقسيم الادارى : ١٣٠ .
(٥) غرايبه ، سوربه : ٤٣ .

واعتبر الوالي رئيسا للسلطه في الولايه مسؤولا عن ضمان استقرارها وولاءهـا للسلطان ، وتأمين العدل والأمن للمواطنين ، ومارس الوالي صلاحيات اداريه وعسكريهّ وقضائيهّ وبلديهّ ، وأشرف بصوره مطلقهّ على الشؤون الاداريه والاقطاعيه وكثيرا ما تضاربت صلاحياته مع القضاء. فأمر بفرض عقوبات فوريه تصل الى الاعدام بدون محاكمه من " غير اثبات ولا دعوى " . وتدخل في تحديد الأسعار وتأمين المواد الغذائيه ، ومراقبة النقد . ولم ير الوالي ان من واجبه القيام باصلاحات اقتصاديه أو اجتماعيه بل كان هدفه الاول المحافظه على الامر الواقع ، ومحاربة البدع ، ومحدثات الامور ، والعوده الى سيره السلف الصالح وتطبيق قوانين السلطان واقامة مساجدا اوتكايا او خانات(١) .

والتحق بالوالي عدد من الموظفين ارتبطوا به وقرنوا مصيرهم بمصيره ، ومن هؤلاء الموظفين ، مدير مكتبه الخاص ، وكاتب الرسائل ، وحامل الاختام وامين الصندوق ، وحامل السلاح وغيرهم(٢) .

وارتبط به ايضا موظفوا الإقطاع العسكري في الولايه ، كأمراء الالويه ، وأمراء الالاي والسوباشيه . وكان أمين اللواء والسنجق ، حاكما اداريا وقت السلم وقائدا لجند سنجقه في الحرب(٣) .

وساعد الوالي على ادارة شؤون ولايته عدد من الموظفين الذين ارتبطوا بالعاصمه مباشره ، أمثال القاضي ومدير الخزانه " الاقتردار " ، وقائد القوات العسكريه " اغيا الانكشاريه " ، فضمن الباب العالي بذلك وجود توازن في الولايه فحد من نفوذ الوالي و منعه من التفكير بالتمرد .

وكان مدير الخزانهّ " القتردار " صاحب نفوذ قوى ، وعضوا بارزا في ديوان الولايه وعاملا هاما في خفط توازن القوى ، كما اعتبر مسؤولا امام الباب العالي عن اموال الولايه . بحيث لم يسمح للوالي او اي موظف آخر بمغادره البلد عند نقله او عزله ، الا بعد ان

---

(١) الحلاق : ٤٠ ، ٦٤ ، ١٣٨ ، ١٤٧ .
(٢) المرادي ٤ : ١٥ ، الحلاق : ١٥٧ ، ١٨٠ ، ١٩٦ .
(٣) غرايبه ، سوريه : ٤٤ - ٤٥ .

يؤدي حسابا دقيقا يثبت فيه براءة ذمته. ثم بعد يقسم الدفتردار في الديوان على ذلك بحضور القاضي . واذا توفي الوالي بادر الدفتردار الى وضع الحراسه على امواله واحيانا الى اعتقال كبار أعوانه ، وتعذيبهم للاقرار عن مخابيء أموال مولاهم ، وقد لا ينجو حريم الوالي من التعذيب ، وتحرر بعد انتهاء التصفيه حجه شرعيه ترفع الى الباب العالي بعد ان يصدقها ، وفرض على الدفتردار ان يساعد الوالي على ارسال الميري السنوي الى العاصمه (١) .

ولعبت القوات العسكريه دورا هاما في حياه الولايات السوريه ، ووجد في كل ولايه ثلاثه انواع من القوى العسكريه : اقطاعيه (٢) ، وانكشاريه امبراطوريه " قابوقول " وانكشاريه محليه " يرلي " وكان جند الإنكشارية الإمبراطوري " القابوقول " يكونون من وجاق الانكشارية المركزي ، الذي عهد اليه بحراسه قلاع السلطان في بر الشام . واسندت قيادته الى أغا ارتبط مباشرة بأغا الانكشاريه في العاصمه ، وكان مستقلا عن الوالي ، وجند افراد هذه القوه عن طريق مصادرة اولاد النصارى (٣) . وتألف الجيش النظامي الانكشاري من عدد يتراوح ما بين ١٦٥ الى ١٦٦ أورطه عامله و ٩٥ أورطه احتياط . وتألفت كل أورطة من مائة جندي برئاسة قائد من غير أفرادها يدعى الشوربجي يساعده كاتب (يازجي) وامام وحامل علم (بيرقدار) ووكيل خرج (محاسب) وسقاء وطباخ . وقسمت قوة الانكشاريه الى ثلاث مجموعات رئيسيه هي الجماعات (١٠١) اورطه والبلك (٦١ أورطه) والسجمان (٣٤ أورطه) . وانتمت قوى الانكشاريه في بر الشام الى الجماعات التي كانت مسؤوله عن حراسه القلاع السلطانيه وتمركزت قوتها بوقول دمشق في القلعه وسوق ساروجه ، واستقلت عن الوالي وتحدت اوامره وغدت مصدر ازعاج وفساد (٤) .

ووجد في كل ولايه جند محلي (يرلي) متنوع وكانوا من الاشراف والاكراد والدلاتيه والمغاربه وغيرهم سكنوا في دمشق في احياء الدرويشيه والميدان وحي الاكراد . وجمع بعض الولاه جنودا من الفلاحين والعربان وسكان المدن ، وكان شأن هذه القوى مثل غيرها ولا تصدّ معتد ، ولا تخمد ثوره بل كانت مصدر ازعاج للدوله والسلطان (٥) .

---

(١) لا يهمنا الحديث عنها لأن الدوله في أول عهدها اعتمدت على الجند الاقطاعي الذي التف حول قاده منحت معاش او روقه (درلك) بشكل اورطه يعيشون من ايرادها مقابل تلبيتهم نداء الواجب الحرب مع عدد مناسب من الجند على نفقتهم الخاصه .

(٢) غرايبه ، سوريه ، ٥٠ .

(٣) 1Gibb: ٢٠٨-٢١٠ .

(٤) 1Gibb: ٢١٨-٢١٩ ، الحلاق ٩٧ ، ١٧٦ .

والى جانب هذا الجهاز الحاكم ان هناك جهاز اسلامي اخر ترأسه القاضي في كل ولايه . من المعلوم ان الامبراطوريه العثمانيه قسمت الى منطقتين قضائيتين يرأسهما قاضي عسكر الروملي وقاضي عسكر الاناضول اللذان ارتبطا بشيخ الاسلام الرئيس الاعلى للجهاز الاسلامي . وارتبط بر الشام قضائيا بقاضي عسكر الاناضول بينما عين في دمشق ، وحلب ، والقدس ، قضاه كبار ارتبطوا مباشره بشيخ الاسلام .

وبلغ عدد القضاء الكبار الذين لقبوا باطنلا سبعا وعشرين قاضيا ، شغل قضاه دمشق وحلب ، والقدس ، المراكز ٨ ، ١٣ ، ١٤ ، وعين شيخ القضاه الكبار بموجب توجيه فرماني كما أصدر قرارات (اذن نامه) بتعيين رجال الافتاء . بينما عين قاضي العسكر القضاه الصغار في منطقته بموجب مذكره (منصب كاغدى) وارتبط القاضي برئيسه الذي عنه .

وارتبط بكل قاضي عدد من النواب في اقسام المدينه المختلفه . وفوض هؤلاء باصدار احكام باسم القاضي وتمتع القاضي نظريا بنوع من الحصانه ضد العزل والنقل وتنزيل الرتبه (١) . ولكن هذه القاعده لم تراع بدقه اذ لم يبق قاض في مركزه اكثر من عام واحد الا في احوال قليله . كذلك نقل قاض عسكر الروملي وهو اكبر القضاه الى منصب في القدس ، التي يشغل قاضيها المرتبه الرابعة عشر . ونقل قاضي مكه (المرتبه الرابعه) قاضيا في دمشق (المرتبه الثامنه) كما نقل قاضي القدس (المرتبه الرابعة عشر) قاضيا لمدينه طرابلس وهي مركز ثانوي .

ومع ذلك بقيت أمنية كل طامح في هذه المناصب ان يصبح قاضيا في احدى المدن الاربع : ادنه ، وبورسه ودمشق ، والقاهره ، المراتب من (٦-٩) (٢)

وأحدثت احيانا مناصب قضائيه مؤقته للقيام بمهمات خاصه كقضاه محمل الحج ، وقضاة الجيوش التي لا يقودها السلطان بنفسه ، وكثيرا ما عهد بهذه المناصب الى قضاة يشغلون مناصب قضائيه ثانيه كأن يعهد الى قاضي دمشق باعمال قاضي الحج الشامي (٣) .

---

(١) 2Gibb : ١٨٨-١٩١ ، ١٩٨ ، ١١٥-١٢٤ غرايبه سوريه ٥٢ .

(٢) 2Gibb : ١٢٤ الحلاق ١٦٣ ، الطباخ ٦ : ٤٤٦ الغزي : ٢٢ المرادي ١ : ٣٢-٣٣ ، ١٧٥-١٨١ .

(٣) 2Gibb : ٩٠ ، ٩٢ .

وأشرف القاضي على سير العداله في منطقته القضائيه ، بحيث غـدا رقيبا على الوالي ، والدفتردار ، والجند ، والاوقاف والجمارك ، والحسبه ، وتسجيل العقود ، وتصديق الوثائق ،ومكنته صلاحياته هذه من انصاف الناس من الولاه الظالمين ، و استطاع احيانا نقل او عزل امثال هؤلاء الحكام .

وراقب القاضي الاسعار وكافح احتكار المواد الغذائيه ، واشرف على الاخلاق العامه وكافح الرذيله والاشاعات الكاذبه ، ومنع اقلاق الراحه العامة . وتمتع القاضي بنفوذ كبير في تعيين اساتذة المدارس وموظفي الاوقاف ، ورجال الافتاء وساعده في عمله نوابه في المدن وقضاة المذاهب الاخرى وعدد من الكتاب والتراجمة ولم يتقاضى القاضي ومساعدوه اى رواتب ثابته ولا منحوا اقطاعات ولكن فرضوا لانفسهم رسوما معينه على القضايا التى نظروا فيها والوثائق التي صدقوها (١) .

وكانت المحاكم آنذاك تعتبر كلها محاكم أوليه مهما كبر مركز قاضيها ، وكان القاضي ينظر في القضايا كقاضي منفرد يستمع الى الشهود ، ويناقشهم دون تدخل المحامين . والتزم المدعي بتقديم البيانات والشهود وكان عليه ان دفاعه على الطعن بالشهود او بصحة الوثائق والبيانات والافاده بقسم اليمين . ولم يسمح للمحامين بالتدخل للدفاع عن أحد . واتصفت الاحكام بالسرعه ، وعدم التأجيل ، وقلة التكاليف وتمتع القضاه بسمعه طيبة كقضاة عادلين نزيهين وكان القضاة يعاقبون بالضرب او النفي فقط (٢) .

ولم تطبق القوانين على وحدات جغرافية او سياسيه بل على الملل والطوائف . فكان الشخص اذا انتقل من مكان الى اخر حمل قانونه في جيبه وأباحت الشريعة الاسلامية لكل ملة من الملل ان تسكن دار الاسلام ، والتي اعترف لها بكيان خاص كله ان تطبق الاحوال الشخصيه قوانينها الخاصه دون ان يفيد ذلك امتيازا او اخلالا بسيادة الدوله . ولما كان مذهب الدوله والقضاه هو المذهب الحنفي فقد سمحت الدوله لرعاياها الشافعيين ، والحنابله ، والزيديين ، والدروز ، (والى هذه المذاهب ينتمي اكثر العرب) .

---

(١) Gibb1 : ٢٠١ ، الحلاق ٤١ ، ٥٧ ، الغزي٣ : ٢٥٥ ، المرادي١ ، ٣٢ ، ٢٤٢ ، ٣ ، ٨٣ ، ٤ ، ٧٠ .

(٢) Gibb2 : ٩١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ - ١٣٢ .

باختيار قضاة يحكمون بموجب هذه المذاهب كما سمحو للملل والمستأمنين (للجاليات الاوروبية) بتشكيل محاكم خاصة بهم تتولى سلطات الدولة تنفيـــذ احكامها . كذلك منحت بعض الفئات حق تشكيل محاكم خاصة فكان للجيش والاشراف والنقابات محاكمها الخاصة .(١)

واستعان القاضي في كثير من احكامه بالمفتي الذى كانت مهمته اعطـاء الرأي في القضايا وتقدير مدى مطابقتها لاحكام الشريعة . وكان المفتي دون القاضي في الرتبة . وارفع منزلة من نائبه ولـم تحدد فترة ولايته . وكثيرا ما كان المنصـب محصورا في عائلة او عائلات معينة كالعجلاني ، والمرادى والعمادى في دمشق والكواكبي والكيالي في حلب . وحدث ان نقل مفتي حلب ومفتي دمشق على القدس ، ونقـــل احد القضاه مفتيا ولم يرى اصحاب التراجم في ذلك انتقاصا او ترقية ، ووجـــد الى جانب المفتي الحنفي في دمشق ، مفتي حنبلي من عائلة الشطي ، او السيوطي وأخر شافعي من عائلة الغزى .(٢)

١- Cibb[٢] : ٢٦١،٣٢ المرادي[١] ١٩،٢٢[٣] ، ٢٨٠ ، المشرق[١] ٣١ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٢٦٢ ، ٣٥٧

٢- Cibb[١] : ١٣٣-١٣٤ [٢] ١٣٥-١٣٦ ، ٢١٦ ، الحلاق ١٧ ، ٤٢ ، ٧ ، ٨ الطباخ ٦: ٤٤٤،٧ ، ٤٦٥ ، الغزى[٢] ٤٢٣-٢٤
المرادى[١] : ١٤ ، ٥٧ ، ٨٣-٩٧ ، ١٤٩-١٥٢ ، ١٧٥-١٨١ ، ٢٤٢ ، [٢] : ٧٠-٧٢ ، ٨٣-٩٧ ، ٢٨١ ، ٣: ٤٢٨: ١٧ شراهيه سورية ٥٥

٢ـ علاقات محمد علي بسوريه قبل الاحتلال

سوريه ومصر ترتبطا بروابط جغرافيه واقتصاديه كثيره ، بالاضافه الى روابط الجنس واللغه والدين ، التي ربطتهما خلال الالف سنه الماضيه .

فقد خضعتا أكثر عصور التاريخ لحاكم واحد . من يتسلط في مصر يحاول ان يبسط سلطانه على سوريه لحماية نفسه ، ولحماية مصر لا لحماية سوريه . وقد تكون هذه من الاسباب القويه التي حملت محمد على لارسال حمله لاحتلال سوريه ، رغم ان سوريه ومصر كانتا نظريا حينئذ تحت حكم واحد هو الحكم العثماني .

بدأ ابراهيم باشا حملته على سوريه في خريف ١٨٣١ ، ولكن الحمله لم تكن الا تنفيذا لطموح بدأ قبل ذلك بعشرين سنه ، اذ سبق لمحمد على أن اتصل بولاه سوريه ، وحكامها ، واعيانها . ويروى الشدياق : " وسنه ١٨٠٨ سار الشيخ فارس العماد الى مصر لضيق معاشه ، وتبعه الشيخ علي وتقربا الى والي مصر (١) " . واتصل في السنه نفسها صفر ١٢٢٣ ، نيسان سنه ١٨٠٨ يوسف كنج والي دمشق بمحمد علي بهدف التنسيق بين ولاه مصر والشام والعراق لتوجيه ضربه قويه للدوله السعوديه (الوهابيه) في الدرعيه (٢) ، ولكن هذا التنسيق لم يحدث ولم يتحقق لان يوسف كنج صاحب الفكره لجأ بعد عامين الى مصر فارا من وجه والي صيدا سليمان باشا (٣) .

وشغل (محمد علي) خلال العشرين سنه التاليه بحروب خاضها نيابه عن السلطان العثماني ، فقد ركز جهوده ضد السعوديين (١٨١٣-١٨١٨) الى ان تم له القضاء على الدوله السعوديه الاولى والقضاء على الدرعيه وتخريبها (٤) . وفتح السودان باذن من السلطان (١٨٢٠-١٨٢٢) ، وارسل جيشه واسطوله الى اليونان (١٨٢٥-١٨٢٨) ، لمساعدة الدوله العثمانيه على اخماد ثورتها . فخسر في تلك الحرب اسطوله . ولعل وبعد ذلك شرع في بناء اسطول جديد كان لا بد منه لمعاونة الجيش البرى على فتح سوريه (٥) .

---

(١) اخبار الاعيان ١٤٠-١٤١ .
(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن الدوله السعوديه الاولى : ٣٤٣ .
(٣) ابو عز الدين ٣٣ ، اخبار الاعيان ١٤١ .
(٤) ابو عزالدين ٣٣ .
(٥) زياده ، ابعاد ٥٧ .

ولاحت لمحمد علي فرصة مناسبة لمد نفوذه الى سوريه ، اذ وقع خلاف بين والي عكا ، ووالي دمشق . وكان عبد الله باشا قد تولى صيدا - عكا بعد وفاة سليمان باشا سنه ١٨١٩ (١) . وحاول عبد الله باشا الجمع بين ولايتي صيدا ودمشق سلعيا الى انتزاع ولايه دمشق من درويش باشا ، وانتزاع الامير بشير عن طره الجبل . كذلك وجهت ولاه حلب ، واذنه ، بأن يتعاونا ووالي دمشق لمعاقبة عبد الله باشا ، وفرضت قوات الدوله الحصار على عكا (٢) . ولجأ الامير بشير الى محمد علي في مصر ، ورجاه التوسط لاستصدار العفو عن عبد الله باشا ، واعتقد محمد علي انه سينال ثمن هذه الوساطه من عبد الله باشا ، والامير بشير . وكان عبد الله باشا قد ارسل في رسائله ما يبرر وجود هذا الاصل عند محمد علي فقد جاء في رساله لعبد الله باشا لمحمد علي مايلي :

" بعد ابلاغ الدعاء التام بالمبادى التام . والتوسل الى حضرة مالكي الانام . بدوام بقاء وجودكم وقهر عدوكم وحسودكم ، وحفظكم على الدوام محفوظين ومكلوئين بعين عنايته تعالى التي لا تغفل ولا تنام . وان تموج بحر الخاطر العاطر ولاح في مخيلته الفكر الزاهر . والسؤال عن حال ولدكم هذا ، فانه بحمده تعالى وحسن انفاسكم الطاهره حائز قريتيي الصحه والعافيه والمنحه الوافيه سائلا جوده جل جلاله دعم نواله دوام بقاء دولتكم . وخلود مهابه حدودكم وبلوغكم في الدارين أقصى مرامكم وبغيتكم" (٣) .

واشار عبد الله باشا الى عريضه سابقه حملها الى مصر أحد اتباعه والمدعوه كتخداه من مصر بحيطه علما ، " بما انعطفت به مكارمكم الملوكانيه من المجاييسره والتلطف لولدكم والوعد الكريم الذى خاضت به أبحار حلمكم بالقاء انظار المساعدة والامداد والتفات الغايه لنحونا " الى ان يقول" واكدنا لدى عاطفتكم تمسكنا بحبال حكمكم وكرمكم واتخاذكم بعد الله ملجأ وطيدا وعضدا اكيدا في مسار أمورنا وان مالنا تعلق ولا أمل في مخلوق في العالم سوى في مرامحكم . ثم وضعنا لدولتكم كيفية

---

(١) الخبار الاعيان : ٥٢٦ .
(٢) حيدر - لبنان في عهد الامراء الشهابيين ٣ : ٧٢٤ .
(٣) رستم المحفوظات الملكيه المصريه ج ١ : ص ٣٣-٣٤ .

أحوالنا بالتفصيل ورجونا حلمكم الصميم الاسماف والامداد بما يثبت ويقوى أمورنا".
ثم ينهي رسالته هذه بقوله :" وهذه كيفية الاحوال الواقعة اعرضناها بحروفها لدى سده عنايتكم لكي يكون معلوم دولتكم حيث كرمتم بالتعريف لولدكم مع عبدكم كتغدا اننا بأن في كل جمعه نرسل نعرض احوالنا لديكم مرتين . وعلى كل حال نحن مالنا شي' وسعادتكم بالوجود فالبلاد بلادكم ، والقلعة قلعتكم ، والعيله جميعها عيلتكم (١)" .

وحاول الباشا الشاب بعد ثمانية أيام ان يستدرج محمد علي الى الدخول في المعمعه فكتب له قائلا :

" وحيث ما بقي عند ولدكم عساكر خيل ندافع بها الاعدا' في الخارج لكي تتكسر عسين الموجودين عندنا بالقلعه ، وبحسب همم دولتكم العاليه العليه فمادتنا ما هي شي' ولا تعد من الامور الجسيمه التي تعظم على سعادتكم حيث كرم الباري هممكم وسطوتكم ، تزعزع الجبال ، وترهب الاقطار ، فاذا اكرمتم وحلمتم بارسال أقلما يكون خمسمائه خيال .

من جانب البر فهم كفايه الى تفكيك الامور وثبات أمورنا جميعا داخلا وخارجا كون ماعرفناه شهره عنايتكم وسطوه شاهانيتكم النوعيه ترتعد منا الاقطار ، فبمجرد الاستماع بورود الخيل من جانب ملوكانتيكم يستولى القلق والاضطراب الى الجميع وتلين عريكه العساكر الموجوده عندنا داخل القلعه ، ويستمروا ثابتين نجد امتنسا ويشدد عزمنا وبأسنا (٢)" .

وحدد عبد الله باشا في تقاريره التي دعته الى الاستنجاد بمحمد علي واهمها مروته ، ونجدته ، ورغبة محمد علي في احيا' البيوت القديمه ، وان عبد الله

---

(١) المحفوظات الملكيه : ج ١ : ٣٤-٣٥ .
(٢) عبد الله باشا الى محمد علي باشا ٢٥ ذى القعده ١٢٣٧ ، المحفوظات ج ١ : ٣٧ — ٣٨ .

باشا من سلاله النبي (ص) ، وفوق هذا وذاك " الجوار" الذى يفرضه على " محمد علي " أن يعطي ما يدور في الشام اهميه قصوى وخاصه لارتباط مصير الشام بمصر (١) .

ولكن محمد على امتنع عن التدخل الفعلي في الحرب في الشام وعن ارسال الخيل والفرسان الى عبدالله باشا ولكنه كتب الى الباب العالي " وسعى له بالخير لدى محافلها (٢) " . الا انه في الوقت نفسه كان قد قدم بعض المساعده لوالى عكا وذلك حينما ارسل في اواخر سنه ١٨٢٢ بعض الذخائر ، ولكن محمد على لم يرسل جنودا مصريين للقتال الى جانب عبدالله باشا ، الا انه كان قد قدم بعض المساعدات الاخرى الى عكا ، وابلغ كتخداه الذى ارسل الذخيره الى عكا بأن يخبر عبدالله باشا بأن محمد علي ارسل للدوله يطلب له العفو ورجوع المنصب اليه ، وانه قريبا يحضر الجواب بالايجاب ، ويبقى منصب عكا مقررا على عادته حسب المعتاد (٣) .

ويظهر من الرساله التي ارسلها محمد على الى عبدالله باشا ، فيها تطمين كبير لعبدالله باشا وانه خلال اربعين يوما اذا لم يأت العفو من الدوله فانه على استعداد لارسال قواته لمساعدة الوالي المحاصر (٤) .

وصدر العفو عن عبدالله باشا " بأن يخرج بماله ورجاله من عكا ويذهب الى مصر (٥) " . الا ان محمد على ألح مطالبا بالعفو التام عن عبدالله باشا . وأرسل سليم نتستر مبعوثه مره ثانيه الى القسطنطينيه وأمره بأن يعرض للدوله " فان لم تقبل سؤاله في اظهار العفو الى عبدالله باشا ، وان يبقى مقيما علىّ عكا في الولايه ، كما كان فيلتزم محمد على باشا على الخروج والمصاوه " (٦) . فأتاه الجواب بأن يبقى عبدالله باشا في عكا من دون الولايه . فراجع محمد على طالبا رجوع الولايه لعبد الله باشا

---

(١) تقرير عبد الله باشا الى محمد على باشا ٥ ٢ ذى القعده ١٢٣٧ المحفوظات ج ١ : ٣٧ - ٣٨ .

(٢) محمد على الى كتخداه ١٤ صفر سنه ١٢٣٨ ، المحفوظات : ج ١ ، ٤٥ .

(٣) حيدر - لبنان ٣ ، ٧٤١ ، رستم الامير بشير الشهابي المقتطف ٢٩ : ٢٤٤ .

(٤) اخبار الاعيان ٥٤٧ ، الجبرتي عجائب الاثار - ج ٤ ، ٢٢٠ .

(٥) ابو عز الدين ٤١، Wilkinson, Vol,2,PP. 545-547

(٦) حيدر - لبنان ٣ : ٧٤٥ .

وجاء الفرمان بذلك في ١٠ رجب سنه ١٢٣٨ (١) .

بعد ان وصل فرمان العفو طلب محمد علي بشير وجميع العلماء ، ورؤوساء العساكر ، فتلى عليهم ثلاثه فرمانات ، الاول ، بالعفو عن عبدالله باشا وخروجه الى مصر بما له ورجاله آمنا ، والثاني بالبقاء في عكا ، والثالث برجوع المنصب اليه (٢) .

حاول محمد علي أثناء الاتصالات بالباب العالي من أجل استصدار العفو عن عبد الله باشا اتخاذ حزب له في عكا نفسها . فأرسل اليها وفدا برئاسة احد كبار رجاله بهدف ظاهر .

هو العمل على ازاله الجفاء ما بين الباب العالي وعبدالله باشا . زود الوفد بالمال لاستمالة بعض اهل عكا . ويبدو ان عبد الله باشا ارتاب في امرهم ، وضرب لهم المضارب خارج المدينه . وحال دون نجاحهم في مهمتهم السريه التي حضروا من أجلها (٣) .

وكتب محمد علي الى عبدالله باشا بعد صدور العفو عند رجوعه الى منصب الولايه ، يشير عليه بدفع ألف كيس الى مصطفى باشا ، الذي تولى حصار عكا ، وانفق ما انفق وان يعجل في تقديم المبلغ المطلوب منه الى الباب العالي " بصفه شكر وحسن خدمه " . ثم أعلمه بأن صرافه في الاستانه تعهد بدفع الباقي ، وقدره عشرة آلاف كيس (٤) .

---

(١) ابو عز الدين ، ٤١ ، الميرن١ : ٤ ، ٣٢٢ .
(٢) حيدر - لبنان ٣ : ٧٥٠ ، اخبار الاعيان : ٥٤٤ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق ١٥٠ : ٣٧٥ - ٣٧٦ .
(٣) ابو عز الدين : ٤٢ ، الجبرتي ٤ : ٢٢٧ .
(٤) لبنان في عهد الامراء الشهابين ٣ : ٧٣٧ — ٧٣٨ .

محمد علي والامير بشير

وكان الامير بشير قد لجأ اثناء ذلك الى محمد علي في مصر ، ولعب دوره الكبير في اقناع محمد علي بالتوسط لعبد الله باشا ، فجاء هذا الحادث فرصة ثمينه لتدخل محمد علي في سوريه . وتوثيق عرى المودة مع بعض حكامها ، واتخاذهم عدة لوقت الحاجه ، واستمالة وزير ولايه صيدا ، وامير كبير في لبنان ، تعتبر خطوه واسعه في سبيل تحقيق " امنيته وهي الاستيلاء على سوريه . لان عكا التي كان يقيم فيها وزير ولايه صيدا تعتبر من الوجهه الحربيه ، مفتاح البلاد السوريه ،كما أن لجبل لبنان اهميه عظيمه لمناعه موقعه وشده بأس اهله ، واشرافه على الطرق المؤديه الى امهات مدن سوريه كبيروت ، وصيدا ، وعكا ، وطرابلس ، ودمشق .

تلقى الامير بشير موافقه محمد علي على الترحيب به في مصر في تموز سنة ١٨٢٢ واتجه بشير على متن مركب افرنسي من بيروت الى الدامور ونزل مع اتباعه سنه ١٢٣٧- ١٨٢٢ .

كان معه ولديه الامير خليل والامير أمين واربعه وتسعين نفرا من خدمه.(١) وبعد خمسة ايام وصل الامير وحاشيته الى (دمياط فبولاق) ، واقام فيها بضعة أيام. واستقبله في بولاق المعلم حنا بحرى باسم كتخدا بك ، وكتب اليه محمد علي (وكان موجودا في الاسكندريه) ، بأن يقدم للامير كل اكرام ، ويفهم الامير بشير.

"... انه ما دخل الى الديار المصريه أحد أعزّ منه لدينا .."(٢) وعند الغروب عاد اليه وسار معه الى قصر الخزندار في الروضه حيث اجتمع بكتخدا بك ثلاث ساعات وشرح له ما وقع معه في بر الشام فطمأنه وطيّب قلبه (٣) .

وفي اليوم التالي زار الامير ابراهيم باشا ابن محمد علي فأكرمه وجبر خاطره واخبره بأن حاجته ستكون ان شاء الله مقضيه ، ثم جاء المعلم حنا وافهمه ان محمد علي أمر بقيامه الى بني سويف فذهب اليها وأقام في الدشن . وبقيّ فيها سبعين يوما (٤).

---

(١) حيدر- لبنان ٣ : ٧١٩ ، اخبار الاعيان : ٥٣١- ٥٣٢ .
(٢) حيدر- لبنان ٣ : ٧٢٦-٧٢٧ ، رستم الامير بشير المقتطف ٢٩ : ٢٤٣ .
(٣) حيدر- لبنان ٣ : ٧٢٨ ، اخبار الاعيان : ٥٣٨ .
(٤) أخبار الاعيان : ٥٣٩ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق ١٥ : ٣٦٢-٣٦٣ .

ولما حضر محمد علي الى القاهره من الاسكندريه في ٢٧ ربيع الاول سنه ١٢٣٨ ، وطلب مقابله الامير في قصره وقابله وشرح الامير عن الاسباب التي اوجبته الى المسير للديار المصريه " وانه كان متوليا على جبل بيت معن من عهد سنه ١٢٠٣هـ الى تاريخه مقيما في خدمة الوزراء الذين يتولون ولاية صيدا ، الى حين وقعت الخلفه بين عبد الله باشا ودرويش باشا والي الشام ، فأمر عبد الله باشا الامير بشير ان يسير في العساكر الى بلاد الشام ، فسار حسب ما أمره ولي نعمته كما كان يسير في العساكر في ولايه الجزار وسليمان باشا ، وانه لو اراد أن يملك الشام في يوم واحد لملكها ، وانما شفقة على الرعايا ، وبوصول مصطفى باشا والي حلب الى الشام ، ارسل الى الامير الخط الشريف الذى اتى بزوال عبد الله باشا عن ولايته ، فامتثل الامير الاوامر الشريفه ورجع الى محله . فطلبه درويش باشا ان يكون في خدمته فأبى الامير ذلك ، لانه لايمكن ان يترك ولي نعمته عبد الله باشا ، ويخدم اعداءه . فالتزم لهذا السبب مسيره الى الديار المصريه ، مع انه كان قادرا ان يقاتل عساكر اولئك الوزراء وينتصر عليهم ولولا مسيره لما قدروا على حصار عكا ولكن امتثالا الى اوامر الدوله العليه ما شاء قتالهم "(١) .

سر محمد علي من كلام الامير وقال له : " هكذا تكون اصحاب المروءة ، ان يخدموا ولاء أمورهم حتى الدم وطيب خاطره وقال له محمد علي : انني بكل زماني ما طلبت من المولى عز وجل طلبه الا واستجاب دعوتي ، وقد طلبت ان أراك ، فسبحانه تعالى ما احرمني ذلك . فقد رأيتك يا أمير بخير ، فأشكر أفضال الباري على ذلك " .

ثم قال : " ان مصلحتي تمت وان شاء الله قريبا تتم مصلحتك ، وأصر عليه ان يراه كل يوم ، ثم قبل الامير الاتك وعاد الى مقره في اثر النبي (٢) " . وفي اليوم التالي زاره محمد علي في أثر النبي وتناول الطعام عنده . ويوم الجمعه دخل الامير على محمد علي في ديوانه في القلعه وحوله اعيان مصر فأكرمه محمد علي وقال لقاضي القاهره : " هل عرفت هذا الرجل ؟ فطلب العفو وألقى السلام فقال محمد علي هذا كبير عشائر لبنان وهو يحكم على مئه ألف مقاتل . وكان بامكانه ان يحارب الوزيرين اللذين يحاصران عكا ولكنه أبى ان يخالف أوامر الدوله (٣) " .

---

(١) حيدر - لبنان ٣ : ٧٣٧ - ٧٣٨ ، أخبار الاعيان ، ٥٤٦ ، الدحداح ، رحلة الامير بشير المشرق ١٨ : ٧٣٢ .

(٢) اخبار الاعيان : ٥٤٨ ، رستم بشير ١ : ١٦ ، الامير بشير الشهابي : ٢٤٦ .

(٣) اخبار الاعيان : ٥٤٨ ، رستم بشير ١ : ١٦ .

وبعد ان خرج الجميع ، وتحدثا طويلا في لقائهما ، وأسـّـر اليــــه محمد علي في جميع ما يرغبه منه في جبل لبنان ، ومن الخدمه عند الحاجه وانـــه صمم على امتلاك سوريه ولو بحد السيف(١) .

وقال رستم باز : بعد أن حضر العفو عن عبدالله باشا ، وهـّـم الاميــر بشير بالسفر والعوده ، وأبقى محمد علي الامير عنده خمسة أيام " يتفاوض معه بشــأن أخذ سوريه وضمها لولايته ، فارتبط معه الامير بشير بقسم ان يخدمه ، ويكون فـــي طاعته الى آخر نسمه في حياته ومن بعده اولاده فسـّر به وأكرمـه"(٢) . ثم بعــد ذلك أنعـّم محمد علي على الامير وولديه بثلاث فروات ، وثلاثة من الخيل الجيــاد المزينه وأكرمه بمائه وخمسين ألف غرش . واذن له بالسفر مع السلاح دار ، وقال لـه : " اعلم كأنك سائر معي "(٣) .

وفي السنه التاليه ذي الحجه ١٢٣٩ أيلول ١٨٢٣ ارسل الامير بشيــر ولده أمين الى مصر ، وارسل معـه هديه من الخيل التجديه ، وحمل تطمينـات من والده بأن يبقى في طاعته وخدمه محمد علي(٤) .

بقـّي الامير بشير على صله وثيقه مع محمد علي يتفهم سياسته ، ويسعى ما امكنه لمعاونته . ففي اواخر تشرين أول من سنه ١٨٢٣ نرى الامير بشير منهمكا في استخـراج الفحم الحجري من (قرنايل) لبنان وفي انزاله الى ميناء (جونيه) لتصديره الى مصـــر لسد حاجات محمد علي (٥) .

---

(١) حيدر - لبنان ٣ : ٧٤٠ ، الجبرتي عجائب ٤ ، ٢١٦ .
(٢) مذكرات رستم باز ٢٣ ، الجبرتي ٤ : ٣٢٣ .
(٣) لبنان في عهد الامراء الشهابيين ٣ : ٧٣٧-٧٣٨ .
(٤) ابو عز الدين ٤٢ .
(٥) المحفوظات الملكيه ١ : ٥٨ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق ١٥٠ : ٦٧٨-٦٨٠ .

وفي اواخر السنه نفسها وأوائل مابعدها ١٨٢٤ نرى محمد علي يعنى بمصلحة الامير بشير في بر الشام فيطلع على تقارير مخبريه ، ويستمع لأقوال الامير أمين ابن الامير بشير .

وكتب الى عبد الله باشا بوجوب مساعدة الامير للقضاء على اخصامه في لبنان ولاسيما الشيخ بشير جنبلاط (١) . الى ان يقول في اواخر كانون الثاني من سنه ١٨٢٥ بانه أمر بتجهيز ستة الاف من الفرسان والمشاه بامره طوسون لمساعدة الامير بشير على خصمه (٢) .

وفي ١٦ آب ١٨٢٥ كتب الامير الى محمد علي يشكران عطفه على الامير أمين ويقول : " وقرر لنا عبدكم ولدنا ما صدر أمر سعادتكم وقد تلقيناه بالاطاعه والامتثال ، وكلما تصدر به اوامر دولتكم فهذا العبد واقف على قدم الانقياد لا ننسى ما هدت نفسي على دوام امتثال اوامر عطوفتكم الكريمه . وقيدت ذاتي بالاطاعة والانقياد ولما به اراده عنايتكم الوسيمه (٣) " .

---

(١) المحفوظات الملكيه ج ١ : ٦٢ - ٦٦ ، اخبار الاعيان ٥٥٤ .
(٢) المحفوظات ١ : ٦٥ - ٦٦ .
(٣) المحفوظات ج ١ : ٦٧ .

٣ـ اسباب الحملة المصريه على سوريه

كان هناك كثير من العوامل التي دفعت محمد علي للتفكير بالاستيلاء على سوريه ، وجعلتها ـ سوريه ـ ميدانا للنزاع الشديد بينه وبين السلطان محمود الثاني .

يتفق فريق من المؤرخين على ان النزاع بين محمد علي باشا والسلطان محمود الثاني لا يرتد لأسباب قوميه او جنسيه ، والدليل على ذلك تصريحات محمد علي لكبار الساسه او ما خلفته لنا المحفوظات التاريخيه .

فقد قال ابراهيم باشا ، في خلال حملته الاولى في الشام (١٨٣٢-١٨٣٣) : " ان ابي لا يزال العبد الخاضع للسلطان ، والمحامي عن الدين الحنيف(١)" ثم اكد محمد علي للكولونيل هودجس ( ) في سنه ١٨٤٠ ، اخلاصه لعرش الاستانه ، قائلا ما ترجمته : " أما من حيث تأييد العرش التركي فمن اكثر مني حمية في ذلك ؟ . ان الشعب الملتف حولي يثور عليّ اذا ما حاولت ان اقلب ذلك العرش(٢)" . أضف الى ذلك ان محمد علي كان على جانب وفير من الفطنه السياسيه ، فعرف أنه لا يستطيع التغاضي عن مناهضته الدول الاوروبيه الكبرى اذا ابتغى ان يبدل الحاله الراهنه في الاستانه(٣) .

اذن لم يكن في عزمه أن يحل محل السلطان على عرش الاستانه . فماذا كانت غايته من حروبه؟ هل كان يرمي الى اقامه عرش له في وادي النيل فحسب؟ ربما كذلك . فلقد ثبت ان محمد علي أخذ يذكر الاستقلال في احاديثه حوالي

لم يذكر اسد رستم في كتابه اسباب الحمله المصريه . (اسماء هؤلاء المؤرخين) .

(١) Rustum, The Origins, PP-88-89, St. Jhon, Eygpt and Mohamed Ali, Vol, 2, PP.522.

(٢) Paton, Vol, 2, 67

Rustum. The Origins P.89.

(٣) رستم البطل الفاتح ، ٢٩٢ ،

سنة ١٨٢٥ . واثبت الجنرال بوبيه ، رئيس البعثه العسكريه في مصر ما قاله محمد علي حينما تناول أمنيه الاستقلال هذه . والعباره التاليه مقتبسه من رسالة بعث بها الى الجنرال بيار في الثامن عشر من تموز عام ١٨٢٥ .

قال فيها ماترجمته : " اسهبت اليك في كتاب سابق عما يتعلق بانتصارات ابراهيم باشا في اليونان ، وأود أن اطلعك الان على حديث سرّ دار بيني وبين محمد علي باشا حدثني في خلاله عن أمانيه .

قال محمد علي : " أنا اعرف ان السلطنه تسير يوما فيوما الى الردى ، وانه ليصعب عليّ أن انشلها مما هي فيه . فلماذا أحاول المستحيل بوسائلي القليله ؟ على أني سأقيم على انقاضها مملكه كبيره ولدي جلّ الوسائل التي تساعدني على الفوز . اني استطيع ان افتح عكاء ، ودمشق ، وبغداد ، وبكلمه واحده مني وبوساطه مقدرتي وجيوشي . وابني المنتصر سيتوجه في أقل من عام ليحقق مقاصدي على ضفاف دجله والفرات لانها حدود ثابته للدوله التي اسعى في انشائها ، وستمكنه شجاعته العظيمه من الفوز (١) .

نقلا عن رستم في اسباب الحمله المصريه ،

(١) Rostum , The Origins PP.-53-55

والقوميه العربيه مجله الكليه عدد ١٥ : ٤٣ ، والعوامل الجغرافيه والاقتصاديه والقوميه المقتطف : ٦٦ : ٥٤٣ .

أ ــ الاسبـــــــــــاب المباشره للحمــــله

قضيـــــــــة عبدالله باشـــــــــا

ترى كيف تأزمت العلاقات بين محمد علي باشا ، وعبدالله باشا والــــــي صيدا ، وكيف استغل محمد علي هذا الخلاف ، وكان ذريعة له لغزو سوريه .

كما مـــر سابقا أن محمد علي تدخل لدى الباب العالي لاجل حسم النـزاع ، والعفو عن عبدالله باشا وهو يظن أن تدخله في الامر ، والحصول على رضا الدولـــة العثمانيه عن عبد الله باشا وحملها على استيفائه في ولايه صيدا يصبح عبد اللــــــه باشا صنيعته ويكون عونا له على تحقيق امانيه في سوريه . الآ ان ظنه هذا لم يصب اذ تبين له عندما أن اوان تنفيذ مطامعه ، ان عبدالله باشا كان اشدّ المقاومين لها . ولذلك فقد نسبّ الى عبدالله باشا عدم الوفاء ونكران الجميل ، على أنــــــه ليس من الانصاف الصاق هذه التهمه به بدون بحث ولا تحقيق .

وكان محمد علي في سنه ١٨٢٣ قد أرسل وفدا الى عكا هدفه في الظاهر ازاله الخلاف بين الدوله العثمانيه وعبدالله باشا ، لكن كان وراء ذلك الغرض ، مهمه سريه ترمي الى استماله اهالي عكا الى جانب محمد علي ، واتخاذ حزب له فيهــــــا يعتمد عليه عند الحاجه . ولكن يظهر ان عبدالله باشا انتبه للأمر ، وضرب المضارب للوفد خارج مدينه عكا . وربما أدرك عبدالله باشا من سنه ١٨٢٣ ، ان توسط محمـــــد علي باشا لدى الدوله العثمانيه لم يكن منتهزها عن غايه شخصيه ، بل اصطناعه وتسخيره لمطامع يؤدي لتحقيقها الى زوال نعمته وزحزحته عن كرسي ولاية صيدا ، التي كــــــان يحكمها حكما يكاد يكون مطلقا ومع هذا فان خطة التسامح التي جرى عليها عبــــــد الله باشا مع محمد علي بعد صدور العفو تدل على عدم نكران الجميل . فلمـــــــا

---

(١) Rustum, The Origins ,PP.22-23, Wilkinson Vol,2,p 545

(٢) ابو عز الدين الدين ٤٩ ، Rustum p 24 نقولا : ٥٩ — ٦٠ .

(٣) Rustum, p24 ، مخطوطه نوفل كشف اللثام : ٤٥٠ - ٤٥٢ ، ميخائيل الدمشقي مخطوط تاريخ حوادث الشام ٣١٢ ، ابو سمرا غانم المصـــــريون في سوريه ولبنان المشرق ٣٠ : ٣٥٨ ، زيدان تاريخ ١٥٢ .

طلب محمد علي منه تجهيزه بعشره الاف مقاتل من لبنان من أجل مساعده ابنه ابراهيم في حرب المورة ، فتلقى الطلب بالقبول على انه لم يطلب منه تنفيذه . (١)

كما ان محمد علي طلب من عبد الله باشا مساعدة الامير بشير الشهابي في نزاعه مع بشير جنبلاط فلبى الطلب ايضا ، ووافق على اعدام الشيخ جنبلاط بناءا على طلب محمد علي ارضاء لرغبة الامير (٢) . وعندما أرسل محمد علي الى لبنان شرذمه كشافه ، وأعد حمله لتأييد حزب الامير بشير ، لم نسمع ان عبد الله باشا احتج على ارسال هذه الشرذمه ، مع أن في ارسالها استحقاقا به وتدخلا صريحا في شؤون ولايته (٣) .

لكن على مايظهر ان كثرة تدخل محمد علي في شؤون ولاية صيدا ، واطلاع عبد الله باشا على ما يرمي اليه ادى الى وقوع الجفاء بينهما .

ولا يبرأ عبد الله باشا من عوامل الحسد من نمو قوة محمد علي (٤) ، وخلاصة القول ان استمرار الجفاء بين محمد على وعبد الله باشا ولد الحوادث التي تعد اسبابا مباشره لتوجيه الحمله على سوريه .

بدأ النزاع بين محمد علي وعبد الله باشا بتصادم مصالحهما ، فمحمد علي كان راغبا في التوسع وعبد الله باشا كان يطمع في ضم ولايه الشام ، كما كانت في عهد سلفه سليمان باشا . فلو وافق محمد علي على تنفيذ مقاصده في سوريه لضحى بأمانيه القديمه ، وأصبح اما تابعا له او مقصيا عن منصه الاحكام ، ولا يخضع لذلك بدون مقاومه سوى الضعفاء والزهاد وعبد الله باشا لم يكن من أولئك ولا من هؤلاء (٥) .

---

(١) ابو عز الدين ، ٥٠ ، Rustum, the Origins p25
(٢) اخبار الاعيان ٥٤٥ ، نوفل : ٤٥٣ ، الدمشقي تاريخ حوادث : ٣١٣ ،
(٣) اخبار الاعيان : ٥٥١ ، غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٥٨ .
(٤) اخبار الاعيان : ٥٥٤ ، ابو عز الدين : ٥١ ، الرافعي عصر : ٥٤٨ ، نوفل مخطوطه : ٤٦٧ ، زيدان تاريخ : ١٥٣ .
(٥) ابو عز الدين ، ٥٥ ، مخطوطه مشاقه : ٢٢٦-٢٢٨ ، الدمشقي تاريخ حوادث : ٣١٤ ، Wilkinson, Vol,2,p547 نوفل : ٤٦٨ .

وحقد عبد الله باشا على محمد علي لمخاطبته اياه بلفظة (ولدنا) بينما كان يخاطب الامير بشير حاكم جبل لبنان ، وهو تابع لعبد الله باشا بلفظه (أخينا) فتوهم عبد الله باشا ان استعمال لفظة (ولدنا) مما يزري بقدره ، حمله الغضب على التفوه بكلام جارح في حق محمد علي ، على ان لفظي ولدنا وأخينا استعملها ، محمد علي لعبد الله باشا والامير بشير مراعيا سن كل منهما . لان عبد الله باشا كان في نحو الثلاثين من عمره والامير بشير في النحو الثالثه والستين . أما محمد علي فكان في نحو الستين من العمر(١) . نحو

وعلى كل حال فان اختلاف المصلحه كان السبب الاكيد في وقوع النزاع، فأصبح الوزيران المتجاوران عدوين فتكررت مشاكسات عبد الله منه وهي الاسباب المباشرة للزحف على عكا وتلخص فيما يلي :-

أولا : أدت اصلاحات محمد علي الداخليه الى فرار ألوف من الفلاحين المصريين الى غزه ويافا وتوابعها ، فطلب محمد علي الى عبد الله باشا ان يأمر بعودتهم وحرر رساله بذلك في ١٥ آذار سنه ١٨٣٠ ، اشاد فيها بما عاهد نفسه عليه من عمران الاقاليم المصريه ، وكيف انه تحقيقا لهذا الامل قام باعماله الاصلاحيه اقليما اقليما ، ثم كيف ان اهالي اقليم الشرقيه المتاخمه لولايه عكا لم يفتهموا .

الحكمه من هذه الاعمال الخيريه ، ففر بعضهم الى ولاية عكا ، وانه لما ادركوا خطأهم وهموا بالعوده الى اوطانهم لم يسمع لهم بذلك ثم بين محمد علي لعبد الله باشا انه يجب على شيوخ القرى ان لا يعارضوا في رجوع هؤلاء الى مصر ، ويرجو ان يبين ذلك للشيوخ كي لا يضطر هو بدوره ان يأمر بجلب الفارين وجلب الشيوخ معهم أيضا . فأجابه عبد الله باشا بأنه سيسعى لارجاع الفلاحين الى مصر ، ولكن يرى انه لا يحق لوالي ان يتدخل في شؤون والي آخر . فحنق محمد علي لهذا الجواب وكتب اليه متوعدا انه سيذهب بنفسه لارجاعهم جميعا وزياده عليهم واحد هذا اضافه الى ان هؤلاء مهو يزرعون الارض قطنا ، ولا يريد محمد علي ان يعمل عبد الله باشا على زياده انتاج القطن عنده على حسابه فيجب بقائهم في الارض وارجاعهم اليه (محمد علي) .

---

(١) ابو عز الدين ٥٦ ، نوفل : ٤٦٧ ، نقولا ابعاد : ٦٠ ، رستم تاريخ محمد علي باشا المقتطف ، مجلد ٣٠ : Rustum, the origins pp.27-28 زيدان تاريخ : ١٥٤ .

ثانيا : وكان محمد علي قد أخذ في تنشيط زراعه التوت وتربيه دود الحرير في مصر . وكان يأخذ بزره من جبل لبنان ، عندما يورق التوت لأنه لو ابقى البزر في طقس مصر الحار لنفق قبل ابراق التوت . ففي سنه ١٨٣١ منع عبدالله باشا اخراج البزر من لبنان لاستحكام الجفاء بينه وبين محمد علي .(١)

ثالثا : كما أتهم عبدالله باشا من قبل محمد علي بأنه كان يشجع تحويل تجاره الحاصلات المصريه الى طريق صحراء سيناء بدلا من تصديرها عن طريق الموانيء المصريه وفي هذا التحويل ضرر عظيم بمصلحه محمد علي .(٢)

رابعا : . . وكان محمد علي عند استصدار العفو لعبدالله باشا من الدوله اشترط الباب العالي على عبدالله باشا دفع ستين ألف كيس الى الخزينه السلطانيه . وحيث لم يكن لديه كل هذا المبلغ استلف بعضه من محمد علي لكن ابى بعدئذ رد هذه السلفه .(٣)

ويرى المسيو ميمو ان محمد علي طمع بصندوق عبدالله باشا وما حواه من المال وان المال المخزون في هذا الصندوق بلغ ثلاثين مليونا من الفرنكات الفرنسيه ، وان الاستيلاء عليه كان من اهم اهداف الحملة على سوريه وأخيرا يمكننا القول انه ربما اعتقد ابراهيم باشا ان الحمله على عكا قد لا تلقى اعتراضا من الرأي العام الاسلامي والرأي العام الاوروبي ، وقد لا تلقى معارضه قويه من الباب العالي.(٤)

لكن الشيء الذي لم يتوقعه محمد علي هو ان يكون رد الفعل العثماني قويا وسريعا مما اجبر ابراهيم باشا ان يستمر على مواجهة مباشره مع العثمانين كما سيلاحظ في الفصل التالي .

---

(١) رستم بشير ٢ : ٥٦ ، ابو عزالدين : ٥٦ ، نوفل ٥٤-٤٥

Wilkinson. pp549-553

(٢) رستم بشير ٢ : ٥٨ ، مخطوطه مشاقه : ٢٢٨ ، العطار ، ١٥٩ ،

Paton, Vol,2,pp92-93

(٣) مخطوطه مشاقه : ٢٢٨ - ٢٣٠ ، ابو عزالدين ٥٧ ،

Rustum, the origins, pp 28-35

(٤) غانم المصريون : ٣٥٥ ، الرافعي عصر : ٢٥٠ ، رستم تاريخ محمد علي المقتطف ٣٠ : (٨٠ ، العطار ١٥٩ ، كرد علي خطط ٣ : ٥١ .

ب ـ الدوافع الحقيقيه لحرب الشام الاولـــى (١٨٣١ ـ ١٨٣٣) ـ الاسباب البعيده "الغير مباشــــــرة"

تلقي المحفوظات المصريه ، ضوءًاتتبدى خلاله دوافع الحرب المصريـــه التركيه الاولى ، وفي طليعتها :ـ

أولا : طموح محمد علي في التوسع والاستقلال :

كان محمد علي خلال السنوات ١٨٠٥-١٨٣١ ، يتوقع نشوب الحرب بينـه وبين السلطان ، لذلك أخذ يعبئ موارد دولته ، ويؤمم تجارتها وصناعتها بــل وارضها . وينشئ القوات الدفاعيه ليحمي ثمارها ، من العدوان المرتقب، ولكــي يعلن الاستقلال في الوقت الملائم ـ وان نضاله في سبيل استقلال مصر أبانـــت عنه طائفه من الرسائل الرسميه المتبادله الرسميه بين الباب العالي وكبار رجالـــه الذين يشغلون المناصب الهامه في حكومة الشام. وكذلك في الخطابات المتبادلـــة بين محمد علي وابراهيم.

وكان في طليعه اعداء محمد علي من هؤلاء الموظفين ـ عبدالله باشـــا والي عكا ، فكان يكيل التهم جزافا ضد محمد علي ، وكان يطلق عليه الثائــــر والخارج عن طاعه السلطان ،وكثيرا ما طالب رعايا السلطان ان يعلنوها حربا شعواء لا هواده فيها لنصره السلطان على محمد علي .

وكان ابراهيم باشا (يصرح) بصراحه عن الاستقلال ، سواء في مجالسه الرسميـــه ، او في مكاتباته مع والده او مع كبار الموظفين . كتب مره من حمص الى حاكم حلـــب التركي محمود باشا ، الذي هزمه في حمص معبّـــرا عن تصميمه على الاستيلاء علـــى الاراضي العربيه ، وليقطع نهائيا صلتهم بالحكومة التركيه[٢].

وبعد أيام قلائل صرح ابراهيم باشا للامير بشير بعزمه عن احتلال أضنـــه ليمنع الاتصال بالاستانه وقد ثبت ذلك في نشرة الجيش بتاريخ ٤ ربيع الاول سنـــه ١٢٤٨ هـ ، وفي رساله لابراهيم نادى أباه بلفظ ، صاحب الجلالة ، وذكر كلمـــه مصر المستقله .

---

(١) نشره الجيش التي كان يقوم بها وحيد افندى وثيقه رقم١٩ محفضه ٢٣٦ ،عابدين بتاريخ ٢٠ صفر عام١٢٤٨هـ .

(٢) من ابراهيم باشا الى محمد علي باشا وثيقه رقم٧١ عابدين محفظه ٢٣٨ بتاريـــخ ١٩ ربيع الثاني سنه ١٢٤٧هـ.

وأشار ابراهيم في تقرير سري لابيه ، الى الجهود المخلصه التي اضطلع بها لتدعيم أسرتها (١) . وعقب انتهاء معركه قونيه ، وقبل احتلال كوتاهيه ، وبينما كانت مفاوضات السلم دائره ،كتب ابراهيم باشا الى أبيه الخطاب التالي ، يقول له فيه : من ابراهيم باشا الى والده :

" . . . وطالما يتربع على العرش ـ السلطان محمد ـ فسوف لا نصل بقضيتنا الى حل معقول، وانه بالرغم من الظروف والاحوال التي قد تظهر في صالحنا ، فانه سيعمل كل مافي وسعه لتنفيذ مأربه الظالمه ، مما يجعل الامه الاسلاميه لا تعيش في سلام ـ ولذلك فان التزاماتنا الدينيه والشخصيه نحو العالم الاسلامي تتطلب منا ان لا نفكر في مصالحنا فقط . بل وفي صالح رفاهيه وسعاده الامه الاسلامية . وعلى ذلك سنحاول جهد طاقتنا لطرد المخلوق اللعين لكي يجلس على العرش العثماني وريثه حسبما يتفق مع سياستنا السابقه . وباتخاذنا هذه الخطوات يمكن انهاض العالم الاسلامي . واذا طرأ في ذهن اى أحد ان هذه الاجراءات سوف لا توافق عليها الحكومات الاوروبيه . فليس هناك خوف من تداخلهم . واذا لم يرضوا باجراءاتنا فلن يستطيعوا معارضتنا والوقوف أمامنا . واذا احيطوا علما بما تم . نكون قد وضعناهم امام الامر الواقع(٢) ".

" . . انني في طريقي الى بروسه ومودانيا وسأسرع للوصول اليها . وسوف لا أستطيع القعود في مكاني مده اطول والاساءت الاحوال لان المؤنه في قونيه وما حولها لا تكفي قواتنا ".

وفي اثناء فتره الهدنه المسلحه ، وقبل نشوب الحرب الثانيه سنه ١٨٣٩ ، بين ابراهيم والقوات العثمانيه ، كتب ابراهيم لابيه من كوتاهيه رساله تفصح عن اهدافه لما علم بوصول خليل باشا مندوب الباب العالي ، والجنرال موراڤيڤ الروسي ، والجنرال

(١) من ابراهيم باشا الى محمد علي باشا ـ وثيقه رقم ١٩٠ مخفظه ٢٤٠ بتاريخ ٢٧ جمادى الثاني عام ١٢٤٨هـ.

(٢) الوثيقه رقم (٨٥) ، عابدين مخفظه ٢٤٣ بتاريخ ١٣ - رمضان عام ١٢٤٨هـ.

الى محمد علي ، لعقد الصلح على صوره مرضيه . قال ابراهيم: "ان أهم مايلـــزم البحث فيه معهماهو طلب الاستقلال وطلب الحاق جزيره قبرص وألويه انطاكيـــــــه وكليكيه وجزر ايجه الى مصر — ثم ضم تونس وطرابلس الغرب اذا امكن" .

وقال له أيضا : " اننا اذا تهاونا في طلب الاستقلال يذهب كل عملنـــا هباء وسدى ، ولا يمكننا فيما بعد ان نخلص أنفسنا من ارهاق تلك الدوله بالتكاليف التي لا تنقطع . وما اليها مما تأتي في هذه الوثيقه الهامه (١) ."

ولكن — الى اى مدى — كان الابمتفقا مـــع الابن ؟ هل شاركه فـــي سياسته ام كان له نظره أخرى . ولكن الشيء الذى لا ريب فيه ان محمد علـــي كان يهدف ايضا الى الاستقلال . فقد تحدث عنه في بدأه عام ١٨٢٥ ، ففـــي الخطاب الذى صاغه الجنرال بويه رئيس البعثه العسكريه في الجيش المصرى الـــى الجنرال بيار (١٨ تموز ، سنه ١٨٢٥) ، وقد سبق ذكره .

وكتب الجنرال بوييه ثانيه الى الجنرال بيار في ٢١ شباط سنه ١٨٣١ : " في السير على خطه كهذه سيحقق محمد علي مقاصده ويصل الى غايته المنشوده وهي انشاء سلطنه على انقاض سلطنه مقبوعه (٢) " .

وقال احد الكتاب المعاصرين لمحمد علي : " لقد اعرب محمد علي لانكلترا وفرنسا والنمسا في سنه ١٨٣٣ ، من خطته في تحويل سلطته أحد ولاه البـــاب العالي الى ملك وراثي مستقل (٣) " .

بالمرستون

وكتب اللورد بومرستون في آب سنه ١٨٣٣ في احدى رسائله الـــى الكولونيل كامبل " اريد ان اخبرك ان وصل الى حكومة جلاله الملكه من نـــواح

---

(١) الوثيقه رقم ٨٥ ، عابدين محفظه ٢٤٣ ، بتاريخ ١٣ رمضان عام ١٢٤٨هـ.
(٢) Paton , Vol2, p 22, Rustum, p54 رستم القوميه العربيه الكليه ١٥ : ٤٣ .
(٣) نقلا عن Rustum, the origins, p54 ولم يذكر رستم اسم الشخص الـــذى أخذ عنه .

مختلفه تقارير تبين ان الباشا (محمد علي) ينوى الانتقاض على سياده السلطان وان يعلن استقلاله (١) " .

وكان ابراهيم باشا قد فاوض والده بهذا الامر فكتب اليه في ١٣ كانون الثاني سنه ١٨٣٣ ، وبمناسبه قيام وفد مفاوض الى الاسكندريه ، فابراهيم يوجب عدم التردد ويرى ان المصلحه تقضي بالمطالبه باستقلال مصر وبضم قبرص واضاليه وعلائيه رايج ابل الى مصر . وكذلك تونس وطرابلس الغرب ، اما بغداد فانها بعيده عن مصر قليله الفائده ولذا فانه يكتفي المفاوضه بشأنها ولا يتمسك بضمها الى مصر ، ويرى ابراهيم باشا ان الاستقلال هو خير وسيله للتخلص من ظلم حكومة الاستانه وعدم وفائها ومطالباتها بالمال (٢) .

وكان ابراهيم باشا قبل ذلك بشهر من نفس السنه ، قد اخبر والده بأن مصلحه مصر تقضي بمواصله الزحف والتقدم لخلع السلطان ، والتخلص من ظلمه ومكايده واجلاس ولي العهد مكانه وانه لا يخشى تدخل الدول الاوروبيه لانها لا تستطيع منعه لان الوقت لا يسمح بذلك الى ان يقول " اما اذا شرعت هذه الدول في تقسيم السلطنه العثمانيه ، فليس له الا ان يدعو بالسلامه وليحصل ما سيحصل في أقرب وقت حتى تنتهي هذه المشكله ويزول الخوف (٣) .

ومن هذه الاقوال ايضا عن التوسع والاستقلال الذى يرغب به محمد علي قول الامير بشير الشهابي للمعلم حنا البحرى اثناء حصار عكا " أنا كنت أتمشم في افندينا أن يحارب السلطان محمود لأجل فتح الاقطار الواسعه والاقاليم الشاسعه لا ان يتحصن في جبال الدروز ويحتمي بها (٤) " . ومنها ايضا قول الامير بشير في الرد على اوامر قائمقام الصداره التي قضت بوجوب التعاون مع عبد الله باشا قال الامير بشير لابنه الامير أمين " اصرف التاتار وقل له عندما تسأل الدول

---

(١) رستم القوميه العربيه الكلبه ١٥ : ٤٢ ، العوامل الجغرافيه والاقتصاديه والقوميه المقتطف : ٦٦ - ٥٤٣ .

(٢) رستم بشير ٢ : ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٥٣ . Rustum, the origins, p56

عن رعاياها تسأل الرعايا عن الدوله . الى ان قال " وياولدنا شوفوا احوال هـــذه الدوله وضعفها الله يخلصنا منـها (١) .

وهناك بعض الاقوال صادره عن رجال الاستانه موجهه الى الحكام والاعيان في بر الشام تتهم محمد علي بالخيانه والخروج فتجعل تجزئه الدوله هدفه والاستقلال غايته (٢) .

وعلى الضد من ذلك تستطيع الاستشهاد بأقوال موثوق بها تؤيد رأيـــا يناقض الرأى المتقدم فقد اعلن محمد علي اكثر من مره للساسه انه لم ينوّ قـــط على انشاء دوله مستقله على ضفاف النيل قال " ان النزاع الذى نشأ لسوء الحـــظ بيني وبين الباب العالي لم يكن سببه طمع غير مشروع ولا تدابير مفسده لتقـــسيم الى غير ذلك من أقوال .

ازاء هذا التناقض الظاهر في الاوراق السياسيه الرسميه والمظان التاريخيه نجد أن ما عرفناه لا يكفي لاثبات احد هذين الرأيين او معرفة أيهما أقرب الـــى الصواب .

وما بقيّ من المراسلات التي دارت بين كبار رجال السياسه في ذلك العصر لا يزال بعيدا عن متناول الباحثين في هذا الموضوع ، لذلك لا تستطيع الحكم فيـــه ، فلا نقدر ان تثبت نيه محمد علي على الاستقلال ولا أن ننفيها .

ولحسن الحظ لدينا من الاسباب التي بعثت على النزاع بين محمد علـــي والسلطان محمود وغير ما تقدم ذكره .

فالظاهر ان غريزه الدفاع عن النفس كانت في مقدمه الاسباب التي حملت التابع على محاربة متبوعه لان محمد علي كان لديه ما يبعثه على الاعتقاد بأن السلطان

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٥١ .

(٢) القوميه العربيه منذ مائه عام الكليه ١٥ : ٤٣ ، العوامل الجغرافيه والاقتصاديه والقوميه المقتطف ٦٦ : ٥٤٣ . Paton, Vol,2, p 25

(٣) Wilkinson , Vol 2, p 540

محمود لا ينوى ابقاءه في منصب الولايه ، الذى اعترف له به سنه ١٨٠٥ ، ففي سنه ١٨٠٦ ، اراد السلطان ان ينقل محمد علي الى سلانيك وفي ١٨١٣-١٨١٤، حينما كان محمد علي يحارب الوهابيين في بلاد العرب عين السلطان لطيف باشا ليحل محله واليا على مصر(١) .

كما يرى البعض ان السلطان محمود ورجاله سعوا الى بذر شقاق التفرقه بين محمد علي وابنه ابراهيم وذلك باعطاء ابراهيم باشا ولايه ، جده ، سنه ١٨٢٩، ولقب شيخ الحرم المكي وهذا يجعله مقدما على والده في المقامات الرسميه(٢) ، كما ان السلطان محمود اخلف وعده لمحمد علي بمنحه ولايه سوريه بعد حرب الوهابيين ثم بعد حرب الموره لكن في هذه المره الاخيره أبدله منها بجزيره كريت التي كان خرجها يزيد على دخلها نحو ضعفين(٣) .

وكان السلطان قد ارتاب في كثير من تصرفات محمد علي وذلك لاتصال محمد علي ببعض الخارجين على السلطان من زعماء البلقان والشام وقبول بعضهم في مصر مما ادى الى غضب السلطان ، قال محمد رؤوف باشا في رساله الى محمد علي في ١٠ حزيران سنه ١٨١٦ " لا بدّ من القاء القبض على محمد بك ابن حسن باشا الالواني الذى التجأ الى مصر ، والتحق بجيش ابراهيم باشا . لا بدّ من القاء القبض عليه وارساله للاستانه ، او اعدامه في مصر خوفا من أن يقال ان جميع المضغوط عليهم من قبل الدوله العليه يلتجؤن الى طرفكم(٤) " .

وفي سنه ١٨٢٨ ، كان محمد علي يصك النقود الذهبيه ويكتب عليها " ضرب في مصر " فطلبت منه الدوله ان يمتنع عن ذلك(٥).

وفي سنه ١٨٣٠ ، أشار السلطان على محمد علي ان يترك الاسكندريه ودمياط ورشيد ليتسلم حكمها قيوبان باشا خصم محمد علي(٦) .

---

(١) Paton, Vol2, p22 رستم القوميه العربيه منذ مائه عام الكليه ١٥ : ٤٣ .

(٢) Wilkinson, vol,2, p544, St Jhon Vol,2, p 483

(٣) ابو عز الدين ابراهيم باشا في سوريه ، ٥٣ .

(٤) Wilkinson ,Vol, 2,p 547 رستم بشير ٢ : ٥٦ .

(٥) St Jhon, p 483 رستم بشير ٢ : ٥٦، زيدان تاريخ ١٥٢ .

(٦) رستم ، العوامل الجغرافيه والقوميه المقتطف ٦٦ : ٥٤٥ ، رستم ، القوميه العربيه منذ مائه عام الكليه ١٥ : ٤٣ .

كما ان السلطان محمود كان قد بطش بأعيان الاناضول وولاء بغداد وحمله انتصاره على الانكشاريه على تهديد محمد علي تهديدا لم يكن مجهولا بين سكان الاسكندريه ، وزاد على مقاومته هذه لمحمد علي ان عين خسرو باشا عدوه القديم صدرا أعظم (١) . فلجميع ما ذكر كانت مراجل الحقد تغلي في نفوس المتخاصمين ولم يبقى اما م الفريق الراغب في فتح باب النزاع الا ان يجد عله لمهاجمة الاخر وسرعان ما وجد محمد علي هذه العله في المشاده التي وقعت بينه وبين جاره عبد الله باشا والي صيدا (٢) .

بينما لخص سليمان ابو عزالدين في كتابه ، ابراهيم باشا في سوريه ص٥٤ - ٥٥ ، الاسباب المباشره للحرب بين محمد علي والسلطان محمود كما يلي :-

١- نزعه محمد علي الاستقلاليه والعداء القديم بينه وبين الصدر الاعظم خسرو باشا ، والحسد الذي كان يجيش في صدر السلطان لنجاح محمد علي في جميع مشاريعه .

٢- انسحاب جنود محمد علي من الموره بناء على اتفاق عقد بينه وبين دول الحلفاء مباشره بدون اذن الباب العالي .

٣- محاولة محمد علي اقناع الحكومه العثمانيه بعدم محاربة الروسيه ثم احجامه عن الاشتراك معها في تلك الحرب .

٤- تحريضه اهالي الروملي والبانيا على الانتفاضه على الدوله ووعده مصطفى باشا والي اشقودره بامداده بالمال والرجال كما ثبت من رسائل وقعت في قضية الحكومه العثمانيه .

---

(١) St Jhon,Vol,2,p483

(٢) ابوعزالدين ، ابراهيم باشا : ٥٤ ، رستم بشير : ٥٦ .

ثانيا : مصر والشام وحده طبيعيه ، وجغرافيه :

رأى محمد علي ، مثلما رأى اسلافه الايوبين والمماليك ، انه يتسنى التوسل بالسلم ، وحدود بلاده مفتوحه في وجه سلطان آل عثمان . فان صحراء سيناء وحدها لا تعدّ خطا منيعا للدفاع — والدفاع عن وادى النيل من الشرق يبدأ خطه الاول في جبال طوروس كما لا يخفى . كذلك جبال سوريه الشاهقه وأودبتها العميقه وشعابها الضيقه ، حاجزا طبيعيا لاعاقه تقدم جيوش السلطان محمود جنوبا ،

كان على الجيش العثماني ، الذى يقدم على غزو الشام ، ان يجتاز جبال طوروس من طريق واحد او طريقين . وهذا أمر كان يعوق تقدمه كثيرا . وكان متعينا عليه ان ينقل كبل مهماته وحاجياته في طريق وعر . فأن اكره على التراجع أستهدف لخطر كارثه تحل به في ارتداده على عقبيه لاجتياز جبال طوروس ثانيه [1] .

اما محمد علي فكان له وراء هذا الخط الاوّل ، من خطوط الدفاع ، خط ثان في لبنان ، حيث كان في وسعه الاعتماد على تأييد الامير الشهابي واتباعه كذلك كان له خط ثالث في جبل الكرمل . وخط رابع في صحراء سيناء — فضلا عن انتفاعه بالثغور على الساحل الممتد من اسكندرونه الى اسكندريه . والخلاصه ان الشام ومصر كانتا ، منذ مائه عام تؤلفان وحده اقتصاديه وجغرافيه طبيعيه . وقد اعترف محمد علي بهذه الحقيقه منذ اوائل عهده ولا يته ، ورغب بحروبه في ان يجعل الاقليمين وحده سياسيه ايضا . فقد كتب الى وكيله في الاستانه نجيب افندى يقول : " ان الشام لازمه لسلام مصر [2] " .

---

(١) رستم العوامل الجغرافيه والاقتصاديه ، المقتطف ، ٣٠ : ٢٨٢ ، البطل : ٣٠ ، الرافعي عصر محمد علي : ٢٤٥ ، نقولا ايماد التاريخ : ٥٩ ،
Rustum, the origins pp 78-79 wilkinson vol,2,549-552

(٢) ابو عز الدين ابراهيم باشا : ٥١ - ٥٢ ، رستم العوامل الجغرافيه : ٢٨٣ ،
Rustum pp 79-81 Kelly; pp 275-278 wilkinson 52-553
نقولا ايماد : ٥٩ ، المطار ، ١ ، زيدان تاريخ : ١٤٩ ، حتى تاريخ سوريه ٢١٥ ، فرحات مختصر تاريخ : ٧٦ .

ثالثـــا : عدم كفاية موارد مصـــــر لحاجات الدوله الحديثه في ذلك العهد

(المواد الخـــام)

كانت أمنيه محمد علي وابراهيم الاستقلال بوادى النيل ، فرأى الاثنان ان ان يعاجلا بوضع أيديهما على الشام للاشراف على مقدراتها (١) .

لقد كانت مصر منذ مائه عام ونيف ، بالرغم من خصوبة تربتها لا تكفي سكانهـــا ، وما كان فيها من اشجار الجميز والسنط لم يسد حاجة الاسطول والتعمير الى الخشب(٢) . فكانت مصر تستورد معظم الوقود والاخشاب التي تدعو اليها حاجاتها ، في السلم والحرب في بناء السفن التجاريه لنقل الغلال عن طريق النيل الى الاسكندريه ، وبحرا الى مرافئ الشرق الادنى . وصنع البوارج والنقالات الحربيه التي لم يكن هناك مندوحه مـــن انشأها في حروبه (٣) .

نعم ، زادت ثروه مصر من الحاصلات الزراعيه ، كالقطن والنيله ، ومختلــف المواد الغذائيه ، فلم يكن الصواب في شيء ان تزرع فيها الغابات ، ليستعـــاض بأخشابها عن الاستيراد . كما انه لم يستفد من خشب السودان بعد ان تـــم فتحه . فاضطر محمد علي الى ان يحذو حذو تحتمس الثالث ورمسيس الثاني ، وابن طولون للبحث عن الخشب في سوريه وبلاد الشام (٤) . وقد اراد رجال محمد علي الانتفاع بأحراج الشام والاناضول ، في الفترة بين ١٨٣٢ و ١٨٤٠ ، فأرسلوا الى مصـــر مئات من جذوع الاشجار ، انتفع بها في بناء البوارج . وفي معامل الذخيره والسلاح في مصر (٥) .

---

(١) رستم العوامل الجغرافيه والاقتصاديه والقوميه في الصراع بين محمد علي والسلطان محمود الثاني المقتطف : ٦٧ : ٦٤ ، Rustum, the origins, p63

(٢) رستم p63 الرافعي عصر محمد st Jhon, Vol,2, p492 , the origins, علي : ٢٤٧ ، نقولا زياده ابعاد التاريخ : ص ٥٧ .

(٣) رستم العوامل الجغرافيه والاقتصاديه ، المقتطف: ٦٧ : ٦٤ .

Kelly, p 268, Wilkinson , p 551

(٤) ابو عز الدين : ٥٣ ، رستم العوامل الجغرافيه : ٦٩ ، اسباب الحمله المصريه : ٧٢ ، مخطوطه مشاقه مشهد العيان : ٢٢٥ .

(٥) Bowring, pp, 18-20, st Jhon, p445 Wilkinson, p547

كذلك كان لبنان غنيا بالمعادن من حديد ونحاس وذهب وفضه وزنك (١) .
وقد كانت لابحاث بعض المعدنين ، الذين اوفدهم محمد علي للبحث عنها ، من اقوى العوامل عن تقرب محمد علي من ولاه سوريه ورغبه في ضمها الى مصر .

هذا كان موقف محمد علي من المواد الرئيسيه لصناعة الحرب وعتادها ، كذلك كانت حاجته الى الماده البشريه ـ وهي الرجال ـ اهم خامات القتال (٢) .

لا ريب ان مصر امدته في كل حروبه بالرجال . ولكن بعد فشل جهوده لتجنيد السودانيين رأى في رجال الشام ماده تمينه فتطلع اليهم لانهم كانوا بطبيعة بلادهم شديدي البأس كما انهم كانوا كثيرى العدد . يعادلون سكان مصر آنذاك . لذلك لا نعجب اذا الفينا محمد علي يعتمد على اهل الشام في جيشه وهو القائل : " من جبال لبنان أجند جنودى . فأرد ب منهم جيشا كبيرا ولا أقف به الا على ضفاف دجله والفرات(٣) " .

والى جانب الرجال اراد المال وهو عصب الجهاد . رأى ان يطبق الاجراءات التي نفذها بنجاح ورست عليه المال اللازم للجيوش ـ في الشام ايضا والقطران يمكن ان تؤلف منهما وحده اقتصاديه واحده ، فيجعلها سوقا واحده للصادرات والواردات . وكانت اسواق مصر في حاجه الى الحرير والصابون وزيت الزيتون والتبغ والماشيه(٤) . اذا كانت الشام وضمها الى وادى النيل أظهر العوامل في نشوب الحرب.

رابعا : ابراهيم باشا والقوميه العربيــة المصريــه :

يقول شفيق غربال(٥) أن محمد علي بدا وعاش وانتهى عثمانيا مسلما ، وان مهمته كما حددها من مستهل الامر الى آخره ، كانت احياء القوه العثمانيه في ثوب جديد

---

(١) رستم العوامل الجغرافيه : ٦٦ ، the origins p 68 بشير٢ : ٥٠ ، الرافعي ٢٤٨ ، زياده ايماد : ٥٧ .
(٢) رستم ذكرى : ٢٩٩ .
(٣) رستم : العوامل الجغرافيه : ٦٧- ٧١ . the origins p 72
زياده ايماد : ٥٧ .
(٤) رستم ، العوامل الجغرافيه : ٦٧- ٦٩ . the origins 72
(٥) شفيق غربال محمد علي الكبير ، سلسلة كتب اعلام الاسلام : ١٥٣- ١٥٥ .

ورمى الى ان يجد مكانا لعالمه العثماني الحي ، في الدنيا الجديده . التي خلقها الانقلاب الاقتصادى فوصل بين اجزائها الى بلاد العرب والشام ووادى النيل و صيرها وحده حقيقيه على الرغم من المنافسات القوميه .

وفي مكان آخر من كتابه (محمد علي الكبير) يجيب المؤرخ عن السؤال (وما قدر مصرفي تفكيره وغاياته) ؟ بالجواب الاتي :

ان قدرها في عينه عظيم عظم المشروع كله . هي القلب من الجسم الذى يروم ان يرى وأبناؤها اعوانه في البناء الكبير . نالت حبه ونالوا من حبه لقدر الاكبر رفض ان يتخذ منها عالما صغيرا ضيقا محدود الافاق ضعيف الامال كما رفض ان يكون معول الهدم في العالم العثماني حتى ولو كان الهدم اسمه الاستقلال والباعث المحرك له اسمه العصبيه القوميه . وكان خير من يعلم ان انفصام الوحده العثمانيه معناه تشتت قوتها وأجزائها ووقوع الاجزاء جزءا جزءا في حكم الدول الغربيه .

لقد احب محمد علي مصر الحب كله . او لم يقل منشور له من تلك المنشورات الممتعه التي يعبر بها عن كل ما يجول في نفسه : " ان نيلنا لوطن عدم التطهير كهذا هو من النعم الجسيمه وعدم القيام بالسعي والاجتهاد في عمارتها يكون عين الكفران بالنعمه وهذا مالا تقبله شيم جبلتي وتأبى نفسي ان اكون شريكا لكم في كل ذلك (١) " .

وعن ذلك يقول المؤرخ رفاعه رافع الطهطاوى : " ان منافع مصر العموميه قد تمكنت كل التمكن من الذات المحمديه العلويه وتسلطنت على قلبه واخذت بمجامع لبه . وان عمل تماما بما روى عن النبي (ص) : (من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم (٢) " .

هذه مصر هدف محمد علي . كانت وحدها كل شيء في برنامجه ، فلم يك من عشاق الامبراطوريات كغيره ممن سبقوه . ألم تعرض عليه حكومه فرنسا بوساطه

---

(١) شفيق غربال - محمد علي - ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) رفاعه رافع الطهطاوى تخليص الابريز ، ٨٧ - ٨٨ .

بولينياك وميمو وهودار عام ١٨٢٩ معاونتها في فتح طرابلس وتونس والجزائر ليضمهـــا الى مصر فيشملها حكمه ؟ ولكن بعد ان وزن الامور بميزان حكمته رفض الاقتراح الفرنسي لانه كان ينطوي على اذلال شعب اسلامي (١) .

أما ابراهيم فقد كان أبعد مرمى من الاب في القضيه العربيه . فقد كـــان يرغب باخلاص في احياء نهضه عربيه . فقد حلّ بالديار المصريه ونشأ في وســـط عربي بحت . ثم قرأ تاريخ العرب وثقافتهم مع ما نقلته من مبادئ العلوم والفنون (٢) .

وكانت اقامته اعواما طويله في بلاد العرب والشام . قد قربته الى فضـــائـل العرب وعيوبهم أيضا . فعرف محاسن هذا الجيش ومساوئه وهي خالصه قبل صهرها لدى اختلاطهم فحك هذا خياله وأيقظ عطفه . ومن هذا البحث الشخصي كوّن ابراهيم خلاصة مشروع الدوله العربيه عن عقيده واقتناع . رأى ان هذه الدوله التي يريـــد الاب تحقيقها لا تتم ولا تكون كامله الا اذا دعمت على اساس متين هو احياء الشعب العربي وانها ضمنتكون الدوله شامخه قويه ، روحا وبنيانا (٣) .

ولقد يخيّل الى البعض ان تصريحات ابراهيم عن العروبه ، واحياء التراث العربي ، لا تخرج من عبارات الدعايه ، التي يلجأ اليها الساسه والفاتحون لتخديـــر الاعصاب . أعصاب الشعوب المغلوبه على أمرها . ولكن يبطل هذا الرأي ان كـــل الذين كانو يعملون معه كانوا يؤمنون بالعقيده نفسها ، فقد صرح مختار بك يساوره في حرب الشام وقد قابل وزير الخارجيه الفرنسي في مهمه خاصه الى محمد علي وابراهيم عام ١٨٣٣ قائلا : " لقد قدمنا الى مصر ولم نكد تتجاوز سن الطفوله ولذلك لـــم نعد تركا قط ، ولم يبقى رابطه تربطنا بذلك الشعب . اننا الان ننتسب الى شعب أنبل وأكثر تنورا الى هذا الشعب العربي الذي سبق أوروبا في مضمار الحضـــارة .

---

(١) رستم الذكرى : ٣٠٢ .
(٢) رستم الذكرى : ٣٠٢ .
(٣) رستم الذكرى : ٣٠٣ .

وزين تاريخه باقامه المدن المزدهره والاثار الفخمه التي غطى بها وجه الارض من جبال الاندلس الى وادى النيل الى حدود ايران (١) ".

واتجهت فكره ابراهيم الى تحويل الدوله التي أنشأها ابوه الى دوله عربيه صحيحه ينتسب فيها الحاكمون والمحكومون الى شعب واحد . واعطاء الجنس العربي جنسيته الخاصه وكيانه السياسي كما ان له لغته الخاصه وأدبه الخاص وتاريخه الخاص.

ولقد كانت اعمال ابراهيم ورجال حكومته في بلاد العرب والشام خير برهان صادق على اخلاصه في عقيدته يؤيد ذلك ماقام به من المشروعات في البلدان ، التي خضعت للحكومه المصريه .

ويتفق مؤرخوا مصر الحديثه : شفيق غربال ، ومحمد رفعت ومحمد صبرى ، وأسد رستم ، فيما كتبوه عن عقيده ابراهيم العربيه . الذى يعتبر المؤسس الاول لمنظمه الجامعه العربيه ، التي اعيد التفكير فيها بعد مائه عام من انقضاء الحكم المصرى في البلاد العربيه .

لذلك نعتبر ابراهيم باشا المنادى الاول بالوحده العربيه ، فهو - ولا مريه - يستحق مكان الشرق في تاريخ الوحده القوميه في الشرق العربي .

هذه هي اهم دوافع الحرب التي استأثرت بين محمد علي والباب العالي .

Rustum, the origins pp,81-83

الفصـــــل الثانـــــي

حكومة محمد على في سوريـــــة ،

1- الحملة العسكرية على سورية - القوات العسكرية المصرية
2- التقسيم الاداري - الادارة المصرية في سوريـــة
3- القضاء في سورية .
4- المالية في سورية .
5- الحياة الاجتماعية .
6- الحياة الاقتصادية .

الفصل الثاني

١- الحملة العسكرية على سورية

قامت في وجه الحملة عقبتان رئيسيتان هما : تمسك العثمانيين بسورية ، وأوضاع سورية نفسها ، فسورية شديدة الاهمية للدولة العثمانية لأنها تشكل حدا فاصلا ما بين مصر ، والبلدان العثمانية في آسيا . وهي مفتاح البلاد العربية . التي كان لمحمد على نفوذ عظيم فيها بعد تغلبه على الوهابين . فلو ضمت سورية الى مصر ، لكان بالامكان قيام دولة اسلامية جديدة الى جانب الدولة العثمانية يتجانس عناصرها ، وانتظام اداراتها ، ونظام جنودها ، وربما نازعتها الملك والخلافة . اما اعتمادا على حق اكتسبته مما لديها من قوة ومنعه ، وهذا يجعلها اكثر اقتدارا على حماية الحرمين الشريفين والدفاع على حوزة الاسلام (1) .

أما القضية الثانية : وهي أحوال سورية نفسها . التي تجعل مهمة الفاتح ، والحاكم محفوفه بالمشقات ، لاختلاف نزعات السكان ، وصعوبة مراسهم ، ووعورة المسالك ، وكثرة المتغلبين واصحاب الامتيازات المحلية (٢) .

والامتيازات المحلية لم تأت أصحابها عفوا ، بل نشأت في اكثر الاحوال عن اسباب وضرورات كانت مبرره لوجودها عند نشوئها ، كقيام أصحاب بنصرة حزب أو مبدأ ، أو عجز الدولة عن حماية اروا حهم وأموالهم ، واضطرارهم للذود عن حياتهم بسلاحهم (٣) .

أما القضية الثالثة : فهي تصادم مصلحة محمد على والمصالح الأوروبية ، على الاخص الانكليزية الشرقية .

لم تكن هذه العقبات خافية على محمد على حينما فكر بمهاجمة سورية في سنة ١٨٣١ لكن كانت الاحوال السياسية في أوروبا ، والبلاد العثمانية مبشرة

(١) أمين سعيد ، تاريخ مصر السياسي . ٣٢٤ — st Jhon Vol,2,p 484

(٢) Paton,Vol,2,p 111

(٣) ابو عز الدين باشا في سوريه ٣٥ ، Paton Vol, 2, p 1/2

بنجاح مهمته ، فلم يخش مقاومة العثمانين وذلك بسبب ما أصاب الدولة وانشغالهـا في اخماد ثورة البوسنه وتهدئه الاضطرابات في البانيا . هذا اضافة الى ان سوريـه لم يكن فيها من القوات الكبيرة التي تدافع عنها ، فالحاميه الموجوده في حلب كانـت قد وجهت الى بغداد ، لمحاربة واليها المتمرد داوود باشا ، والفوضى كانت سائـدة في دمشق أثر ثورة الاهالي على الوالي سليم باشا وقتله (١) .

وكانت أحوال ولاية صيدا مضطربه بسبب حوادث نابلس ومحاصرة قلعة سانـور قبل ذلـك .

أما الدول الاوروبيه فكانت تعمل على تهدئة الاضطرابات ، واخماد الثـورات التي نشأت عن تأثيرات مبادىء الثورة الفرنسية في نفوس شعوبها . لذلك لم تتـدخل الدول الاوروبيةلمقاومة محمد علي ، الا بعد ان فتح كافة المدن السورية واندفـع الى بلاد الاناضول وهدد عاصمة (٢) الدولة .

أما بالنسبه لسوريه ، فيظهر ان محمد علي لم يكن يحسب لهم حسـاب ، لأنه كان قد استوثق من قبل حاكم جبل لبنان ، واكثرية اللبنانيين الى جانبه ، هذا اضافه الى استياء السوريين كافه من الحكم العثماني ، لتوالي انتفاضهم على حكامهم وسيـادة الظلم والفوضى في بلادهم (٣) .

الزحـف علـى سوريه والاستيلاء عليها

تحركت الجيوش المصريه الى الشمال زاحفه على سوريه برا ، وبحرا ، في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٣١ ، متبعه نفس الخطة التي اتبعتها القوات الفرنسية من قبـل . ففتحت يافا بعد ان دخلت غزة ، ثم احتلت حيفا ، والقدس ، ونابلس . والقت علـى

(١) Paton Vol, 2, p 113 st Jhon Vol 2 p 485
(٢) Paton Vol, 2. p 115 st Jhon Vol, 2 p 486
(٣) Paton Vol, 2. p 115 st Jhon Vol, 2 p 486

عكا حصارها القاسي الطويل . (١) وكان عدد افراد الحاميه التي قبعت وراء اسوار تلـــك المدينه المنيعه . (٢)ـــ خمسة الاف رجل .

اما الجيش المصرى ، فكان يقرب عدده من ٢٤ ألف جندى تمركزوا حول عكـــا ، وأخذوا يقذفونها من التاسع من كانون الاول ١٨٣١ ، بوابل من كل جهه ، بمـــؤآزرة الاسطول الذى كان أبرزه خمس سفن ضخمه . كل واحدة منها مجهزة بمائة مدفع ، عــدا القطع الاخرى ، والطرادات التي اكملت الطوق من البحر ، الطوق الذى ضربه ابراهيـم باشا على المدينه من البر . فدافعت المدينة بقوة وانسحب الاسطول ، واستمـــر الحصار على اشده (٣) .

وشعر ابراهيم باشا ان الحصار طويل ، فاستدعى الأمير بشير ، ولكنــه تردد بالمجيء ، وكأنه اراد ان ينتظر لماستسفر عنه الأمور ، لكن ابراهيم باشا أجبـر والده عن تأخر الامير بشير ، فسأرسل اليه محمد على ، يتهدده ، ويتوعده ، وانـه سيخرب بيوتهم ، ويزرعها تينا (٤) . وحضر الامير واستقبله ابراهيم بما يليق بـه مـن حفاوة وترحاب (٥) .

ثم اتفق معه على ان تؤمن قواته مؤن الجيش المصرى ، وتقدم له المساعــدات. وكان عبدالله باشا قد تمكن اليأس منه فرفع الاعلام البيضاء ، اشاره الاستسلام ، وبـدأ ابراهيم مفاوضات . انقطعت فجأة بعد أن وصلت الى الوالي أخبار الباب العالـي

---

(١) رستم الاصول العربية لتاريخ سوريه ج ١ : ٦٧ بشير ٢ : ٦١ ، قرأ لي (بولـس) فتوحات . ١ أخبار الاعيان ٥٦٧ ، ابو عـز الدين ٧٦ ، نوفل مخطوطه كشف اللثـام ٤٦٨ نقولا ايماد ٦٣ المطار ١٦١ .

(٢) رستم بشير ٢ : ٦٢ قرأ لي فتوحات ١١ ، اخبار الاعيان ٥٦٩ . Paton Vol.2. p 115

(٣) ابو عـز الدين ٧٧ رستم بشير ٢ : ٦٥ تاريخ محمد علي المقتطف ٣ : ٨٠٣ الرافعي عصر محمد علي ، ٢٥٠ . نوفل ٤٦٨ . st Jhon Vol,2, 486

(٤) اخبار الاعيان ٥٦٩ رستم بشير ٢ : ٦٣ تاريخ محمد علي المقتطف ٣ : ٨٠٣ ، زيادة ايماد ٦٣ .

(٥) اخبار الاعيان ٥٦٩ نوفل كشف اللثام ٤٦٩ رستم تاريخ ٨٠٣ . الرافعي عصر محمد علي ، ٢٥١ المطار ١٦١ .

بأن المؤن ، والذخائر في طريقها اليه (١) .

أما عثمان باشا الذى كان قد عين حاكما على طرابلس ، فقد وصلها ومعـــه ٠٠٠٥ جندى تركي ، فهنا أدرك ابراهيم أن الدولة العثمانية انما تريد محاربتـــه ، فترك عكا وزحف الجيش المصرى واحلافه اللبنانيون على المدن الساحلية ، فاحتلوا صـــور وصيدا ، في ١٤ كانون الاول ١٨٣١ (٢) . ثم توجه الى طرابلس ، ثم حمص عند مـــا فـــر عثمان باشا اليها ، وهناك فرق جيشه ، وعاد الى عكا بفكره جديده ، فكـــر بانهاء الحصار قبل أن تجتمع ضده قوات عثمانية أخرى فضرب عكا على أحدث وسائـــل الحصار ، فاستدعى المهندسين الايطاليين الاخصائيين من مصر وتمكن من فتح ثغـــرة في السور ، اندفع منها الجنود في ٩ آذار ١٨٣٢ . لكن الهجوم الحقيقي بـــــدأ في ٢٧ آذار ١٨٣٢ ، من ثلاث جهات وتمكنوا من دخول المدينه . وطلب السكـــان الاستسلام فقبل طلبهم شريطة القاء اسلحتهم فقبلوا ذلك (٣) . أما عبدالله باشا فقـــد قبع في بيته حتى اقتاده جنود ابراهيم باشا اليه ، فاستقبله بأدب ثم ارسله الـــــى أبيه ، الذى قابله برحابة صدر وأنزله في دار الضيافه حتى كانون الثاني ١٨٣٣ ، حيث غادر مصر الى الاستانه مع جواهره ، وكنوزه التي لم يستول عاهل مصر على شيء منها (٤) .

وعمل الباب العالي أثناء حصار عكا الى ترويج الاشاعات المختلفه ضد المصريين ، ولم يذكر لا ابراهيم ولا محمد علي اسمه في قائمة التوجيهات (٥) . ثم طلب المجلـــس الشرعي ليصدر هذا المجلس في ٢٧ نيسان ١٨٣٢ الفتوى التاليه" حيث ثبت خـــروج محمد علي وولده ابراهيم عن طاعة سلطانهما فحق العقاب عليهما كما حق على سائـــر من حذا حذوهما ، بشق عصا الطاعة على أمير المؤمنين . وخليفة رسول رب العالميـــن .

---

(١) رستم بشير ٢ : ٦٣ الاصول العربية ١ : ١١٣-١١٤ تاريخ محمد علي باشـــا مقتطف ٣٠ : ٨٠٠ قرأ لي فتوحات ، ٢١ ابو عزالدين ٧٥ بركات ١٧ ، كربتيـــس ١٦١ نوفل كشف اللثام ٤٦٩ .

(٢) بشير ٢ : ٦٥ الاصول ١٣٢-١٣٣ كريتيس ١٦٢ ، Wilkinson p. 548 نوفل كشف اللثام ٤٧٠ رستم تاريخ محمد علي مقتطف ٣٠ : ٨٠٣ ، الرافعي عصر محمـــد علي ٢٥٢ ، زياده ابعاد ص ٦٤ ابوسمر غانم ـ المصريون في سوريه ولبنان المشرف عـــدد ٣٠ : ٢٥٨ ، رستم ذكرى البطل ٣١٠ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥١ .

(٣) رستم بشير ٢ : ٧٥ تاريخ مقتطف ٣٠ : ٨٠٤ ، قرأ لي فتوحات ٢٥ بركات البطـــل الفاتح ١٦ ـــ ٢١ الرافعي عصر محمدعلي ٢٥٥ st Jhon Vol, 2,p 493 اخبار الاعيان ٥٧٠ ، نوفل ٤٧٠ زياده ابعاد ٦٤ .

(٤) رستم الاصول ٢ : ٩٠٦ تاريخ ٨٠٤ ، قرأ لي فتوحات ٢٧-٢٨ .

(٥) رستم بشير ٢ : ٧٣ بركات ٢٦-٢٩ ابو عز الدين ٨٢-٨٤ التوجيهات جدول باشوات السلطنه .

وبذلك قضى الشرع الشريف تجريد محمد علي ، وولده ابراهيم من جميع الرتب والمناصب الديوانيه ، وألقاب الشرف الممنوحه لهما من لدن امير المؤمنين . ثم يقاضيا همـا مع سائر من شاركهما في هذا العصيان (١) .

ثم أمر الباب العالي بتعيين حسين باشا القائد العام لجيوش الدولـة حاكما لمصر وكريت والحبشه (٢) . الا ان محمد علي تمكن بدوره استصدار فتوى من الشريف محمد بن عون أمير مكه بتكفير السلطان محمود (٣) .

ورأى ابراهيم باشا ان يستفيد من الوقت . وكان أخوه عباس باشا قد احتل ثغور بيروت ، وصيدا . فزحف ابراهيم بجيشه الى دمشق ودخلها في ٦ حزيران ١٨٣٢ (٤) . بعد معركة قصيره قرب المدينة . ثم اسرع الى حمص حيث احتشدت جيوش ولاة حلب وقيساريه ودمشق ، وطرابلس وغيرهم ، وكان عدد العثمانيين ٢٥ الفا وعدد المصريين ٢٠ ألفا . فانتصر المصريون ودخلوا المدينه في ٨ تموز ١٨٣٢ وبلغ عدد القتلى من العثمانيين ٢٥٠٠ في حين لم يزد قتلى الجيش المصرى على ١٠٢ قتيلا . وكانت الهزيمه ساحقه قضت على ثاني جيش تركي أعدته السلطنه لمقاومة جيش مصر الفتي (٥) .

ولم يبقّ الا القوات التي ارسلت مع حسين باشا ، بعد ان خلع عليه السلطان الخلع ، ووضع فيه كل الامال . وبعد اسبوع من موقعة حمص كان المصريون يدخلون حلب بين ترحاب الاهالي الذين كانوا قد رفضوا تقديم المؤن للجيش التركي (٦) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ٧٣ تاريخ ٨٠٤ ذكرى البطل ٣١٤-٣١٥ بركات ٣٢-٣٥ كريتيس ابراهيم باشا ١٦٤ اخبار الاعيان ٥٧٠ نوفل ٤٧٠ الرافعي ٢٥٦ زياده ٦٤ ، محمد كرد علي ١ ٥الدبس : ٦٤٨ طوسون صفحه ٩٠ .

(٢) رستم ، تاريخ مقتطف ٣٠ : ٨٠٥ بشير ٢ : ٧٥-٨١ ابوعزالدين ٩١ الرافعي عصر ٢٥٩-٢٦٠ .

(٣) ابوعزالدين ٨٢-٨٣ - رستم بشير : ٧٥ نوفل كشف اللثام ٤٧١ ، رستم تاريخ : ٨٠٤

(٤) رستم تاريخ مقتطف ٣٠ : ٨٠٧ كريتس ١٦٢ اخبار الاعيان ٥٧٢ نوفل ٤٧١ نيـ تاريخ : ٨٠٤ .

(٥) رستم بشير ٢ : ٨١-٨٣ الاصول ٢ : ١٥-١٧ تاريخ مقتطف٣ : ٨٠٨ قرألـي فتوحات٣٣ st Jhon 498 الرافعي عصر ٢٦٠-٢٦٥ بركات٣٥-٤٠ كريتيس ١٦٣ نوفل ٤٧١ .

(٦) رستم الاصول ٢ : ٢٠-٢١ تاريخ مقتطف ٣٠ : ٩٠١ st Jhon p 501 بركـات ٤٥-٤٧ كريتيس ١٦٤ .

أما جيش حسين باشا فقد تمركز في بيلان وسلط من مرتفعاتها المدافع وزرع في بقاعها الجنود ، وبات ينتظر قدوم الجيش المصرى الذى ما لبث ان وصل في ٢٩ تموز ١٨٣٢ ، فاحتل ابراهيم بعض المواقع ، والمرتفعات التي من شأنها حصر العدو بين نارين ، وقد تمت الخطه بنجاح . واتجهت بعض القوات الى تلك المرتفعات لاحتلالها ، بينما حول ابراهيم باشا انتباه الاتراك ، الى جهة ثانية ، وانطلت الخدعه ، وقام المصريون بحركة التفاف ، جعلتهم يسحقون الاتراك ، ويهزمون فلولهم ، ويغنمون منهم ٣٩ مدفعا بالاضافة للذخائر والمعدات الاخرى (١) .

وهكذا أصبح احتلال المصريين لسوريه حقيقه واقعه ، فكتب وزير الخارجية الفرنسيه الى ممثله في مصر ، يأمره بنصح محمد علي بالتعقل والحكمه " ان محمد علي قد اصبح سيد سوريه ، يجب ان يعرف كيف يقف في الوقت المناسب . ان قلب الامبراطوريه العثمانية سيكون له نتائج دوليه خطيره " (٢) .

ولم يلبث الجيش الفاتح ان دخل أدنه (أضنه) وانتصر في قونيه . حيث توقف بناء على اوامر من محمد علي ، الذى كان ينتظر تأييد الدول ، ثم تابع الزحف الى كوتاهيه حيث دمّر الجيش العثماني الذى اعده السلطان بقياده رشيد باشا في ٢١ كانون الاول ١٨٣٢ ، وأسر رشيد باشا (٣) .

هنا سارعت الدول الاوروبيه الى التدخل ، واسفر تدخلها عن عقد معاهدة كوتاهيه في ١٦ أيار ١٨٣٣ بين السلطان ، ومحمد علي بعد مفاوضه طويله تخللها ملابسات ا[illegible]ت الانكيز على محمد علي ، وأشعرتهم بأن تأثير محمد علي ، ووجوده هو الذى حدا بالدولة العثمانية الى طلب النجده من الروس ، وتجول الاسطول الروسي في مياه البسفور .

---

(١) رستم بشير ٢ : ٨٤-٨٨ الاصول ٢ : ٢٧-٢٨ ابوعزالدين ١٠١-١٠٨ ، st Jhon p 506 بركات البطل الفاتح ٦٦-٧٠ الرافعي ٢٦٩-٢٧٧ نوفل ٢٧٤ رستم - تاريخ : ٨٠٥ .

(٢) بشير ٢ : ٩٠ قرألي ٣٨ بركات ٧٦-٧٨ - ذكرى البطل ٣١٦- ٣٢٠ .

(٣) بشير ٢ : ٩١ Fatch Vol 2 p100 st Jhon Vol 2 509 ابوعزالدين ١١٨-١٢٢ بركات ٨٢-٨٣ نوفل كشف اللثام ٤٧٢ ، رستم تاريخ محمد علي المقتطف ٣٠ : ٨٠٦ ، زياده ابعاد ٦٤ ابو سمرا غانم ، المصريون في سوريا المشرق . ٣٠ : ٣٥٩ ، العطار ١٦٢ ، ذكرى البطل ٣٤٠ - ٣٤٥ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٣ طوسون صفحه ٩٥ .

وقد نصت هذه الاتفاقية على اعطاء محمد علي ولاية مصر ، وكريت ، مع اضافة البلاد السوريه ، وولاية أدنه الى حوزته ، وعلى تحديد ولاية ابراهيم باشا على حده ، وعلى منحه لقب شيخ الحرم المكي . وأعطت لابراهيم باشا تحصيل اموال أدنه ، وقبل بهذا السلطان تحت ضغط فرنسا ، وانكلترا ، وقع السلطان المعاهدة ، الا انه نفث فيها بغض الانكليز لمحمد علي ، عندما اتهمها بمعاهدة هنكار اسكله سي في ٨ تموز ١٨٣٣ التي تجعل من روسيا بمثابة حامية الدولة العثمانية ، مقابل اغلاق هذه مضايقها في وجه الدول عند الحاجة(١) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ٩٣-٩٤ قرألي ، فتوحات ٣٨ . عزالدين ١٢٣-١٢٥ ، بركات ٨٢ - ٨٤ الرافعي ٢٩٠-٢٩٣ كريتيس ١٨٤ - ١٨٧ . اخبار الاعيان ٥٧٤-٥٧٦ نوفل مخطوطه كشف اللثام ٤٧٣ ، رستم تاريخ محمد علي المقتطف ٣٠ : ٨٠٨-٨٠٩ ، زيادة ابعاد ٦٤ ابوسمير غانم - المصريون المشرق ٣٠ : ٣٥٩-٣٦٠ ، ذكرى البطل ٣٥٠-٣٥٦ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٣ طوسون صفحه ٩٩-١٠٣ ، زيدان تاريخ ١٦٠ .

٢- القوات المسكرية المصرية في سوريه

بعد عقد معاهدة كوتاهيه (١٦ أيار ١٨٣٣) انسحب ابراهيم باشا بجيوشه من الاناضول الى البلاد التي تقرر ضمها الى حكومة محمد علي. وتولى منصبي القائد العام، والحاكم العام فيها. لكنه وجّه جلّ اهتمامه الى الشؤون العسكرية فجدّ في العمل لتأمين الحدود، واقرار الامن، والسكينه في البلاد. ورمم اسوار عكا، وحصن الحدود الشمالية تحت مراقبة مهندسين اوروبيين لصدّ هجوم الاتراك فيما لو حدثتهم نفوسهم ان يسترجعوا سورية(١).

ووزع جيشه الذى كان يبلغ نحو سبعين ألف مقاتل في جهات مختلفة من سورية، انما جعل معظمه في شماليها لأجل حماية الحدود كما انه جعل مقره العام في انطاكية مراعيا في اختياره اياها دون سواها موقعها الحربي (٢) وجودة هوائها وكثرة العلف في جوارها (٣) هكذا فضلا عن قربها من مصدر الخطر التركي (٤)، الذى كان لا بدّ له من السهر على مراقبته بنفسه. وزيد جيشه في ما بعد حتى بلغ نحو خمسه وثمانين ألفا هذا ما عدا المتجندين الحديثين من سوريه.

---

(١) ابوعز الدين ١٢٩.

(٢) Paton Vol, 2, P 115

(٣) بركات البطل الفاتح، ١٢٠.

(٤) ابوعزالدين ١٣٠، المطار ١٦٦،

Mao'z, (Moshe') Reform in syria p 13

التقسيـــم الاداري

الادارة المصريـــة فـــي سوريـــة

كانت سورية قبل أن ينستولي عليهاابراهيم باشا ، مقسمه الى اربعـــة اقسام كبرى وهي ولايات حلب ، وطرابلس ، ودمشق وصيدا ، وكانت القدس ويافا وغـــزة غير داخله في هذا التقسيم(١) . غير أن الوزير الذى يتولى الحكم على ولاية صيـــدا كان يبسط سلطته أحيانا على البلدان المذكوره وعلى ولايه طرابلس الشام .

وهكذا كانت الحال لما زحف ابراهيم باشا بجيشه على سوريه فان عبد اللـــه باشا والي صيدا ــ عكا كان متوليا اداره ولايه طرابلس الشام ، ومتسلطا على بـــلاد فلسطين حتى برية سينا . وكانت الاستانه المرجع الاعلى لحكام البلاد السوريه(٢) .

لكن بعد استيلاء ابراهيم باشا على سوريه وانضمام كيليكيا . ووضع تشكيـــل اداري جديد ، لحكومة البلاد فجعل ابراهيم باشا حاكما عاما ، وضمت عكا وسائـــر بلاد فلسطين حتى برية سينا الى ولاية الشام(٣) .

وعندما ازدادت مشاغل ابراهيم باشا العسكرية ، جعل الشهابي " مديـرا عاما للمصالح " يختم الاوراق التي يجب ختمها من الباشا (٤) . ثم رأى ان يفصـــل الادارة عن قيادة الجيش ، وان يعين حاكما عاما لسوريه . وعرض هذا المنصب الرفيـع على الامير بشير الشهابي فاعتذر . وعندئذ كتب ابراهيم الى والده يقترح تعييـــن

---

(١) ابو عز الدين ١٣١ .

(٢) كان عبدالله باشا يمضي المراسيم " السيد عبدالله والي طرابلس ومتصرف لواء غـــزة والرمله والقدس والخليل ونابلس وجنين " رستم الاصول العربية ١ : ٥٠-٥١ تاريـــخ محمد علي باشا المقتطف مجلد ٣٠ : ٩٠١ .

(٣) ابوعزالدين ١٣١-١٣٢ Mao'z, Reformin Syria p 13

(٤) رستم بشير ١ : ١٢٤ ، ابو سميراغانم المصريون في سوريه ولبنان منذ مائه سنـــه المشرق مجلد ٣٠ : ٦٦٢ ، في تاريخ سوريه ٢٤٧ ميخائيل مشاقه مخطوط مشهـــد العيان مكتبة الجامعة الاردنية رقم ٢٥٧ اخبار الاعيان ٤٨٦ ، نقولا ، ابعاد ٦٨ الاب قسطنطين الباشا صفحه مجهولة من تاريخ محمد على مجلة الكليه عدد ١٦ ، ٣٥٣ .

محمد شريف بك ، فوافق محمد علي ، ووصل محمد شريف الى دمشق في ٢٦ جمادى الآخر ١٢٤٨ بصفته حاكما عاما على سوريه ، واطلق عليه لقب حاكم (حكمدارعربشا ن) ومنح رتبة أمير لواء(١) .

وعاون الحاكم الجديد في مهمته هذه ، دوان حكمدار ، مؤلف من عدد كبير من الكتبه والتراجمه ، ورجال الاختصاص ، فكان منهم الشامي ، والمصري (٢) وعين الى جانب الحكمدار في دمشق يوحنا بحرى مديرا عاماللماليه ، واحاطه فيما بعد بديوان عام ، فينظر في ماليه البلاد (٣) . وأبقى على التقسيمات الادارية العثمانية القديمة ، ولكن استعيض عن كلمة اياله (ولايه) بمديرية رأسها مدير ، وأتبعها جميعا بالحكومة الحكمدارية في دمشق (٤) . وابراهيم باشا فوض الى كاخيته نجيب أفندى ، اداره شؤون الحكومه في عكا عند الاستيلاء عليها . فاستبدله في رمضان ١٢٤٩ / كانون الثاني ١٨٣٤ بالشيخ حسين عبد الهادى من زعماء نابلس ، وجعله تابعا لشريف باشا (٥) .

أما المدن الساحلية ، وهي صور ، وصيدا ، وبيروت ، فكان ابراهيم قد وجه متسلمين اليها عند فتحها في كانون اول ١٨٣١ (٦) . ثم عاد في تشرين أول ١٨٣٢ ففوّض ادارة شؤون بيروت ، وصيدا الى الامير بشير شهاب ، حاكم جبل لبنان ، فولى عليها متسلمين من أقاربه . فأرسل الامير بشير الامير ملحم حيدر الى بيروت ، والامير بشير ملحم الى صيدا ، والامير حسن أسعد الى صور (٧) . وعاد ابراهيم باشا

---

(١) رستم الاصول ٢ : ٥٠-٥١ بشير ٢ : ١٠٤ ، ابو عزالدين ١٣٢ ، المطار ٧٥ ،
Mao'z, p.13

(٢) رستم بشير ٢ : ١٠٤ ، تاريخ مقتطف ٣ : ٩٠٢ ، المطار ١٦٦ ، نقولا ابماد ٦٨ .

(٣) مشاقه مخطوط مشهد العيان ٢٤١ ابو سمرا غانم المصريون المشرق ٣ : ٦٦٢
Mao'z p.13

(٤) رستم بشير ٢ : ١٠٤ ابو عزالدين ١٣٢ ، المطار ٧٥ نقولا ابماد ٦٨ .

(٥) ابو عزالدين ١٣٢ ، المطار ١٦٧ نقولا ٦٩ مؤنس الشرق الاسلامي ١٣٠ ، زيدان تاريخ ١٦١ ، احد الاباء اليسوعيه مختصر تاريخ سوريه ولبنان ٢١٠ .

(٦) ابو عزالدين ١٣٢ ، المطار ١٦٧ ، رستم تاريخ : ٩٠٢ Mao'z p 14

(٧) اخبار الاعيان ٤٤٩ ، رستم الاصول ٢ : ٤٥-٤٦ البستاني تاريخ ٨ : ٦٤٩ ، ابوسمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٦٦٣ مشاقه مشهد العيان ٢٤١ ، بركات ٤٠ المطار ٧٥ .

في ١٨٣٣ فاستبدلهم وعين على بيروت الامير محمود نامي بك بعد عودته من فرنسا وابقاه فيها لمده سبع سنوات ١٨٣٣-١٨٤٠ " تنفست بيروت خلالها نسيما منعشا من الضرب المتمدن ، فاستيقظت من سبات العصور الوسطى ، وخطت خطواتها الاولى في سبيل رقيّها الحديث "(١) . وفيما بعد اعفى ابراهيم باشا غالبية المتسلمين عن متسلمياتهم وعين اناسا اختارهم بنفسه (٢) .

فالتشكيلات الادارية لم تقف على حال واحدة في اثناء قيام حكومة محمد علي في سوريه ، بل ان كثرة الاضطرابات ، واتساع دائرة الاعمال ، اوجبتا مراقبة الامور مراقبة شديدة ، لا يقوى عليها حاكم واحد . مما اضطر حكومة محمد علي الى ادخال تغييرات مستمرة على شكل الادارة ، فولى سليمان باشا الفرنساوي على مديرية صيدا ١٨٣٤ التي كانت قد سلخت عنها عكا ، وجعل مقره مدينة صيدا (٣) .

وسليمان باشا كان أفضل رجال ابراهيم باشا لهذا المنصب ، لانه كان أكثرهم أهليه لتنشيط التجارة ، واوسعهم خبرة بمعاملات الاجانب ، الذين كانت بيروت مركزا لقناصلهم ، وكان فيها ، أكثر واكبر بيوتهم التجارية (٤) . أما حلب فولى عليها سنة ١٨٣٨ اسماعيل بك عاصم أحد ابناء عم ابراهيم باشا ، وعيّن أحمد منيكلي باشا حاكما على أدنه ، وبعد انتقاله منها خلفه خورشيد باشا (٥) . واحتفظ جبل لبنان بامتيازاته ، فقد بقي مستقلا عن بقية المناطق السوريه ، ومرتبطا مباشرة مع محمد علي . (٦)

---

(١) رستم بيروت في عهد الامير محي الكليه ١٣ : ١٢٨ .

(٢) ابوعز الدين ١٣٢ . المطار ١٦٧ ، رستم تاريخ ٣ ٩٠٣ .

(٣) ابوعز الدين ١٣٢ - Paton Vol,2, pp115-116 المطار ٧٥ محمد كرد علي خطط ٣١ : ٧٥ .

(٤) مشافه - مشهد العيان ٢٤١ ابوعزالدين ١٣٣ Paton Vol 2 p 116

(٥) ابوعز الدين ١٣٤ . Paton p 116 ، المطار ٧٥ .

(٦) رستم بشير ٢ : ١٠٥ مشافه - مشهد العيان ٢٤١٠ ابو سمرا غانم - المصريون المشرق ٣٠ : ٦٦٣ .

وبقي " شريف باشا متوليا على الشام ، والبلاد الفلسطينية بما فيها عكــــا (١). أما توليه في بادئ الامر على جميع البلاد السوريه ، فواضح من تلقيبه " حكمـدار ، عربستان ". وتعززها الاوامر الصادرة منه الى انحاء مختلفه من الولايات السوريـــه ، والنصوص الوارده في تأليف بعض المعاصرين كنوفل نوفل . فقد قال في مخطوطـه كشف اللثام : " ان جريده ضبط مجالس المشورة ، كانت ترسل الى الشام ليراجعهـا يوحنا بك البحرى (٢) ". وهذا يدل على أن الشام كانت مركز الادارة العام حينئذ .

وقال نوفل أيضا : " ونصّب لكل بلده متسلما ، من أهل الاسلام ، ومرجـع الكل هو مركز الحكم العمومي الذي في الشام . وفيها يقيم الحكمدار العام ، الـذي هو شريف بك . . . . واخيرا وجه عليه رتبه مير ميران وكذلك مدير الحسابـات ، الذي هو الخواجا يوحنا بحرى ، وهذا بمنزلة دفتر عموم الولايات سوريه . واخيـرا صيرّه ميرلواء ، وصار يدعى بحرى بك" (٣) .

وقال طنوس الشدياق : " وفي ٩ جمادى الثاني ١٢٤٩ ، حضر كتاب من شريف بك الى الامير بشير الشهابي ، أن يأمر بعد اهالي جبل لبنان ، ويتحـرر دفاتر بأسامي كل مقاطعه ، على قدر احتمالها بوجه العدل . وتختم الدفاتـر من مشايخ القرى ، وبعده تختم من أمراء المقاطعه ، وترسل الى عنده . (٤)"

<u>المتسلـــم :-</u>

وكان لكل مدينه متسلم ، يتولى ادارة اعمال البلد ، ومراقبتها ، ويقـوم في احوال كثيره ، بالاعمال التي يقوم بها قضاة الصلح ، والمجالس البلدية (٥) .

---

(١) ابو عزالدين ١٣٣ ، Mao'z. p 14 محمود كرد علي خطط ج ٣، ٥٧ .
(٢) نوفل نوفل ، مخطوطه كشف اللثام عن محيا الحكومه والحكام موجوده بالجامعـة الاردنية تحت رقم ٨١ : ٤٩٣ زينن تاريخ ١٦٢ .
(٣) نوفل - كشف اللثام ٤٩٣ .
(٤) الشدياق ، اخبار الاعيان ٥٨٨ ، المطار ١ .
(٥) ابو عزالدين ٩٣٤ ، نوفل - كشف اللثام : ٤٩٤ مشافه - مشهد العيـان ٢٤٢ Mao'z p 15

المباشـــــر :-

وكان بمثابة امين سر المدينه ،واموال الفرده والمبدى مؤول عنها . وكان المباشرون عاده من المسيحين لأنهم كانوا اكثر من سواهم خبره ، باعمال الحسابيه (١) .

مجالس المشـــورة :-

أراد محمد علي ان يشرك الاعيان من اهل البلاد في الحكم ، فيستشيرهم في كثير من الامور ويحتفظ بالرأي الاخير لنفسه (٢) . ومن هنا مجالس المشوره التي نشأها في المدن وامهات القرى (٣) ، لسماع جميع الدعاوى واحالة الشرعيه منها الى قضاه الشرع ، وفصل الاداريه السياسية منها باتفاق الآراء واحالة القرارات النهائية الى المتسلم لتنفيذها (٤) .

فألف في كل مدينه عدد سكانها يتجاوز عشرين الفا ، مجلس سمّي " ديوان المشورة " عدد أعضاءه يتراوح ما بين ١٢ و ٢٢ عضوا ، مراعيا في ذلك عدد السكان . وكان هؤلاء الاعضاء ينتخبون من بين اعيان البلد ، وتجارها ، ويمثلون جميع المذاهب (٥) . ففي دمشق مثلا ، كان المجلس مؤلفا من ٢٢ عضوا من المسلمين والنصارى واليهود (٦) ورئيس هذا الديوان كان من اهل البلد ايضا ، ولم يكن هذا المجلس خاضعا لسلطة المتسلم او حاكم البلد . ورأى محمد علي ان يراعي في تشكيل هذا المجلس ، مبدأ تمثيل الطبقات ، والطوائف فجعله مؤلفا من " الاكابر " ، والاعيان ، وابناء البيوت ، والتجار ، واغاوات الحارات" (٧) .

---

(١) رستم ، بشير ٢ : ١٠٥ ابو عزالدين ١٣٤ . نوفل كشف اللثام : ٤٩٤ مشاقه ٢٤٢ محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٧ ، مختصر تاريخ ٢١١ ،

(٢) رستم بشير ٢ : ١٠٣ .

(٣) ابو عزالدين ١٣٤ بركات (كان هناك مجالس مشوره في عكا وبيروت ودمشق وحلب وعنيتاب وكلمس وغير ذلك) : البطل الفاتح ١٤٢ ، المطار ١٦٨ 15 p z'oam نوفل ٤٩١ .

(٤) مشاقه - مشهد العيان ٢٤٢ ، رستم بشير ٢ : ١٠٣ بركات ذكرى البطل الفاتح ١٤٢ .

(٥) رستم بشير ٢ : ١٠٣ ابو عزالدين ١٣٤ بركات البطل الفاتح ١٤٢ نوفل كشف اللثام ٤٩٥ مجله الكليه عدد ١٥ : ٤٥

(٦) ابو عزالدين ١٣٥ بركات: ٣٩ ، مشاقه - مشهد ٢٤٢ ابوسمراغانم المصريون ٣٠ : ٣٦٤ رستم - : بيروت في عهد ابراهيم باشا الكليه ١٣٠ و ١٢٨ نوفل كشف اللثام ٤٩٢ مجلة الكليه عدد ١٥ : ٤٥ ، محمد على خطط الشام ج ٣ : ٥٧ ، مشاقه تاريخ ٦٨٠ - ٦٨٢ فضة تصسر تاريخ سوريه ٢١١ ، حتى تاريخ سوريه ، ١٤٩ .

(٧) رستم بشير ٢ ، ١٠٣ : بركات ٣٩ .

وفي بيروت كان مجلس المشورة فيها مؤلفا من ١٢ عضوا ، وقد كتب لنا الدكتور اسد رستم في مقاله كتبها بمجلة الكلية عدد ١٣ تحت عنوان بيروت في عهد ابراهيم باشا صفحه ١٢٨ — ١٣٠ وصف لهذا الديوان (١) .

اما صلاحية هذه المجالس فانها لم تكن فيما يظهر دائما واضحه محددة ، فبينما نرى مجلس حلب ينصرف بكليته تقريبا للمحافظه على مصالح الحكومه المادريه (٢) ، يلاحظ ان محمد علي يأمر ابنه ابراهيم يتسبب في انشاء "مجلس شورى في قونيه" للنظر في أمور تلك البلاد ومصالحها ولاصدار البيانات اللازمه لتشويق الاهالي وحضهم على الطاعه" . ونرى في الوقت نفسه مجلس بيروت ينظر في بعض الدعاوى الحقوقية التجارية التي لا علاقه لها بمصالح الحكومة (٣) .

ومن التغييرات الادارية التي احدثتها حكومة محمد علي ، القضاء على النظام الاقطاعي ، وجعل اصحاب الاقطاعات في بادىء الامر موظفين بمرتبات مقررة لا تساوي عشر ماكانوا يستولون عليه من اقطاعاتهم (٤) ، وتدرجت الى عزلهم ، وتوليه سواهم في اماكنهم . هكذا عاملت الامراء بني الحرفوش في بعلبك ، والامراء من آل شهاب في بلاد حاصبيا وكذلك زعماء فلسطين (٥) ، حيث عمل ابراهيم باشا على ضم الاسر صاحبة النفوذ في البلاد ، والتي كانت قبل عهده مهضومه الجانب ، بأن قدم عليها خصومها . فأسرة عبد الهادى في جنوب سوريه ، فقد كان لها النفوذ الكبير على تلك البلاد الكثيرة الاضطراب ، فانزلت من مقامها ورفعت فوقها اسر اخرى

---

(١) رستم بيروت في عهد ابراهيم باشا واعمال الامير محمود ناميك فيها . مجلة الكلية عدد ١٣ : ١٢٨ — ١٣٠ .

(٢) رستم الاصول العربية ج ٤ ص ١٠٧ ، ٢٣١ زيدان تاريخ ١٦٢ .

(٣) رستم البطل ١٣١ .

(٤) مثلما رئيس العشيره ابي غوش مبلغ الف غرش شهريا ، مشاقة مشهد ٢٤٣ ، بركات ١٢٢ ، ابو سمرا غانم المصريون الشرق ٣٠ : ٣٦٣ ، رستم الاصول ٣ — ٤ : ١٨٠

Mao'z p 15

(٥) رستم بشير ٢ : ١٢٠ — ١٢١ تاريخ محمد علي المقتطف ٣٠ : ٩٢٠ مشاقة مشهد ٢٥٤ ، نوفل كشف اللثام ٤٩٣ ، مجلة الكليه عدد ١٥ : ٤٦ نقولا ابعاد ٧٠ محمد علي خطط ج ٣ : ٥٧ ، مشاقة تاريخ ٦٨٠ — ٦٨٢ مختصر تاريخ سوريه ٢١١ ، حتى تاريخ سوريه ١٤٩ .

من نابلس (١) . الى ان جاء الحكم المصرى فصارت مدينه باستعاده منزلتها السـ‍ـــي ابراهيم باشا . وعند ما مات الشيخ حسين عبد الهادى مدير ولاية صيدا عيـ‍ــــــن ابراهيم باشا أخاه محمودا خلفا له . ورقى ابنه صالحا الى رتبة أمير الاى فـــــي الحرس وأسدى جميع افراد هذه الاسره المناصب والرتب صارت مخلصه للحكومـــــة (٢) . على ان هذه التنظيمات رغم مالها من حسن المظهر ، ومع ما في وضعها من حســــن القصد . ادى تطبيقها الى خلل في الادارة ، واجحاف شديد بحقوق الاهليـــــن ، لان الحكام كانوا يجهلون او يتجاهلون حدود سلطتهم ، فاتسع المجال للفوضـــــى الادارية والاستبداد ، ونظرا لتجاوز كل منهم حدود وظيفته ، واعتدائه على سلطـــة غيره . وتناقض أعماله " هذا ما يحدث عاده قلة الاختبار عند تطبيق النظامات الجديدة (٣) .

يقول القنصل كتافاكو قنصل النمسا في عكا ، وصيدا في هذا المجال ، عـــن توظيف الحكومة المصرية في رساله ارسلها الى الكافاليرا أشربي قنصل النمسا فـــي الاسكندريه في ٢٦ شباط ١٨٣٣ : " كان يجب على الحكومة الجديده ، ان تفكـــر بتنظيم دوائرها ، وان تنتخب موظفين أفضل من الحاليين ، فقد ابقت تقريبا كـــل الموظفين القدماء في مناصبهم ، ويدون تمييز بين الصالح وغيره . وأقول بجساره أنها لم تحسن عملا في ذلك لانّ الجميع يشكون من استبداد هؤلاء الموظفين وخاصـــة المدعو ميخائيل المورا " (٤) .

أدرك ابراهيم باشا هذا الفساد والخلل ، وعمل على مراقبة الادارة الجديدة ، وراقبها مراقبه قويه وشديده وتفهم ضعفها ، فكتب مرارا وتكرارا الى القاهرة ، يشكـــو هذا الاضطراب الذى وقع في هذه الادارة ، وسأبين فيما بعد كيف ان ابراهيم باشـــا

---

(١) الاسر التي كانت صاحبة النفوذ والسلطه آل جرار ، وآل القاسم ، وآل النمــــر ، وآل طوقـــان ، رستم بشير ٢ : ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٢١ ، بركـــــات البطل الفاتح ١٢٠ ابوعز الدين ١٢٧ .

(٣) ابوعزالدين ١٣٨ ، Mao'z:p15 نوفل كشف اللثام ٤٩٣ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ ص ٥٧ .

(٤) قرأ لي فتوحات ابراهيم باشا فـــــي سوريه ولبنان وفلسطين نقلا عن تقاريــــر كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا نشرها وعلق عليها الخورى بولص قرأ لي بيت شبـــاب ١٩٣٧ ميخائيل المورا هو والد وصاحب تاريخ سليمان باشا والي عكا .

كان باستمرار يشاور أباه في مثل هذه الامور وغيرها وكأنه لم يكن له صلاحيات واسعة وكأنه كان تابعا لوالده ولم يكن له رأيا مستقلا لكن هذا سأتحدث عنه فيما بعد . فعزا ابراهيم باشا الاضطراب في الادارة الى أعمال الموظفين ، وانصرافهم الى ملذاتهم وشؤونهم الشخصيه (١) . وبين هؤلاء محمد شريف باشا حكدار عربستان" فهذا صارما مستبدا ، وكان مولعا في جمع المال بطرق غير مشروعه ، وحملته صلة القربى بمحمد علي على الظن انه لا يحاسب على مايفعل (٢) .

وكان اسماعيل عاصم بك حاكم حلب محبا للمال ، احتكر لنفسه الاتجار باللحوم والفواكه والبقول وما شاكل ذلك ، وكان يستثمر بعض الاراضي الزراعية ، ويبيع محصولاتها للتجار بالمزاد . ولا يسمح لغير الذين اشتروا منه ان يبيعوا ما عندهم من جنس محصولاته الا بعدما يفرغ الذين اشتروا منه من بيع ما اشتروه (٣) .

ويقال ان يوحنا بحري ، وأخوه جرمانوس الذي يتولى ادارة ، وحسابات ولاية حلب ، لم يكونا اكثر نزاهه ، ورفقا بالناس من شريف باشا واسماعيل بك . وكان حنا يتخذ مختلف الوسائل لتبرير دخل الخزينه ويكون له شأن لدى محمد علي ، وابراهيم باشا من ذلك ، ان كان يلزم بعض الاصناف التجاريه في المدن كاللحم والبقول وغيرها باسعار عاليه ، ويسمح للملتزمين بيعها باكثر من ضعفي ثمنها فتربح الخزينه والملتزمون أرباحا فاحشه ، كما يخسر الاهلون خساره جسيمه لغلاء لوازم معيشتهم (٤) . وكان جرمانوس فيحذوا حذو اخيه في سياسته الماليه ويشارك اسماعيل بك حاكم حلب في ابتزاز الاموال (٥) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٠٢ ، ابو عز الدين ١٣٨ Mao'z, p 15

(٢) يروى شاقه ـ مشهد العيان ٢٤٤ ـ عن محمد شريف باشا فيقول " كان على جانب عظيم من الذكاء والانصاف الا انه كان صارما جدا ، ولا يشفق على مذنب ولا يرحم مسترحما فأمات كثيرين من الضرب بالسياط ، فالذي يستحق منه الضرب عشرين سوطا يضربه خمسمائه سوط . وقد شاهدته يجلد انسانا اغمي عليه والدم ينزف من رجليه .

(٣) ابو عز الدين ١٣٨ ، ابو سمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٣ محمد كرد علي خطط ٣ : ٥٦ رستم بشير ٢ : ١٠٥ تاريخ محمد على مقتطف ٣٠ : ٩٠٣ نوفل كشف اللثام ٤٩٤ ومجلة الكليه عدد ١٥ : ٤٧ مشاقة تاريخ ٦٨٢ .

(٤) ابو عزالدين ١٣٨ ، مشاقه مشهد العيان ٢٤٥ ، نوفل ٤٩٤ ، Mao'z p 16

(٥) مشاقه مشهد العيان ٢٤٤ ، ابو عزالدين ١٣٩ ، ابو سمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٤ .

فالحاجه والفساد الاداري المنتشره بين عمال الحكومه على اختلاف طبقاتهم كانت قد دفعتهم الى اتخاذ اساليب مختلفه لكسب المال بطرق غير مشروعه. (١) وكان المباشرون يأخذون المال من الناس بغير وجه حق ، ولم يكونوا مطالبين بتقديم ضمان مالي يخشون فقده . فيما لو اختلسوا الاموال ، كما ان مرتباتهم كانت صغيرة ، لا تكفي لسد حاجاتهم واعاشه عائلاتهم (٢) . ولم يحل وجود ديوان المشوره دون وقوع المظالم بل هو نفسه كان مصدرا لكثير منها (٣) .

أمام هذا كله كانت الادارة ملوثه تلويثا، كما وصفها ابراهيم باشا نفسه ، واخذ يعمل على معالجة المشاكل القائمه فوجد جميع المسؤولين يهملون في اعمالهم وواجباتهم انه ذهب ابراهيم باشا الى ديوان المشوره في دمشق ، لمس تراكم أعمال المجلس سنة ونصف . ولم يسمح لأعضاء هذا المجلس بأن يغادروا عملهم مده عدة أيام الى أن أتموا الاعمال التي كانت متراكمه (٤) .

وذكر المستر فيرى قنصل انكلترا في دمشق الى حكومته سنة ١٨٣٥ الا أن ابراهيم باشا فتش في أثناء اقامته هنا أعمال الحكومه والحكام ، فوجد في أعمالهم ما يوجب المؤآخذه ، والعقاب . فطرد عددا كبيرا من الموظفين ، وانزل رتب البعض ، وحكم على احد حجاب شريف باشا الحاكم العام بالسجن خمس سنين في عكا" (٥) .

وشكى ابراهيم باشا ارتباك الامور في مديريه صيدا سنة ١٨٣٥ ، فأفاد أن رجلا اتى اليه ، وادّعى أنه بامكانه أن يثبت أن متسلم غزه اختلس مالا يقل عن ألفي كيس ، وانه قرر أن يقضي فصل الشتاء في هذه المديريه للاعتناء بشؤونها (٦) .

---

(١) ابو عز الدين ١٤٠ ، نوفل ٤٩٤ العطار ١٦٨ Mao'z p 16

(٢) مشاقه مشهد ٢٤٥ بركات البطل الفاتح ١٣٨ - ١٤٠ نقولا ابعاد ٧١ .

(٣) مشاقه مشهد ٢٤٥ ابو سمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٤ .

(٤) بركات البطل ١٤٣ . نقلا عن تقارير للمستر فيرى قنصل انكلترا في دمشق .

(٥) بركات : ١٤٣ نوفل ٤٩٤ ، مجلة الكليه عدد ١٥ : ٤٧ نقولا ابعاد ٧١ ، محمد كرد على خطط ج ٣ : ٥٧ .

(٦) رستم بشير ٢ : ١٠٦ Mao'z : p 17 نوفل ٤٩٥ .

وكتب ابراهيم باشا في احدى رسائله الى معاون والده سنة ١٨٣٥ يقول " اخي تعلمون اني مريض أتمتع بالصحه يوما فينتسابني المرض يومين ، وانني انتقل من محل الى آخر لاخماد الثورات ، التي تظهر بدون انقطاع . ولذا فانني لا أقدر على ادارة الشؤون العسكرية ، والمدنية في آن واحد . فلا بدّ والحالة هذه من تعيين شخص يكرّس ، وقته للشؤون المدنية ، واني أرى في شرمي افندى خير من يقوم بهذه المهمه . فاذا وافقت الادارة السنة على تعيينه قام هو بالتفتيش وقمنا نحن بتفتيش آرائه "(١) .

قال ابراهيم باشا في الرد على خطاب التمس فيه الحكمدار صرف مرتبات نظار المستودعات ، مره كل اربعة شهور قال : " أيها الباشا اذا كان لهؤلاء طلب فلنا واحد وعشرون مرتبا ، وقد كتبت اليك غير مره في مسألة النقود ، وكانت تأتي منك كتب تحتوى كل منها اربع مئه سطر لا ذكر فيها للنقود . وهل يرضى الله تعالى أن ينام الناس في أحضان ازواجهم ويظل الجنود والتمساء تائهين في الجبال وبين الصخور وليس لديهم نقود (٢) . حلت مشكلة رواتبهم بأن صرف لهم مرتب واحد عن كل شهرين (٣) .

وكتب محمد شريف الى الامير بشير في الموضوع نفسه ما نصه " وردت ورقتكم المتضمنه خصوص استنظار الميسويه من شأن صدقه يامير يلزم في هذا الخصوص تحكم علينا . في الواقع يقولوا الصدقات ترد البلا وتزيد العمر . ولكن في حقنا العسكر يقالهم واحد وعشرين شهر لم اخذوا نصف فضه " (٤) .

وكان محمد علي بنوع خاص شديد الاهتمام بالمال يقول : " ان النقود رأس مال كل عمل ويوجب بذل الهمه في تحصيلها على كل محب مخلص له " . ولا غرو في ذلك فالمال المقنن عليه سنويا للانسانيه فقط بلغ في اوائل عقده في الشام ١٫٩٨٧٫٧٦٥ غرش .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٠٦ .
(٢) رستم بشير ٢ : ١٠٧ .
(٣) رستم بشير ٢ : ١٠٧ .
(٤) رستم بشير ٢ : ١٠٨ .

ثم طلب منه بموجب جداول ممثله في الاستانه ٥٠٢٢٠١٥ غرشا واذا ذكرنا المبالغ الطائله التي يستوفي بها رجال الاستانه ونفقات جيشه العظيم واسطوله الكبير وادارته الواسعه اذا ذكرنا جميع هذا رفضنا لومنا عن هذا الرجل الفذ في تمسكه بالمال وفي الحاحه على رجاله بوجوب جمعه وضبطه .

شعر محمد علي بما تقدم فانشأ في الشام اداره خاصة للمال وعين على رأسها برتبه مدير ضابحري بك ثم ارفق كل متسلم في البلاد بموظف مالي خاص اطلق عليه لقب الصراف . وحاول بحري بك ان يجمع ما امكنه من المال وان يقوم بواجبه كمحب مخلص" .

وقال بحري بك في كتاب رفعه الى ابراهيم باشا " ان الموظفين الملكيين مثل المتسلم ، والكاتب أصبحوا في حاجه الى قوتهم اليومي من جراء عدم صرف مرتباتهم لموقوفه . وحيث انهم أصحاب أولاد وليس لديهم مورد رزق آخر فلان يستبعدوا والحالة هذه أن يفتروا عن أداء الواجب ، وان يميزوا بدافع الضروره أيدي العبث . والتطاول الى مصالح الاميريه المحوله الى عهدتهم ،والى أموال الاهالي ، ولذلك اني اقترح ما يأتي : يصرف مرتب شهرين لمن أوقفت مرتباتهم سته أشهر ثم يصرف مرتب شهر واحد كل شهرين كما هو جار مع أفراد الجيش"(١) .

وتقدم بحري بك باقتراح لاصلاح الاداره الماله أمام هذا الوضع المتردي جاء فيه مايلي :

اولا : تحديد المبالغ المطلوبه من كل مديريه ومدينه وقريه وطبعها بوضوح في دفاتر معينه ، وطبع غيرها للمحاسبه ، وتعليم خطباء القرى ووفقهائها استعمال هذه الاوراق والدفاتر وتعين خطيب لكل قريتين او ثلاث ، وتعيين معاون لكل خمسين قريه يشرف على أعمال الخطباء ، وكاتب يقوم بتعليمهم عند الحاجه .

ثانيا : مراقبة القرى ، وحمايتها من جور التجار واعتداء اصحاب القوه والاقتدار وشذوذ الموظفين واستخفافهم بالقانون .

ثالثا : اعداد دفاتر يوضع على رأس كل صحيفه منها رقمها المتسلسل ، وتختم بخاتم ديوان الحكومه وتوزع على الجهات التي تستعمل فيها .

رابعا : الاهتمام بضبط المكاييل والموازين ، وابطال ما كان مختلا منها .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٠٩ .

خامسا : جرد النقود الموجوده لدى الصيارفه في اوقات غير معلومه وفحص حساباتهم[١] . تقدم مدير الماليه بهذا الاقتراح ، ولكن لم اتمكن من معرفه ماذا تأتى عنه . الا انها تبقى خطوه الى الامام من اجل اصلاح الامور الماليه ، وانقاذها من الفوضى التي تتخبط بها .

عندما تم اصلاح الدواوين في مصر وانتهى على تقسيمها الى اقلام واسس قلم خاص " بمصالح بر الشام " . فكتب محمد على الى الحكمدار يقول : لما كان لبر الشام ككل قطر من الاقطار مصطلحات وقواعد قد يتشكل أمرها ويستبهم فهمها على رجال هذا القلم فالباب العالي . يطلب الى شريف باشا ان يختار رجلا ذا فطنه ود رايه مطلقا على قواعد بر الشام فيرسله عاجلا الى مصر ليستقيم في القلم المذكور فيستعان بمعرفانه عما يلزم حينا فحينا . ثم يعود فيقول " انه عاد ففكر في كثرة ريالات بر الشام فاستبعد وجود رجل واحد تيسر له معرفة اصول كافه الايالات ولهذا فانه يرى ان يستحدث في بر الشام قلم صغير خاص لمصالح المقاطعات والالتزامات يتولى بحث الاوراق المديده وتدقيقها هناك ثم يبعث بخلاصه بحثه وتتيجه تدقيقه الى مصر . يفضل الباب العالى على هذا على ارسال الدفاتر والاوراق المتنوعه الى مصر وتستطلع رأى شريف باشا بالامر . (٢)

ومما فعله ابراهيم باشا في اصلاح الاداره هو مكافحته للرشوه التي كانت متتشره بين كبار موظفيه ، فأمر ، والده بالتثبت عما يقال في هذا الموضوع ، وسمح بالشنق عند ثبوت الجرم . فنفذ حكم الاعدام اكثره من مره في اناس ثبت عليهم هذا الجرم[٣] .

قال ابراهيم باشا في كتاب ارسله الى سامي بك الياشمعون " ستعطلون عندما تقرأون أوراق نعوم نوفل ، أن أهل عربستان ميالون جدا الى أخذ الرشوه ، ومراعاه الخواطر حتى أدى ذلك الى اكتشاف خيانة بعض المتسلمين ومحاسبتهم وعزلهم . وقد تحملنا في سبيل انقاذهم من بليه الرشوه كثيرا من العناء ، ولكنا لو تركناهم على حالهم لخاضوا في السلب ، والنهب خوض المقدمين على الغاره[٤] " .

---

(١) رستم بشيبين السلطان والعزيز الجزء الثاني : ١٠٧ .
(٢) رستم ذكرى البطل الفاتح ١٢٣ .
(٣) رستم بشير ٢ : ١٠٨ لا يذكر الدكتور اسد رستم أيا من الاسماء كما انني لم اتمكن من معرفة ايا من الاسماء .
(٤) رستم بشير ٢ : ١٠٨ .

وقال الكولونيك كامبل قنصل انكلترا في الا سكندريه الى حكومته سنة ١٨٣٤ ، " كان من عادة اعيان سوريله ان يقدموا في شهر رمضان الهدايا للولاء والحكام ، وقد أمر ابراهيم باشا بمنع هذه الهدايا لانها لا تخلو من معنى الرشوه "(١)

ولكن بالرغم من الحرص الشديد الذى اتخذه ابراهيم باشا لمنع الرشوة فكان لا يخلو الامر من ذلك . وحدث مرّة ان اهالي الناصره تظلموا من سلب الحاكم الاموال ، فأمره ابراهيم باشا بأن يقدم حساباته بدلا ابقاء ، فظهر له انه زاد مبلغ ٦٠٠٠ قرش على الضرائب . ولما كان هذا الموظف لم يصرف في الخدمة سوى ١٢ شهرا . فأمر بسجنه في سجن عكا ١٢ شهرا كاملا . (٢)

ويمكن القول بأن ابراهيم باشا اراد الاصلاح والعمل ، لذلك حاول ان يكون حوله جميع الذين يستطيعون الخدمه ، وخدمه المصلحه ، ولكن حال دون مراميه اربعة أمور :

الاول : فقر البلاد بالرجال الصالحين لتولي العمل .
الثاني : فساد الموظفين واخذهم بالطرق القديمه .
الثالث : عدم تعاون سكان سوريه مع الادارة الجديده بشكل عام .
الرابع : ان ابراهيم باشا على ما يظهر لم يكن مطلقا اليد باستمرار بل كان عليه باستمرار مراجعة والده في كل صغيره وكبيره .

ولنا فيما قاله الكولونيل كامبل قنصل انكلترا في الاسكندريه الى حكومته سنه ١٨٣٤ دليل على ذلك قال : " ان هذا الاميركان محبا للعدالة ولما كان متوليا أمور سوريه ، لم يهمل وسيله من الوسائل لكبح جماح الموظفين ، وقمع فساد هم . فأنزل قيمة الفوائد المالية ، والربا الذى كان يحصله الصراف ، والمرابون وفتح بابه لكل سائل ، ومتظلم ، وكان الناس يقيمون في فرصة خروجه من باب ديوانه ليبطوا له ظلاماتهم . دون شاهد عيان أن جبليا اعترض لابراهيم باشا في طريقه ليبسط له ظلامته ، فلما ضاق صدر الباشا . قال له : " ياعزيزى لقد طالعت اليوم مائتي عريضه ، وأود أن ارتاح قليلا فثق بأن عريضتك ستكون موضوع عنايتي "(٣) .

---

(١) Rustum, the Royal Archives at Egypt And the Disturpances in Palestine 1834. Beirut. 1938 p 40

(٢) قرأ لي فتوحات ٣٣ ، بركات البطل الفاتح ١٤٤ كرتبيس ، ١٧٣ .

(٣) Rustum the disturpanses p 41 وبركات البطل الفاتح ١٤٤ .

لكن لا يسع المنصف الا الاعتراف بان المبادئ التي شاء محمد على وابنه ان يؤسس عليها الاداره في سوريه كانت صحيحه بوجه عام . لانها كانت ترمي الى تنظيم الاعمال ، وتوزيع الاختصاص بين هيئات مختلفه ، ومنع الاستبداد بتقييد الحكام ، وغيرهم من الموظفين بالنصوص القانونيه ، وتدريب الاهلين على اداره شؤونهم المحليه .

غير أن جهل الحكام في كيفية تطبيق القوانين ، وقدراتهم الاستبداديـة ، وعدم وجود مراقبه فعاله على اعمالهم ، وعدم مراعاه تقاليد البلاد ، وعاداتها وكثرة الاضطرابات في البلاد . حالت دون بلوغ الغايه التي وضعت تلك القوانين من اجلها .

ولابراهيم باشا فضل خاص في السنين الاولى من حكمه بعد الفتح في ضبط الاحكام ، وشدة مراقبة الحكام واجراء العدل بين الاهلين . وكان شديد الوطأة على المستخدمين الذين يحيدون عن السبيل القويم . فلو استمدت حكومه محمد علي في سوريه ناجحه هذا المنهج القويم لملكت قلوب السوريين (1) .

---

(١) ابو عز الدين ١٣٩-١٤٠ .

٣ـ القضاء في سوريه

كان القضاء العثماني في سوريه قبل عهد محمد علي مستمدا من الشرع الشريف ، وكان النظر في القضايا الجزائيه من اختصاص الباشا او كاخيته . اما القضايا المدنيه ، فكان النظر فيها من اختصاص القاضي ، وكان العدل في الاحكام يتوقف على نزاهه القاضي او الحاكم ، على ان كفه العدل كانت راجحه (١) .

ومن مزايا المحاكمات في ذلك العهد هو ان المرجع المختص بها معينا تعيينا جليا يعرفه الخاص والعام ، مقترنا ببساطه الاجراءآت ، وقلة النفقات وسرعة الحكم والتنفيذ (٢) .

أما حكومة محمد علي في سوريه فوضعت أنظمه جديده ومشابهه بوجه عام لانظمة بعض البلدان الاوروبيه (كفرنسا) . وأبقت على القضاء الشرعي مراعاه لشعور الشعب الاسلامي ، وهكذا تعددت السلطات ، وتوزعت الاعمال القضائيه مابين الحاكم ، والقاضي المنفرد ، والمحاكم ، وديوان المشوره . وكانوا جميعا قليلي الاختبار بالاعمال التي انتدبوا للقيام بها ، والقوانين التي عهد اليهم العمل بموجبها(٣)

كما ان المتقاضين حاروا مابين هذه المراجع المختلفه ، بل أن اصحاب الاختصاص انفسهم كانوا يخطئون في تعيين المسائل التي يعود اليهم حق النظر فيها ، ويتعدون حدود سلطتهم فكثر الارتباك في دوائر القضاء بسبب غموض النصوص ، وحداثه عهد النظام(٤) ، وقله اختبار القائمين بتطبيقه .

كان يؤم الشام في العهد العثماني في مطلع كل سنه قضاه ثلاثه ، يعينهم قاضي العسكر لتيولوا القضاء في حلب ، ودمشق ، والقدس . فاما أن يعودوا من حيث أتوا في آخر السنه أو أن يحدد ولا يتهم سنه ثانيه . (٥)

---

(١) ابو عز الدين ـ ابراهيم باشا : ١٤١ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤١ .
(٣) رستم القضاء في بيروت قبل مائه سنه المشرق ٣١ : ٤٠١ .
(٤) المرجع السابق ص ٣١ : ٤٠١ .
(٥) رستم ، بشير ٢ : ١٠٥ ، العطار ٧٥ .

وكان محمد علي فيما يظهر قليل الثقه بهؤلاء يخشى تدخلهم في السياسة فأمران يراقبوا مراقبه شديده ، وان يعرضوا احكامهم على الحكمدار ، اوالمدير قبل اصدارها . (١)

ولا يخفى ما احدثته الحكومه المصريه من التغيرات القضائيه في سوريه من انشاء مجالس الشوره ، ومجالس التجاره ، ومن حيث المرافعه في دمشق ، وعكا والاستئناف الى الاسكندريه (٢) .

أما بوجه عام فقد كان اختصاص السلطات القضائيه كما يلي :
كان في كل مدينه قاض ينظر في القضايا الجزئيه ، المنازعات المحليه ، والمعاملات التجاريه ، ويتولى التصديق على عقود البيع والهبه ، وماشاكل ذلك (٣) . ويتقاضى رسما للتصديق قدره ما بين واحد واثنين وربع في المئه من قيمه العقار المسجل (٤) .

أما القضايا الكبرى ، فكانت تنظر في المحاكم المؤلفه من قاضي ، وعضوين او اكثر ، وكان لكل محكمه كاتب لتسجيل أحكامها . اما المرجع الاستئنافي فكان قاضي القضاه ، وكان الاعدام من اختصاص كبار الحكام كشريف باشا ، وسليمان باشا ، وخورشيد باشا . وكان هؤلاء يرسلون الاحكام عاده الى ابراهيم باشا لأجل التصديق ، وفي بعض الاحوال كانوا ينفذونها قبل التصديق عليها (٥) منه .

وكان الجزاء التأديبي الضرب بالعصي ، وكان لصغار المأمورين ، وشيوخ البلدان سلطه الحكم بالضرب ، وكثيرا ما كان هؤلاء يسيئون استعمال هذه السلطة في الحكم والتنفيذ (٦) .

---

(١) رستم ، بشير ٢ : ١٠٥ ، العطار ٧٥ .
(٢) رستم الاصول العربيه ٢ : (٣١–٣٥ ، ٣– ٤ : ١٠٦ ، ٥: ٦٢–٦٦ .
(٣) رستم : القضاء في بيروت قبل مائه سنه المشرق (٣١ : ٤٠٣ ، العطار ٧٥ .
(٤) ابوعزالدين ، ١٤٢ ، العطار ١٦٨ رستم القضاء في بيروت قبل مائة سنه المشرق (٣١ : ٤٠٣ .
(٥) ابوعزالدين ، ١٤٢ ، العطار ٧٥ .
(٦) ابوعزالدين ، ١٤٢ ، رستم القضاء في بيروت قبل مائه سنه المشرق (٣١–٤٠٢ .

أما دواوين المشوره فقد ذكرت قبلا طريقه اجراءآتها اما اختصاصاتها فقد ذكر عنها نوفل نوفل في مخطوطه كشف اللثام قال : " ان القاعده الاساسيه في تلك المجالس هي مراعاه صوالح الميرى ، وقلّما تتداخل في غير ذلك من الدعاوى التي لا علاقه لها في الاموال الأميريه . وليس لأحد غير الاعضاء حق الدخول اليها ليسمع المفاوضات ، والمذكرات التي تجرى فيها ... (1)

" وفي المجالس كانت تستمع دعاوى الاراضي واموال الاطيان المرتبه على الفدن ، ويبحث فيها عن ضائعات الميرى ، وعائدات القرى ، وتعطى المقاطعات ، والاقلام الالتزاميه ، والرسوم الميريه بعد ان يقرر مزاد بدلاتها على الراغبين ، ومنها مكان من البدع المكروهه التي تشمئز نفوس الاكثرين منها ومن استماع دعاويها كقلم الخمارات وغيرها .... (2) " .

وكانت المذكرات التي تحصل بين الاعضاء تكتب في جريده بالضبط تحت اسم المتكلم وفي رأس كل شهر ترسل تلك الجريده الى الشام ليراجعها يوحنا بك البحرى ، وينقحها واذا وجد فيها رأيا متقدما من احد الاعضاء مخلا بفائده الميرى اعترض عليه ، وضمن خساره لصاحب ذلك الرأى . لكن لم يقع من ذلك الا النادر للغايه اذ ان هذه القاعده اوجبت الاعضاء بأن يستوفوا للميرى فوق حقوقها ولو اخذ ذلك بالاهالي واجحف بحقوقهم (3) " .

هناك تقرير يعطينا الصوره العامه التي كان عليها القضاء في سوريه في عهد محمد علي . كتب الولونيل كامبل قنصل انكلترا في الاسكندريه في سنة ١٨٣٧ يقول : " ان القضاء في سوريه قد سار في مده قصيره سيرته في مصر ، بعد طول الاختبار . فقد كان القاضي الشرعي يحكم في جميع القضايا ، وكان الباب العالي يعيّن المفتي والقاضي في كل سنه ، وهؤلاء يحكمون باحكام الشريعه ، وكانت لا تقبل شهاده المسيحي الا في حاله عدم وجود الشاهد المسلم ، ولا يستطيع انسان

---

(١) نوفل ـ كشف اللثام : ٤٩٢ ، العطار ٧٦ .
(٢) المصدر نفسه ٤٩٣ .
(٣) المصدر السابق ٤٩٣ .

ان يتصور الفساد والرشوه . حتى انهم كانوا يعرفون في استانبول قهوة للشهود الزور ، يقاول الواحد منهم على شهادته ، وعلى مده الأيام التي يستخدم فيها لأداء هذه الشهاده . وقد يتمكن المفتي في مدى السنه التي يعيّن فيها من جمع ثروه طائله ، لأن تعيين القاضي ليس بالجداره والاستحقاق بل الثمن واذا لم يكن بالمكان محمد على ازاله ذلك كله دفعه واحده . الا انه خفف منه كثيرا جدا ، واكبر عمل عمله انه لا يسمح للمحكمه بنظر القضيه الا اذا تلقت اذنا بذلك من الحاكم ، فالى الحاكم تقدم مذكره بموضوع القضيه وهو يصدر بعد ذلك الاذن ، والحاكم لا يمنع نظر اية قضيه ماعدا القضايا الجنائيه . اما قضايا الاموال الشخصيه ، وقضايا الملكيه والمذهب الخ ، فان الحاكم يدرس مذكرتها ثم يحيلها الى القاضي بقرار يتلخص من الموضوع . اما قضايا الضرائب والتجاره والديون الخ ، فانها تحال على ديوان المشوره [1] ".

---

(١) بركات البطل الفاتح : ٦٤٢ ، العطار ١٦٨ .

٤- الماليـــه فـــي سوريـــه

عمل ابراهيم باشا في بدايه حكمه للبلاد السوريه ، على الغاء بعض الضرائب التي كانت موجوده . فقد الغى ابراهيم باشا ضرائب المتسلمين في السنوات الاولى من حكمه . وفي نابلس الغى الضرائب على طواحين نابلس ، وضريبه على الزيتون . وضريبه على اصحاب الحرف وبائعي الخضار (1) . وشرح في احدى مراسيمه في ١٣ ربيع الاخر ١٢٤٨ أنواع المشقات التي تحملها الناس في العهود السابقه ، من مظالم الحكام وعوائد عدا عن الاموال الاميريه (2) .

واضاف المرسوم الموجه الى حكمدار الشام ١٢٤٨ / ١٨٣٢ " وحيث ان الله سبحانه قد أنقذهم بادخالهم تحت الحكومه المصريه واجب ، وفرض عن التثبيت باستحضار أسباب راحتهم ، وعدم ضررهم بمنع هذه التوزيعات وابطالها بالكليه(3) " .

وارسل حكمدار الشام صوره هذا المرسوم الى الشيخ محمد القاسم متسلم نابلس للعمل بموجبه ، وتنفيذ ما جاء به وقال له : " ويكون معلومكم انه عدا الاموال الميريه والمهمات العايده الى الخزينه من الان وصاعدا لا تسمح ارادتنا بتوزيع عوايد متسلمين ، وخدامه ، ومصارف ، ولا نصف فضه واحده خلاف الميريه ، ولكل من يتجاسر ووزع شيء مثل هذا على الرعايا يكون خالف أمرنا . ووقع تحت المرام ولزم يعرف ذلك كل قريه ، وكل بلد ولا يدفع احد سوى الميرى (4) " .

وسنع ابراهيم باشا جبايه " الخوه " وهي ضريبه على كل مار بالطريق ، ما بين يافا ، وغزه ، وبئر السبع ، وكانت الدوله العثمانيه قد غضت النظر في جبايتها (5) . واصبح جباه هذه الخوه أسيادا في مناطقهم منهم آل ابي غوش في

---

(١) رستم ، الاصول العربيه ٢ : ٤٠-٤١ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٠-٤١ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٨ .

(٤) سجلات محكمة نابلس الشرعيه ، موجودا بعضها في مركز الوثائق بالجامعة الاردنيه ، كان قد صورّها واعتمد عليها الزميل اكرم الراميني ، حينما كتب عن نابلس في القرن التاسع عشر . سجل ٩ : ١٩٤ . الاصول العربيه ٢ : ١٤٨ — ١٥٠ .

(٥) رستم : بشير ٢ : ٩٧ — ٩٨ .

الطريق المذكور . وكذلك آل رستم في الطريق المؤدي من اللاذقيه ، الى حلب عبر جسر شغور ، والدنادشه في تل كلخ بين طرابلس ، وحمص . (١)

ومما قاله ابراهيم باشا في نص مرسوم وجهه في ٣ محرم ١٢٤٨ الى قاضي القدس ، ومفتيها ، ونقيبها ، وأعيانها جاء فيه : في هذا الصدد " تعلمون أن في بيت المقدس كثيرا من الديارات ، والكنائس ، والاثار الدينيه ، التي تحج اليها في كل عام طوائف النصرانيه ، واليهود . وقد شكا الينا هؤلاء مما يذوقونه منكم من العنف والقسوه ، والغلظه عليهم ، والتحقير لدينهم ، فضلا عما انتم فارضوه عليهم من التكاليف ، والمغارم الفادحه ، غير ناظرين الا الى ارضاء انفسكم ، والعمل بسواكم على ان هذه الغايات الدنيئه ، والافعال الرديئه لا ترضاها النفوس الأبيه ، ولا يصح السكوت عليها . ولذلك انهاكم ، حذركم من عاقبة التعرض لأولئك القوم ، وأسألكم أن تفسحوا لجماعه القسيسين ، والرهبان ، والشمامسه أهل ذلك البيت المقدس من جميع المذاهب . قبطا كانوا أم روما ، أو ارضا في دينهم ، ودنياهم ولا تمنعوهم من اقامة شعائر دينهم ، ولا تأخذوا ممن يذهبون زائرين الى بحر الشريعه شيئا من الكلف ، والمغارم . ولا تضيّقوا ، على زائري كنيسه القيامه ، ولا تلزموا الصغار بدفع المال فان أطعتم أحسنتم لأنفسكم ، وان خالفتم أسأتم اليها . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٢) " .

كما ألغى ابراهيم باشا في بدايه حكمه ايضا بعض الضرائب التي كانت مفروضة على الاهالي في منطقه حلب . يفهم من مرسوم موجه الى ابراهيم انفا متسلم حلب في ٢٢ ربيع الاول ١٢٤٨ ، يطلب منه ابراهيم باشا عدم اعطاء أموال من الخزينة الى القبائل الرحل في بادية الشام وحوران ، وشرقي الاردن وان يمتنع عن دفع " الصرر " اليهم . واعتبر ابراهيم باشا ان هذه الاموال المدفوعه هي تجمع اصلا من السكان ولا يجوز ذلك (٣) . حيث كان هؤلاء البدو قبل دخول ابراهيم باشا لسوريه ، يقومون بأخذ مبلغا معينا من المال لهم من بعض القرى ، في منطقه حلب الخاضعة لنفوذهم . وكانت تجمعها لهم الدوله العثمانيه من السكان وتعطيها اياهم مقابل توفير الحمايه لهم . وكان يطلق على هذه العملية التحالف او القرابه " فمنع ابراهيم باشا هذه الضريبه التي تقع على هذه القرى في منطقة حلب . ومن أجل انهاء هذا

---

(١) بركات : ١٢٥ .

(٢) اورد هذا النص بركات في كتابه البطل الفاتح ٢٢ ، وورد عند رستم الاصول ٢ : ٤ — ٥ .

(٣) رستم الاصول ٢ : ٧٤ — ٧٥ وبشير ٢ : ١٢٩ .

الوضع قام بارسال بعض البدو المصريين في سوريه لحمايه هذه القرى (١) .

كما أن ابراهيم باشا الغى بعض الضرائب التي كانت تؤخذ من المسيحيين ، فمن ذلك : الغاء الضريبه السنويه بدير الفرتسيسكان في الناصره . حيث كان هيئا الدير يدفع ١٠ آلاف قرش سنويا لحكام عكا وقد الغى هذا الرسم بموجب بليورد ي غباعي ارسله ابراهيم باشا في ٧ رجب ١٢٤٨ الى رئيس الدير (٢) .

وذكر لنا نوفل نوفل في مخطوطه كشف اللثام عن بعض الضرائب الاخرى التي الغاها ابراهيم باشا منها : الغاء ضريبه الاسلامانيه التي كانت مفروضه على الكنائس ، وهي مبلغ بسيط تدفعه الكنيسه الى الخزينه في كل سنه تحت هذا الاسم .(٣)

وألغى ايضا رسم العروسان الذى كان يأخذه الملتزمون ممن يريدون الزواج من النصارى ولا يكن لأحد ان يتأهل بدون ان يدفع لهم .. ما يدفعه ويفرضونه عليه من مال (٤) . ومنع ايضا عوائد القضاء والمثقفين وغيرهم من " الافنديه " من أخذ الشمع لمنازلهم من الكنيسه في شهر رمضان (٥) .

لكن هل كان هذا الالغاء للضرائب والرسوم نهائيا ؟ ولم تعمل الحكومة الجديده على أخذ الضرائب من السكان ؟ أم أن هذا الالغاء لم يكن اسميا وأضافت ضرائب ورسوم جديده .

الميرى :

سميت هذه الضريبه بذلك ، نسبه الى الاراضي الاميريه ، اى اراضي الحاكم ، او اراضي الدوله . ومن هنا سميت الضرائب المأخوذه منها " الميريه " او " مال ميرى(٦)

(١) Rustum .The disturpances P.14.

(٢) قرأ لي فتوحات ابراهيم باشا ص ٢١ .

(٣) نوفل ، مخطوط كشف اللثام ٣٩٢ .

(٤) المرجع نفسه ٣٩٣ .

(٥) المرجع السابق ٣٩٤ .

(٦) رافق تاريخ الشام ومصر ١٦٢ .

ومن الطبيعي ان تهتم الدولة بهذه الضريبه اهتماما كبيرا ، فأكثر اراضي الدوله ارض أميريه . وقد أعطيّ السكان حق التصرف بها ، وزراعتها مقابل دفع نسبه معينة من انتاجها (١). وكان الميرى يعطي الالتزام أيام الحكومه العثمانيه ، وكانت تقع مسئولية جمعه على الوالي او من ينوب عنه .

وقرر ابراهيم باشا الغاء الالتزام بعد لمس الظلم الذى يلتحق بالفلاح والمزارع من جراء تلزيم الضرائب . فكتب الى سامي بك اليا شمعون وجوب الغاء التلزيم وجباية الضرائب مباشره . وقال : " اني لم اقصد من طرح هذه الضرائب مباشرة جلب وفر لجانب الميرى فقط بل اني رأيت في ذلك نفعا ، وسهوله يعودان على الجانبين معا . فقد يتقنت ما يلقاه الاهالي من الظلم والجور ، والاذى ، والخساره من الملتزمين ، حين يأتون الى القرى التي التزموا عشرها ويقيمون فيها . فمأكول الملتزم ورجاله وعليق دوابهم ، ومأكول معارفهم الذين يمرّون في اثناء السفر جميع هذا على حساب الاهالي ، وليس بامكان هؤلاء ان ينقلوا غلالهم من البيادر مالم يسمح الملتزم بذلك . فقد تبقى الغلال على بيادرها حتى الخريف فتعرض للتلف والفساد من جراء سقوط المطر . فلو فرض حدوث مظالم وأكل حقوق بموجب النظام الجديد فانه سيكون نادرا ، كما اننا لا نحجم عندئذ عن اجراء التحقيق اللازم (١) " .

فبعد ان الغى ابراهيم باشا الالتزام ، أصبحت قرى ومقاطعات ، واقلام الميرى ، والرسوم الميريه ، تجرى عليها المزايده من قبل الحكومه بمبلغ معلوم ، ويحصل التنشيط والترغيب . وبعد اجراء المزايده ، ووقوع المزاد على الشخص او الاشخاص تعطى لمن يستقر عليه المزاد (٢) .

وكان على الشخص الذى يستقر عليه المزاد ان يعطي للمجلس كفاله موقعة من المتسلم او من الاشخاص المعروفين في المنطقه ، او احيانا من الحكمدار نفسه ، كما حصل عندما " أمر قرار مقاطعات اغفار الجسر والسكر والسمك سنه ٥٣ بعهد احمد اغا بكفاله متسلم حلب ، وقر قرارها لسنه ٥٤ بعهده يوسف انما بكفاله الحكمدار نفسه (٣) " . ويسجل بعد ذلك بموجب صك يكون نسخه مع من يستقر عليه المزاد ونسخه أخرى في مجلس المقاطعه (٤) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٠٢ .
(٢) ابو عز الدين : ١٤٣ .
(٣) رستم الاصول العربيه ٣ - ٤ : ١٤٠ .
(٤) المرجع نفسه ٣ - ٤ : ١٤٥ .

وهناك امثله كثيره على كيفيه طرح المقاطعات ، والاقلام الميريه بالمزاد والاستقرار بدلا تها على الراغبين فدورعا هنا مثالا للتوضيح (١) :

بيان من قرّ عليهم مزاد الباج لسنة ١٢٥٤

" بيان مقاطعات مرّ مزادهم على رمضان اغاابن نبهان وقدور اغا الشويعه

	عام الماضي	هذه السنه	زياده السنه
باج الشام عن سنه ٥٤ محرمي .	٨١٠٠٠	١٠٠٠٠٠	١٩٠٠٠
باج كلليس من الجمال واغنام عن سنة ٥٤ محرمي .	٨٤٦٠٠	١٠٠٠٠٠	١٥٤٠٠
باج جمال حلب عن سنة ٥٤ محرمي .	٥٢٠٠٠	٦٠٠٠٠	٨٠٠٠
باج عنيتاب والقصاب باشيه كابع ضريبه غتساب	٦٧٧٠٠	٨٥٠٠٠	١٧٣٠٠
دليله الاغنام .	١٥٠٥٠	١٢٣٥٠	٧٣٠
	٣٠٠٣٥٠	٣٦٧٣٥٠	٦٧٠٠٠

فقط ثلاثمايه وسبعه وستين الف وثلاثمايه وخمسين غرش . غير باج الحطب والفحم عن سنة ٥٣ مادتي بعهده خلف اغا تابع متسلم حلب بمبلغ ١٧٥٠٠ عام الماضي ٢٥١٦٥٠ بالرغم من عجز الذي بلغ ٧٦٦٥ قبله . لما ورد تقرير من حضره حكمدار بك المحترم بطرح اقلام مقاطعات الميريه بالمزاد بمجلس حلب . فبحسب أمره طرقت المقاطعات بالمزاد بحضور الراغبين وحصل التنشيط ، والترغيب لهم ، ومن بعد حصول عده مزادات مر قرار الباجات على رمضان اغا او قدور اغا ، كما مشروع بالمبالغ المرقومه ، وكفّ بلقني ارباب المزاد بدمم عن الزياده . ومن حيث قلم باج الحطب والفحم عجز ماله عن سنه سابق ، وهذا بوقته كان عرض ضمن قاعه اقلام المعجزات بالاعتاب السرعسكريه . وصدر الامر العالي باعطاء شرطناما تهم فعلى هذا ينبغي اصدار خلاصه ليشرح عليها حكمدار بك المحترم الى الخزينه العامره باعطاء مشرطنامات الاقلام للملتزمين المذكورين كما مّر الرأي عليه في ١٠ را سنه ١٢٥٤ "(٢)

---

(١) سأقوم بتصوير عدد من هذه الامثله ووضعها في نهاية الرساله لتعطي الطريقة التي كان بواسطتها تطرح الاقلام الميريه بالمزاد ومعرفتها .

(٢) ابو عز الدين - ابراهيم باشا : ١٤٥ .

لكن بالرغم من الغاء الالتزام ، فان حكومه محمد علي عملت على تقدير وتقرير الاموال الاميريه على الاملاك بطريقه جملتها أشد وطأه على الملاكين ، مما كانت عليه في عهد الحكومه السابقه ، حيث لم تقتصر على تحصيل مال " الميري" فقط بل أضافوا اليه كل ما كان يتبعه الملتزمون والعمال المحليون ، واعتبروا المجموع مالا اميريا (١) .

وقد وصف نوفل نوفل الطريقه الجائره التي كان يتبعها مندوبو الحكومه (الباشكاتب) لتقدير الاموال الاميريه قال :

" وأول عمليه يلزم اجراؤها عند وصوله هو ان يطوف بنفسه على القرايا قريه فقريه ، ومقاطعه فمقاطعه ، ويتحقق من الفلاحين عن مقدار ما كان يتناوله منهم الملتزمون من غلال ونقود ، وعن ميرى ابقارهم ، وما يقدمون لهم من العوايد والرسميات ، والهدايا في المواسم ، والاعياد ، والافراح من كلي وجزئي . لأنّ المقاطعات كانت تعطى قبلا الى ملتزمين تحت بدلات معلومه كما كان جاريا في مصر قبل حكومة محمد علي باشا ... واهم الفلاحين ان قصد الحكومة من ذلك ابطال ما كان من تلك الاشياء ظلما فترفعه عنهم .

وتحت هذا الظن ، والامل كان الفلاحون يقررون عن كل شيء حتى عن ثمن حذوه حصان ، او عن ربطه شعر ماعز يكون قدمها أحدهم للملتزم في احد السنين ليصلح بها غربالا ، أو ليعملها عقالا لدابة من دوابه ، ثم بعد ان يعد الباشكاتب كل هذه الاشياء بثمنها ، ويرسخ مقدار مجموعها بتمامه مالا راتبا على تلك القريه يتحصل منها كافي الاموال الاميريه في كل سنه ....".

وقال ايضا مشيرا الى ما تقدم : " وندم الفلاحون غايه الندم على تقاديرهم ، اذ ما كان أخذه منهم الملتزم مره في العمر مثلا ترتب عليه مالا سنويا . وحزن الملتزمون على ما خسروه من سعه العيش ولذه السلطه والنفوذ في المقاطعات التي سلبت من اياديهم" (٢) .

<u>ضريبه الفرده (الاعانه) :</u>

هو ما فرضته حكومة محمد علي باشا على الذكور من مختلف المذاهب البالغين من العمر خمس عشرة سنه الى ستين سنه (٣) .

---

(١) ابو عز الدين ـ ابراهيم باشا : ١٤٥ .
(٢) نوفل مخطوطه كشف اللثام : ٤٩١ - ٤٩٢ .
(٣) شاقه مشهد العيان ٢٤٢ ، نوفل مخطوطه كشف اللثام ٤٩٥ ، مجله الكليه عدد ١٥ : ٤٨ ، العطار ٧٦ رستم تاريخ ٢٠٢ .

وكانت قيمتها ١٢ بالماثه من دخل المكلفلين . ولهذا كان يختلف مقدارها بحسب اختلاف درجات دخل المكلفين (١) . انما لها حدان : أعلى وأدنى ، فلا تزيد عن خمسمائه قرش على المكلف الغني ، ولا تنقص عن خمسة عشر قرش على المكلف الفقير " ولو كان مقدما ، ومتسولا في الشوارع يستندي أكف الناس (٢)" .

وكانت الفرده من أهم مصادر الدخل لخزينة محمد علي في سوريه . فارتفع دخل مدينة دمشق من ٦ آلاف الى أحد عشر ألفا من اكياس النقود (٣) ، وكان يقوم بتقدير هذه الضريبه وتوزيعها على طبقات المكلفين ، ديوان المشوره ، ويقوم بجبايتها ناظر الاعانه في المنطقه . (٤)

وكانت حكومة محمد علي قد قامت سنة ١٨٣٩ بجباية هذه الضريبه عن سنتين حينما اضطرت الى المال بسبب تجدد الحرب مع السلطان محمود فضاعفت مقدار هذه الضريبه ، وجمعتها دفعه واحده (٥) .

وكان يعفى من دفع الفرده ، رجال الدين والموظفون الملكيون ، والعسكريون كما أن الجند لم يكونوا مطالبين بدفع الفرده في اثناء تجنيدهم غير ان اهلهم او مواطنيهم كانوا يكلفون بدفعها عنهم (٦) .

---

(١) مشاقه مشهد العيان ٢٤٢ رستم تاريخ ابراهيم باشا المقتطف ٣٠ : ٩٠٢ بركات البطل الفاتح ١٢٤ .

(٢) ابو سمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٤ مشاقه - مشهد العيان ٢٤٢ ، رستم تاريخ محمد علي المقتطف ٣٠ : ٩٠٢ .
المطار ٧٦ Rustum the disturpances p 42

(٣) Rustum the disturpances p 42 ، نوفل ٤٩٥ ،المطار ٧٦ .

(٤) ابوسمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٦٦٤ كان راتب ناظر الاعانه في الشهر ٦٢٥ قرش رستم الاصول ٣-٤ : ١٤٧ .

(٥) ابو عزالدين : ١٤٧ نوفل ٤٩٥ ، المطار ٧٦ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٨ .

(٦) ابو عز الدين ١٤٧ نوفل ٤٩٦ ومجله الكليه ١٥ : ٤٨ ، المطار ١٧٠ ، رستم تاريخ ٩٢٠ .

استثقل الناس هذه الضريبه من مسيحين ، ومسلمين ، ولا سيما سكان القرى الذين يدفعون الاموال عن اراضيهم ، واغراسهم ومواشيهم ، وتحلهم وعسلهم (١) .

فالشكوى كانت كثيره في المحاباه والتوزيع ، وتضاعفت الشكوى ، اذ أخذ عدد المكلفين بالتناقص بسبب الوفيات ، والتجنيد ، والمهاجره . لأن الرجال الباقين في البلده او المقاطعه كانت تكلفهم الحكومه دفع ما كان مفروضا على المتوفين والغائبين (٢) . فمن كان في الاصل يدفع مثلا خمسمائه قرش، اصبح يدفع ألفا ، او لفا وخمسمائه " وهذا ظلم فادح (٣)" . أما اذا زاد عدد المكلفين في بلده ما فكانت تزداد الضريبه بنسبه زياده العدد (٤) .

واستطاع أهالي جبل لبنان ، تنزيل الاعانه عنهم ، الى خمسين قرشا عن المكلف ، وجعل عدد المكلفين بدفعها اربعين ألفا فقط مستثنين " الأمراء ، والمشايخ ، وأيمه الدين من مشايخ المسلمين ، وخطبائهم ومطارنه النصارى ، وموازنتهم ، ورهبانهم ، ومشايخ العقل عند الدروز ، وخلواتيتهم وخطبائهم (٥) " .

وكانت جمله الاعانه المفروضه على لبنان اربعه الاف كيس " وفرقت الاعانات على سائر البلاد على هذه التسميه وكان البقاع اقلها وهو ٣٥ قرش على المكلف " (٦) .

---

(١) رستم تاريخ محمد علي المقتطف ٣٠ : ٣ : ٩٠٣ مشاقه مشهد ٢٤٣ .
(٢) فكان احيانا يسجل الشخص في قريه ، وعندما يسافر ليسجل في القريه التي يسافر لها كما حصل مع محمد عمران منصور من قريه السفيره من مديرية حلب كان محرر عليه اعانه في حلب بمجله ياذنجك مائه قرش ومحرر عليه اعانه في قريه السفيره اعانه ١٠٥ قروش الاصول ٣-٤ : ١٩٦ . وكان كثير من الذين يتوفون او يؤخذون للنظام لا تسقط عنهم الاعانه كما حصل مع أهالي محسن ابن يعقوب في مديرية حلب الاصول ٣-٤ : ٢٠٣ .
(٣) مشاقه مشهد ٢٤٤ ، ابوسمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٤ مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٦٥- ٧٦ قسطنطين الباشا صفحه مجهوله الكليه عدد ١٩ : ٣٥٨-٣٥٩ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٦٧٥ - ٦٧٦ زيدان تاريخ ١٦٣ .
(٤) مشاقة مشهد ٢٤٥ ابوسمرا غانم المشرق ٣٠ : ٣٦٤ ،

(٥) مشاقه - مشهد العيان ٢٤٧ عمل مشاقه على تنزيل اعانه جبل لبنان بسبب مساعيه عند كاتب مجلس شورى دمشق حيث كانت بينهما معرفه ومودة .
(٦) مشاقه مشهد العيان : ٢٤٧ ، نوفل ٤٩٦ ، العطار ١٧٠ .

قال مشاقه " اجتهدت في تقليل اعاشة حاصبيا فجعلتها ٣٠ قرشا على المكلف وأما دمشق فلم يحسن اهاليها التصرف في ترتيب فئتها فجعلت ١١٠ قروش . وبلغ المفروض عليها أكثر من اربعة الاف قرش سنويا ، وأكثر اهاليها من الصناع والفقراء فوقع عليهم ضنك شديد لأن الاغنياء الذين فرض عليهم مبلغ كبير قليلون جدا (١)" .

وتم احصاء السكان وترتيب مال الاعانه في جبل لبنان (٢) على الشكل التالي :

في ٩ جمادى ١٢٤٩ حضر كتاب من شريف بك في حلب الى الامير بشير الشهابي ان يأمر بعدد اهالي جبل لبنان ، ويتحرر دفاتر باسامي كل مقاطعه ببيان قراها ، وتقسم على عشر مراتب لكل مرتبه فيه معلومه على قدر احتمالها بوجه العدل ، وتختم الدفاتر من مشايخ القرا ، وبعده تختم من امرا المقاطعات ، وترسل الى عنده (٣)" . وقال الشيخ طنوس الشدياق في كتابه اخبار الاعيان وفي الصفحه ٥٧٨ : " وفي سنة ١٨٣٣ كتب شريف بك الى الامير بان يرسل اناسا يعدّون رجال جبل لبنان ..... وان تكتب دفاتر العدد ، وتختم من المشايخ ثم من المناصب ، ويرسل له دفتر مجموع المقاطعات والقرى فأرسل الامير أناسا عدوا البلاد جميعها ، دون العاجزين والقاصرين ، وذوى العاهات فبلغ عددهم ثمانيه وثلاثين ألف رجل" .

---

(١) مشاقه مشهد العيان : ٢٤٧ نوفل ٤٩٦ .

(٢) اورد الدكتور اسد رستم في الاصول العربيه ٣-٤ : ١٢٥ بيانا مفصلا عن سنة معينه لمال الميرى والاعانه التي اخذ من جبل لبنان

(٣) رستم نقلا عن مخطوطه للقس انطون الحلبي ج ١ ص ٣٤ .

فـــــلان	١٠	١٥	٢٥	٤٠	٦٠	٨٠	١٠٠	١٥٠	٢٠٠	٢٥٠
فـــــلان									٢٠٠	
فـــــلان								١٥٠		
فـــــلان							١٠٠			
فـــــلان						٨٠				
فـــــلان					٦٠					
فـــــلان				٤٠						
فـــــلان			٢٥							
فـــــلان		١٥								
فـــــلان	١٠									
	١٠	١٥	٢٥	٤٠	٦٠	٨٠	١٠٠	١٥٠	٢٠٠	٢٥٠

قـــرش	عدد انفـــــار	سعـــر
٢٥٠	١	٢٥٠
٢٠٠	١	٢٠٠
١٥٠	١	١٥٠
١٠٠	١	١٠٠
٨٠	١	٨٠
٦٠	١	٦٠
٤٠	١	٤٠
٢٥	١	٢٥
١٥	١	١٥
١٠	١	١٠

ويكتب في كل دفتر هكذا نحن - فلان ، وفلان من مشايخ القريه الفلانيـــــه حررنا اسامي اهل القريّة المذكـوره ، بكل تدقيق ،وحولناها بكل تحقيق تحريــــــــر في شهر سنه ثم بعد تحرير قرايا العهده جميعها كما مرسوم اعلاه فتجمــــــع الفرا جميعها هكذا مرقوم ادناه : (١)

---

(١) الاصول العربيه ج ٢ : ٨٧– ٨٨ .

قــرش	عدد	القريه الغلانيه
٩٣٠	١٠	= =
٢٠٠	١٥	= =
٥٠٠	١٠٠	= =
٨٠٧	١٥٠	= =
١٩٠٠	٢٧٥	= =

الضرائب التي كانت تجبى على المزروعات :

كانت حكومه محمد علي تجبي مالا خاصا عن الاشجار كالتوت والزيتون والعنب ، والرمان ، والتين ، وغيره من الاشجار المثمره تقدر بخمسه بالمائه من دخلها في سنه معتدله الاقبال . وكانوا يحسبون ذلك بأن يفرضوا على كل ارض مشجرة مسطحها خمسون قدما قرشين ونصف يضاف الى ذلك بارتان عن كل قرش(١) .

وكانت المغروسات الجديده من هذه الاشجار تفرض عليها الضريبه ، من وقت غرسها ، اى كانوا يتقاضون الضريبه عن بعضها كالزيتون مثلا قبل ان يستثمره صاحبه ببضع سنين . وهذا ما حمل كثيرين من الناس على العدول عن غرس الاشجار المثمره (٢) .

وكان يؤخذ على الشجره التي تكون صغيره بحيث اذا تعلق بها السيف تميل ولا تحمل السيف فلا يؤخذ منها باره واحده ، والتي تكون غلظها من ضم اصبع اليد الابهام الى اصبع السبابه ، ويكون طولها قامه يؤخذ منها بارتين . والتي أغلظ منها يؤخذ منها ثلاث بارات والاغلظ اربع بارات وهكذا (٣) .

أما محصولات الاراضي الزراعيه كان يؤخذ عن الفلال التي تزرع زراعة شتويه يؤخذ على فدانها خمسون قرشا ، وأربعة شنابل شعير في مديرية

(١) ابوعز الدين ابراهيم باشا ١٤٦ ، العطار ١٧٠ .
(٢) ابو عز الدين ١٤٦ نوفل ٤٩٦ .
(٣) رستم الاصول العربيه ٣-٤ : ٧٧- ٧٨ هذا ما كان يؤخذ في مديريه حلب وقراها .

حلب وقراهـــا . (١)

أما الاراضي التي تزرع زراعه صيفيه يؤخذ عليها ضريبه خمسه وعشرون قــرش وشنبلين شعير (٢) .

هذا في السنين المعتدله الاقبال والتي يكون المحصول فيها انتاجـه جيدا (٣) . واحيانا كان يؤخذ العشر على الاصناف الصيفيه (المجور والخيار والبطيخ والسمسم وغيره ، بواقع عشر الغلال الشتويه ، قمح شعير عدس فول وغيره) ، هذا في السنين متوسطه الاقبال والتي يكون ناتج المحصول فيها متوسطا (٤) .

الضريبه صنفا (الشونه) :

عدا مال الميري الذي كان يستوفى نقدا كان اهالي كل ناحيه يكلفــون تقديم بعض ما يلزم الجيش من حاصلاتهم كالحبوب ، والسمن والزيت . . . الخ . وكانوا يكلفون نقل هذه الحاصلات الى اقــرب شونه عسكريه من بلدتهم . اما على دوابهـم وعلى دواب يستأجرونها بما لهم ، ولم يقف الحيف عليهم عند هذا الحد بـــل كانوا عند تسليم المقدار المطلوب منهم يجدونه ناقصا لان الحكومه على ما يقـــال كانــت تستعمل ميزانين ومكيالين مختلفين الوزن والكيل . فالميزان او المكيـــال الكبير تتسلم بموجبه من الاهلين والصغير تستعمله عندما يكون التسليم منها اليهم . وكان الفرق بين الاثنين نحو الربع . فبسبب هذه المعامله الجائره كان المـــلاك مكلفا بتسديد العجز صنفا او دفع ثمنه نقدا (٥) .

---

(١) رستم الاصول ٣-٤ : ١٤٦-١٤٧ ابو سمراغانم المشرق ٣٠ : ٣٦٤ ، نوفل ٤٩٦ . الفدان كان يساوي سنه ١٨٣٠ ، ٨٣٣ر٤٢٠٠ متر مربع هنتس المكاييل والاوزان الاسلاميه ترجمة كامل العسلي الشنبل كان يساوي ٢٠٦ر٣ كغم نوفل ٤٩٦ ، مشاقه تاريخ ٦٧٧ .

(٢) رستم الاصول العربيه ٣-٤ : ١٤٧ .

(٣) المرجع نفسه : ١٧٨ .

(٤) المرجع السابق : ١٤٦ .

(٥) رستم الاصول العربيه ٣-٤ : ١٧٨-١٨١ ، ١٩٦-١٩٧ ابو عزالدين ١٤٩ ، نوفل ٤٩٧ ، العطار ٧٦ ، ابو سمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٤ مشاقـه مشهد العيان ٢٤٥ ، بركات ١٢٤ .

وكان من يتأخر عن الدفع ، وعن جميع ماكان يطلب منه من التكاليف كان يلقى عليه القبض ، ويزج في اعماق السجن بعد ان يوسع ضربا ويسام جميع صنوف الاهانات وقد ادى الامر بالكثيرين الى الفرار ، فأقفرت المدن والقرى ولجأ الكثيرون الى الجبال العاليه يقتاتون باعشاب البريه ، ليس لهم مأوى يأويهم (١) فأصبحوا في العراء ، وازداد حنقهم وغضبهم على حكومة محمد علي .

رسوم الكمارك والدخوليات :

كانت الرسوم الكمركيه التي تستوفى من الاجانب أقل كثيرا من التي تستوفى من المواطنين (٢) بسبب الامتيازات التي منحتها الدوله العثمانيه ، بمقتضى معاهداتها مع الدول الاجنبيه (٣) .

فبمقتضى تلك المعاهدات دفع الرعايا الاجانب رسوما كمركيه قدرها نصف الى ثلاثه بالمائه (٤) . اما الرعايا المواطنون فكانوا يدفعون اضعاف ذلك مرارا في عهد الحكومه العثمانيه فخفضها محمد على الى اربعة بالمائه (٥) .

وكانت تجبى مثل هذه الرسوم عند ارسال البضائع من مدينه الى مدينه داخل البلاد ، ويكلفون فوق ذلك دفع رسوم مختلفه كرسم التسريح مثلا فتصبح جملة الرسوم التي يدفعونها من ٦ ٪ الى عشره في المائه بل الى ١٢ بالمائه . بينما كانت جملة ماكان يستوفى من الاجانب في مثل تلك الاحوال لم يكن تجاوز ٣ بالمائه (٦) .

---

(١) ابو سمرا غانم المصريون في سوريه ولبنان منذ مائه سنه المشرق ٣٠ : ٦٦٤ .
(٢) ابو عزالدين ١٤٧ ، نوفل : ٤٩٧ ، العطار ٧٦ .
(٣) محمد كرد على مخطط ٣ : ٥٧ ، نوفل ، ٤٩٧ .
(٤) ابو عزالدين ١٤٧ ، العطار ، ١٧ .
(٥) المرجع نفسه ١٤٨
(٦) رستم بشير ٢ : ١٠٥ ابوعزالدين ١٤٨ بركات البطل الفاتح ١٢٤ .

على انه كما ذكرنا قبلا كانت معامله التجار الوطنين من جهه الرسوم في عهد محمد على افضل منها في عهد الحكومه العثمانيه حيث كان يبلغ مجموع الرسوم ما بين ١٨ و ٢١ بالمائه ولهذا عجز التجار الوطنيون عن مجاراه التجار الاجانب وعمد كثيرون منهم الى الاتجار باسم التجار الاجانب ليتخلصوا من الرسوم الباهظه، وكانوا في مقابل ذلك يدفعون لأولئك الاجانب مبلغا قدره ٣ أو ٤ بالمائه من قيمة بضائعهم (١) .

رسم التسريح :

وكان يستوفى رسم تسريح على المحصولات المحليه عند ارسالها من بلد الى آخر اما لأجل المقطوعيه الخصوصيه او للاتجار به ، اما الاجانب فكانوا معفيين من رسم التسريح ، اذا كانت المحصولات مطلوبه لأجل مصروفهم الخاص، وكان بعض موظفي القنصليات يسيئون استعمال هذا الامتياز فيطلبون مقادير كبيره من المحصولات زاعمين انها لازمه لسد حاجاتهم فيستهلكون بعضها ويبيعون بعضها الاخر (٢) .

رسم الدخوليه على الحيوانات :

أما الحيوانات التي تدخل المدن فكان يستوفى عنها دخول المدينه رسوم دخوليه قدرها عن رأس البقر من ١٣ الى ٢١ قرشا ، اذا لم يكن دخوله لأجل الذبح ، ومن ستين الى سبعين قرشا اذا كان لأجل الذبح . اما الغنم والمعزى والجمال فكانت تستوفى عنها رسوم سنويه (٣) .

الاحتكار والمصادره :

عملت حكومه محمد علي في سوريه على مصادره بعض المحاصيل منها الحرير والقطن وغير ذلك فأرسل محمد علي رساله الى ابنه في ١٥ حزيران ١٨٣٣ بوجوب ابتياع محصول الحرير كله من سوريه . لكن عدل عن رأيه واكتفى بعشرين ألف أقة منه (٤) . لانه على ما يظهر خشي من ازعاج الفلاحين والتجار ولا سيما اللبنانيين

(١) رستم بشير ٢ : ١٠٥ بركات ١٢٤ ، ابوسمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٦٣٤ ، العطار ٧٦ مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٦٧٨ ، زيدان تاريخ : ١٦٥ .

(٢) ابو عزالدين ١٤٩ . ابوسمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٥ ، بركات البطل الفاتح ١٢٤ العطار ٧٦ ، نادر العطار سوريه في العصور الحديثه : ٧٦ .

(٣) ابو عزالدين : ١٤٩ بركات ١٢٤ ابوسمرا غانم : ٣٦٤ .

(٤) قرألي فتوحات ج Rustum the disturpances p 42 ابوسمراغانم : ٣٦٤ .

منهم . ولكنه اكتفى بتحديد سعره ب ١٢٠ قرشا للأقه الواحده ، لابتياع ما يلــــزم لمصانع الحكومه . ولا غرو فموسم الحرير في لبنان آنئذ كان اعظم المواسم وعليه المعــّول . والاحتكار من شأنه ان يقلب الاسعار كليا لصالح الحكومه فيؤدي الى نقص كبير فـــي دخل الفلاح والتاجر(١) .

وقـــال القنصل كتافاكو قنصل النمسا في صيدا وعكا في ١٤ كانون أول ١٨٣٣ في رساله الى الكافاليرا شربي قنصل النمسا في الاسكندريه عن محاوله محمــد علي احتكار القطن قال : " وكان قد أثار خوفنا على القطن وأمر بادخال كل محصــول صفد ونابلس منه الى مخازنه ومع انه اصدر الاوامر المشدده بذلك بهذا الخصوص وتهدد بالتوصان للمخالف لو اشترى بدرهما واحد . فقد عاد الان ، وسحب هذه الاوامــر عن القطن والحرير ، كأنه خاف هياج الافكار فللمزارع الان الحريه ان يبيعوا في اقطاعيــ لمن شاؤوا . ولكن الى الان لم يتجاسر تاجر واحد ان يتقدم لشراء هذا الصنـــف لتمسك ثمنه ولعدم تأكدهم من الحصول على الاذن بتصديره الى اوروبا" (٢) .

وكان ابراهيم باشا قد فرض ضريبه قرش واحد على كل اقه من القطن فـــي منطقة ادنه ولم يحصل مثل ذلك في بقيه انحاء سوريه ، وكان مسموحا الاتجار به (٣) .

وقال ابراهيم باشا في موافقته على احتكار البن في ١٥ آب ١٨٣٣ بوجوب رفع سعره من قرشين الى سبعة عشر قرشا في الامه الواحده (٤) .

---

(١) قرأ لي فتوحات ٤٠ رستم بشير ٢ : ١٢١ the disturpances p42 بركات ١٢٤ ، ابوسمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٥ ، المطار ٧٦ .
(٢) قرأ لي فتوحات ٤٠ - ٤١ .
(٣) Rustum, the disturpances p 43 ابوسمرا غانم : ٣٦٤ .
(٤) رستم بشير ٢ : ١١٩ .

كما أن محمد علي باشا طلب في ٢٨ آذار ١٨٣٣ بمصادرة المحاصيل في مديريه صيدا التي لا يجوز بيعها الا بمعرفة الميرى " كالكتان وبذوره والعصفر والنيله والحناء والخيط والافيون ، وان يلقى القبض على اصحابها . فأفاد محمد منيب أفندى بعد خمسة عشر يوما " انه ارسل خطابات شديده اللهجه الى بعض المتسلمين يختم فيها ايقاف تهريب الكتان والعصفر والنيله والحناء والسمسم وغيره من الحبوب التي تباع لحساب الميرى (١) .

(١) رستم بشير ٢ : ١١٩ ، قرألي فتوحات ٣٩ - ٤٠ ابوسمرا غانم: ٣٦٤ .

ضريبه العقارات (الويركو) :

فرضت حكومه محمد علي ضريبه على الاملاك والعقارات بنسبه ه بالمائه في سوريه . (١)

قال ابراهيم باشا في ١٥ آذار ١٨٤٠ في رساله موجهه الى والده في معرض حديثه عن مرعش وأورفه قال : (... والاهالي الان يؤدون الويركو على نحو ما هو مسجل في سجلات المحاكم لا اكثر ولا أقل (٢)".

ضريبه الصابون :

لم يستوف ابراهيم باشا عن الصابون الا ضريبه واحده وهي ضريبه الميرى فكان قد وزع على مصابن نابلس مقدار هذه الضريبه بحسب طبخاتها فارضا ٦٠٠ قرش على كل طبخه (٣) .

اما في بيروت فبقيت ضريبه الصابون بنسبه سبعه بالمائه (٤) ، اي ان كل قنطار كان يدفع حوالي ٥٠ قرشا ، بينما كان يباع بمعدل ٧٠٠ قرش.

دخل الخزينه وخرجها :

زادت حكومة محمد علي الضرائب على السوريين زياده فاحشه ففي جبل الشوف وتوابعه كانت الزياده من مال الفرده فقط ٩١٩٠٠ر١ قرش ، لكن بالرغم عن ذلك كله لم يكن مجموع الدخل كافيا للقيام بنفقات الحكومه . على ان احوال سوريه حينئذ كانت شاذه ، وكان فيها جيش جرار ، اضطرت حكومة محمد علي لحشده لاخماد الثورات ، او لتكون على استعداد لصد هجوم العثمانيين ، اذا حاولوا استرجاع سوريه . فالعجز الذى كان ينشأ عن ذلك تستورده الحكومه من خزينه مصر (٥) .

(١) ابو عز الدين ١٤٤ .
(٢) رستم بشير ٢ : ١٠٨ .
(٣) رستم الاصول ٢ : ٣٤ .
(٤) لان عبد الله باشا كان قد فرض على مصابن بيروت ضريبه تقدر بسبعه بالمائه فابقى ابراهيم باشا هذه الضريبه . Rustum, the disturpanses p 43
القنطار يساوى في دمشق ١٩٢٫٤ كغم وفي حلب ٢٢٨ كغم وفي حماه ٢٢٨ كغم .
(٥) ابو عزالدين ١٥٠ .

٥ـ الحيـــــــاة الاجتماعيـــــة

لما دخل ابراهيم باشا البلاد السوريه ، وكان همه الأول هو توحيـــــد شعب سوريه ، وذلك بازاله الفوارق الدينيه ، واظهار المساواه بين الرعايا علـــى اختلاف المذاهب والاديان (١) . فأعلن للأهالي ان اليهود والنصارى ليسوا أحـــط من المسلمين مقاما ، حتى ينزل النصراني عن دابته اذا قابل في الطريق أي شخـــص مسلم (٢) . وسمح لهم بركوب الخيل ، حيث لم يكن يسمح للنصارى بالركوب كليـــا . وكان حينما يريد النصراني السفر تخرج العيله كلها ماشيه الى خارج البلد ، حتى تستطيع ان تركب ، وكذلك كانت تنزل قبل دخولها ، ولو تجاسر احد وتخطى هـــذا القانون . كان يقلب عن ظهر البغل ، او الحمار . ولا أقول فرسه لأن ذلك كـــان أمرا محاليا . . . . " (٣) .

وسمح ابراهيم باشا للنصارى بلبس الحذاء الاحمر ، ولا أن يكرهوا على ارتداء الملابس السوداء والزرقاء (٤) . كما أنه سمح لهم أن يتعمموا بالعمائم الخضراء ، والبيضاء ، أو الحمراء حيث كانت محظوره عليهم (٥) . وفي عهده طرح الامير بشيـــر وأولاده العمائم . واستبدلوها بالطربوش المغربي ، اقتداء بمحمد علي وابراهيـــم باشا ورجالهما فتبعهم في ذلك كبار رجال البلاد وغيرهم (٦) .

---

(١) بركات البطل الفاتح ١٤١ ، ابو عز الدين ٣١٢ ، المطوف (عيسى اسكنـــدر) مخطوط تنهدات سوريه مكتبه الجامعه الاردنيه ص٢ .

(٢) بركات البطل الفاتح ١٤١ ، رستم بشير ٢ : ٩٧ العطار ، تاريخ سوريـــه ١٦٨ .

(٣) المعلوف مخطوط تنهدات سوريه ، ٩ ، رستم بشير ٢ : ٩٧ العطار ، ١٦٨ .

(٤) بركات ١٤١ ابو عز الدين ٣١٣ ، مؤنس الشرق الاسلامي ١٣١ .

(٥) رستم الاصول العربيه ٢ : : ٦٢ -٦٥ بشير ٢ : ٩٨ العطار ١٦٨ .

(٦) اخبار الاعيان ٥٨٨ .

وكان النصارى قبل دخول ابراهيم باشا لبلاد الشام على جانب من الجهل ، فكان الذين يعرفون القراءة والكتابه قليلون جدا [١] . وان متاجرهم وأسباب معيشتهم كانت ضيقه جدا فلم يكن يسافروا او يتاجروا، وكل اشغالهم كانت الصناعة ان ليس لهم املاك عدا نصارى القرى فقد كان لهم جانب صغير من الاراضي . وكان يطلب دائما من النصراني ان يمشي على شمال المسلم . وفي أول مكان يقابله كان يقول له " أشمل او طويرق" أى يمشي في طريق الدواب ،كون النصراني محسوب عندهم كافر (٢) .

ولكن لما جاء ابراهيم باشا فعمل على احداث التغيرات الاجتماعية وأظهر المساواه بين الرعايا على اختلاف الاديان والمذاهب كما اشرت آنفا .

كان ابراهيم باشا على علم بالطبيعه البشريه ، فقد اكسبته هذه الميزه محبة، ولنا في ذكر هذه الحادثه تدلنا على التسامح والمساواه التي اتبعها في معامله المسيحيين وعدم التفريق بين الطوائف الاسلاميه ، كما ان تسامحه عاد عليه بصداقه المسيحيين من اهل البلاد المقدسه . ومن ذلك انه قدم عليه بعد بضعة ايام من استيلائه على حيفا جماعه من رهبان الكرمل كانوا يريدون ان ينشئوا لهم ديرا على ذلك الجبل القريب من هذا البلد . ويظهر انهم بعد أن جمعوا بعض مواد البناء اللازمه لهم وعلم عبد الله باشا بما أتووه ،رأى ان موضع الدير يصلح لان يبني لنفسه قصرا جميلا ، فاستولى على مواد البناء ليبنى بها ذلك القصر . وطلب الرهبان الى ابراهيم ان يأذن لهم بتنفيذ غرضهم الأول فأجابهم الى ما طلبوه وقال لهم : " خذوا كل ما تجدونه من موادالبناء واهدموا القصر اذا كان هدمه يتفق مع اغراضكم" . وقبل ان يبرح الرهبان المكان قال احدهم ان عبد الله قد قسى عليهم وظلمهم فلم يترك لهم مكانا جافا يخزنون فيه خبزهم واغذيتهم القابله للتلف ، فأجابهم ابراهيم باشا : " هيا بنا نبحث عن مكان يصلح لهذا الغرض" . وسرعان ما وجدوا ان ليس في حيفا مكان يقي الاطعمه من المطر الا المسجد التركي وكنيسة الروم الكاثوليك ، فتقدم ابراهيم ثم التفت الى الكبتين برسك احد الضباط الانجليز الذين كانوا معه ، والى راهب مالطي وقال لهما : " اني اذا اخذت كنيستكم لم تجدوا مكانا تعبدون الله فيه وقال الناس عني انني همجي اما رجالي فانهم يستطيعون ان يؤدوا صلاتهم في الجامع وفي العراء على السواء ، ولذلك يجب ان يكون المسجد مخزنا لطعامكم . ثم اتبع القول بالفعل ، فأخذ فأسا وفتح به منفذا في الجدار المواجه للبحر" .

---

(١) المعلوف تنهدات سوريه ١٠ .

(٢) المعلوف ـ مخطوط تنهدات سوريه : ١٠ .

ويستمر كريتيس في سرد روايته التي نقلها عن الدكتور ياتس من كتابه تاريخ مصر وحالها في الوقت الحاضر . والذى يذكر انه جمع الحقائق في حيفا نفسها " واشترك ابراهيم بنفسه في نقل اول كيس من الخبز " .

ولذلك لا نعجب من قول المؤرخ ياتس الذى نقلعن كريتيس " وكان لهذين العمليين السياسيين اثر في فتح الشام لا يقل عن اثر جيشه ، وذلك لان لرجال الدين في هذه البلاد نفوذ عظيم . ولم يفتهم ان يذيعوا هذين الخبرين بين السوريين والمسيحيين . ويجدر بنا ان نذكر حادثا آخر له كبير الاهميه ، ذلك انه لما اقتربت قواته من عكا ارسل الى عبدالله باشا قبل ان يبدأ الهجوم عليها يحثه على ان يسمح للنساء والاطفال جميعا بان يغادروا المدينه"(١) .

وكانت توليه المسيحين مناصب الحكومه قليلة الوقوع ، فحكومة محمد علي ازالت هذه الفوارق ، واباحت للمسيحين ما هو مباح للمسلمين ، كما تحدثنا من ركوب الخيل وحقوق اجتماعيه ، ووطنية ، وقلدت الكثيرين من المسيحين الوطنيين ، والافرنج الوظائف في الجيش ، والحكومه ، ومنحتهم الرتب والالقاب .

فمن الحقوق الاجتماعيه ، والوطنيه التي كانت محظوره عليهم ، تعمير كنائسهم حيث كانوا لا يستطيعون ان يعمروا مدرسه أو كنيسه ، حتى ولا ترميم ما تهدم من الكنائس(٢) . واذا دلفت الكنيسيه كان يحوج الامر لأجل اصلاح ذلك يلزم تقديم الدعوى الى الحكم فينزل الكشف فيتملل الكشف حتى يمتلئ كفه من النظير حينئذ يصدرون الفتوى بجواز تطيينها (٣) .

لكن ابراهيم باشا سمح للمسيحيين ببناء كنائس لهم واعمار ما كان قد تلف وتهدم واصدر مرسوم في ٩ رمضان ١٢٤٩ الى اعيان انطاكيه بالسماح للمسيحيين باعمار كنائسهم ، وجاء في هذا المرسوم :

---

(١) كريتيس - ابراهيم باشا ١٥٦ .
(٢) المعلوف - تنهدات سوريه ص١٠ ، رستم الاصول العربيه ج ٢ ، ٤٣-٤٥ .
(٣) المعلوف - رستم الاصول ٢ ، ٤٣-٤٥ ، وبشير ٢ : ٩٧ ، العطار ١٦٨ .

" ومن حيث ان الكنيستين المذكورتين موجودتين من القديم بالقريتين المذكورتين وقفت لهم التعمير فقد اذنا لهم بتعميرهم(١) ."

ولا يفوتنا ان نذكر هنا عن الحقوق الاجتماعيه التي منحها اياهم في الرتب والالقاب حيث ما يروى عن حنا بحرى . ومما يروى من هذا القبيل ان لدى قدوم ابراهيم باشا الى دمشق في دوره تفتيشيه لفت حنا بحرى بك نظر " ولي النعم" الى ان اعضاء المسلمين من اعضاء مجلس الشورى في دمشق لا يظهرون له ما يستحقه من الاكرام والاحترام وعزا ذلك الى كونه مسيحيا لا يدين بدين الاسلام . فقال ولي النعم قل لاعضاء المجلس اني راغب في زيارتهم في المجلس واخبر القاضي والمفتي والنقيب بذلك وبوجوب حضورهم الى المجلس . ففعل . ولدى وصول ولي النعم الى المجلس وقف في الباب العالي والتفت الى الوراء وقال الى حنا بحرى بك : " بحرى بك بحرى بك بيوركز افنديمز بيوركنز " ومعناه بحرى بك تفضلوا يا افندينا . فامتثل بحرى بك ودخل القاعه مع الباشا . وعندئذ وجه الباشا كلامه والناس وقوف الى بحرى بك مره ثانيه قائلا : " بحرى بك اوتوركز افنديمز " ومعناه اجلسوا يا افندينا وبالجمع لزياده التوقير . ثم التفت الى الاعيان فقال : " قاضي افندى اوتور - بالمفرد - مفتي افندى اوتور نقيب افندى اوتور وهكذا الى ما النهايه . فاعتبر الاعيان واظهروا بعد هذا ما كان يستحقه بحرى بك وغيره من احترام واكرام ولم يترددوا الهته(٢) .

ومن المساواه التي اظهرها ابراهيم باشا بين الرعايا فانه أمر بجعل جميع ابناء الطوائف كلهم متساوين في الحقوق والواجبات ففي ٢٥ آذار ١٨٣٤ كتب الى متسلم اللاذقيه فيقول : " والتعرف الى الرعايا وعدم مواساتهم هذا مخالف لرضانا لان الاسلام والنصارى جميعهم رعايانا وأمر المذهب ماله مدخل بحكم السياسه فيلزم ان يكون كل بحاله المؤمن فجرى اسلامه والعيسوى كذلك ولا احد يتسلط على احد (٣)" .

واهتدم ابراهيم باشا زعامه النصارى والدروز في لبنان اهتمامه لزعامه اخوانهم المسلمين في سائر الاقطار الشاميه . ولم يتأخر قيد شعره عن ترقيه النصارى ،

---

(١) رستم الاصول ٢ ، ٤٥ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٠٠ ، المحفوظات ج ٣ ص ٤٤٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ١٣٧ .

(٣) رستم بشير ٢ : الاصول العربيه ٢٥ ، ١٧٧ ، المحفوظات الملكيه ، ١١٦٧ .

والدروز عند شبوت الاستحقاق . فعرض على الشهابي الكبير الامير بشير الثاني حاكمية جميع الاقطار الشاميه قبل ان يرشح محمد شريف باشا للمنصب نفسه [١] . وكان قد عين هذا الامير مديرا لمصالح البلاد يختتم الاوراق التي تصدر عن مقر السر عسكر وقال عنه سرا : "لا يوجد عندي في بر الشام رجل بمعنى الكلمه سوى هذا الرجل الشهم وحيث انه اظهر هذه الصداقه والامانه فلا يهمنا قط أكثر عدد الاصدقاء ام قل [٢]" .

وقدر ابراهيم باشا نصرانيا آخر حق قدره ، اعني حنا بحري فرقاه الى المرتبه التي استحقها وجعله مديرا عاما للماليه متنعما برتبه البكويه وهو اول نصراني في البلاد العربيه نال هذا اللقب [٣] .

ولم يتردد ابراهيم عن منح هذا اللقب نفسه لاربعة من دروز لبنان هم نعمان جنبلاط ، ونصيف ابونكد ، وخطار العماد ، وعبد السلام العماد [٤] .

وكما اثرت سمح محمد علي وابنه بيترميم الكنائس والاديره وبانشاء الجديد منها [٥] . وغضا الطرف عن ارتداد ثلاثه من الموارنه كانوا قد قبلوا الاسلام ، فاستمالا قلوب "الرعايا" وخطا فصلا جديدا في تاريخ الحكم في الشام [٦] ، ولكنهما لم يسمحا بتنصر بعض الدروز خوفا من اساءة الفهم واستفزاز الجمهور [٧] ، وعاقب

---

(١) رستم بشير ٢ : ٩٩ المحفوظات ج ١ ، ص ١٧٦ ج ٢ ، ١١٧ .
(٢) رستم بشير ٢ : ٩٩ المحفوظات ج ٢ ، ص ٨ ١-٢ .
(٣) رستم بشير ٢ : ٩٩ المحفوظات ج ٤ ص ٤٧٢ — ٤٧٣ .
(٤) رستم بشير ٢ : ٩٩ ، ذكرى ١١٣ ، المحفوظات ، ج ٤ ، ٤٧٢ — ٤٧٣ .
(٥) رستم ذكرى البطل ١١٣ ، بشير ٢ : ١٠٠ ، العطار ، ١٦٨ .
(٦) رستم ذكرى ١١٤ ، المحفوظات ج ٣ ، ٤٤٤ ، بشير ٢ : ١٠٠ .
(٧) رستم ذكرى ١١٤ المحفوظات ج ٣ ، ٤٤٤ ، بشير ٢ : ١٠٠ .

وعاقب محافظ بيروت بعض المسلمين علنا لانهم تفوهوا ببعض نغمات غير لائقه بحق النصارى (١) .

ورأى محمد على ان يجند المسيحين لتيأس الدول المسيحيه عن اثاره الفتن في الشام ، ولتزول عداوه المسلمين ولتتوطد صداقتهم .

ومن الوسائل التي تزرع بها محمد على وابنه ابراهيم باشا لتوحيد القلوب، انهما حافظا على العدل في التوظيف فاقتنصا من اغراق الشام بالموظفين المصريين ولم يستقدما من مصر الا من استوجبت الضروره قدومه . ومن ذلك ان محمد علي أمر محمد شريف بك ، لدى تسلمه أزمة الحكم في الشام بوجوب اسناد منصب المتسلمين في دمشق الى أحد أعيان هذه البلده ، او الى مصرى اذا تعذر وجود كفوء لها من الدمشقيين أنفسهم (٢) .

وقال محمد على في كتاب ارسله الى سليمان باشا بأنه عين حراس الصحة في المراكب المسافره الى بر الشام من ابناء مصر لانه لم يجد من هو أهل لذلك في بر الشام (٣) .

وكان من نتائج النزاع الذى نشب بين مصر والباب العالي ان شعر محمد علي باهمية العنصر العربي وبوجوب التودد اليه والاتكال عليه فخرج من تقاليد الاداره في مصر ، ووافق على ترقيه البارزين من اولاد العرب في القراءة والكتابه ، الى رتبة يوزباشي . وذهب ابراهيم الى ابعد من هذا ، فأكد لوالده بأن نسبه المخلصين من العرب الملتحقين بالخدمه كانت اعلى من نسبة المخلصين من زملائهم الاتراك . وحبذ افساح المجال لترقية بعض العرب الى رتبة بكباشي (٤) . ونوه بفضل العرب على المدنيه في التاريخ ، وقال في ظروف معينه انه اتى الى مصر طفلا وان شمسها غيرت دمه فجرى عربيا . (٥) .

---

(١) رستم ذكرى ، ١١٤ ، المحفوظات ج ٤ ، ٤١٥ - ٤١٦ ، العطار ١٦٨ .
(٢) رستم ذكرى ، ١١٤ ، المحفوظات ج ٢ ، ص ٤٨٠ .
(٣) البطل الفاتح ١١٤ ، المحفوظات ج ٣ ، ص: ١٣٣ .
(٤) رستم ذكرى ، ١١٥ ، المحفوظات ج ٣ ص ٦٧ ، بشير ٢ : ١٠٠ .
(٥) رستم اسباب الحمله المصريه على الشام ٦٤ - ٩٥ .

ومما ساعد على توحيد القلوب أن محمد علي فرق في سياسته بين وطني أمين ، وبين اجنبي طامع . فشمل الاول بعطفه ، وحذر بطش الاخر . فوافق مثلا على السماح لقنصل انكلترا في رودس باستخراج الاسفنج من مياه الشام ولكنه رأى ان يمنع عن ذلك اذا كانت هذه المصلحه بيد رجل وطني .

واوجب منح التجار الوطنيين الامتيازات نفسها التي تمتع بها التجار الاجانب، وساوى بين الوطنيين ،وبين الاجانب فسمح للوطنيين بتصدير بضائعهم من مرافئ الشام [1] .

وعمل ابراهيم باشا ايضا على نشر روح الديمقراطيه ، بتكوين مجالس المشوره المختلطه من المسيحيين ، والمسلمين واليهود في المدن [2] .

واهتم ابراهيم باشا بتوطيد العدل والامن بين السكان ، ويرى الدكتور اسد رستم في كتابه بشيربين السلطان والعزيز ص ٩٨ : " ان الشام لم تنل من العدل في العهد مضى منذ ايام عمر بن الخطاب ما نالته في ظل العزيز " . قال محمد علي في رسالة وجهها الى احد رجاله ناظر المجاهديه :" كنت أود أن نكون قد تخلصنا من الشموذه ، والغفله ، والرخاوه ، والفرص ، والضغينه ، والمحاباه التي طالما ألفناها ومللناها في الايام الخاليه . وان يكون ذلك العهد قد مضى وانقضى ،وبدلنا به عهدا يقوم على اساس الانصاف والانسانيه ، والكياسه ، والمعداله ، الاجتهاد والغيره ، ليت يتسنى لنا نحن ايضا أن نصرف عملنا وتتجز مصلحتنا على اسلوب من العطف والحسنى يدخلنا الى مصاف البشريه الراقيه [3] " .

هذا هو محمد علي وهذا هو رائده في الحكم ، فاذا ما ذكرنا حزمه ونشاطه ومثابرته ومتابعته لما يصدر عنه ادركنا قيمه هذا القول وأثره في توجيه القضاه ورجال الاداره والجيش.

أما توطيد الامن ، فعمل ابراهيم باشا على الضرب على ايدي الزعماء والمتغلبين ، ونزع السلطه من ايديهم . وأحل محلهم من وجد فيه الكفاءه والاخلاص [4] .

---

(١) ذكرى ١١٥ ، المحفوظات ج ٢ ، ٣٨٨ ، ج ٣ ٧٩ ، ١٨٨ ، العطار ١٦٧ ، مؤتمر الشرف الاسلامي ١٣٢ .

(٢) رستم الاصول العربيه ج ١ ص ٧٦ ، بركات البطل الفاتح ١٤١ ، ابو عز الدين ١٢٣ ، العطار ١٦٨ .

(٣) رستم ذكرى ١١٠ ، المحفوظات ج ١ ص ٩٦ .

(٤) رستم بشير ٩٨ رستم ذكرى ، ١٠٩ .

ووضع في الوقت نفسه تحت تصرف هؤلاء الولاه في المراكز الهامه عددا كافيا من الجند لتنفيذ الاحكام ، واحقاق الحق ثم أمر عددا من كبار معاونيه ، بالتجول في البلاد وتفقد أحوال السكان للتثبت من تنفيذ اوامره السابقه (١) .

وأوصاه والده " بوجوب تأمين العباد وزجر المعتدين وتحاشي أسباب الجور والاعتساف (٢) " وكما اشترت امر عددا من كبار معاونيه بالتجول في البلاد وتفقد أحوال السكان ، وكان والده يلح عليه بذلك ويقول : " ان التجول في الولايات الجديده ، وتفقد شؤون الرعايا أفضل من اصلاح الطرق ومجارى الانهار في أدنه وطرسوس (٣) " . " وبوجوب تأمين الاهالي وعدم اتباع سياسه التخويف والتهويل " . وبدأ بتأمين الامن فامتنع عن ارهاب الاهالي وامتثل في ذلك لأوامر خاصه كما رأينا .

ساعطي مثلا على توطيد ابراهيم باشا لشؤون الامن في البلاد . وسأضع امام القارئ هذه الحادثه الطريفه التي تحدث عنها الدكتور فارحي في ذكرى مرور مائة عام على وفاة ابراهيم باشا وقد اخذتها عن كتاب الفاتح لداوود بركات . يقول الدكتور فارحي : " روى احد اصدقائي نقلا عن والده من اعيان دمشق وثقاتها الاسرائيليين انه لما فتح ابراهيم باشا بلاد الشام كان يوما راكبا جواده متنكرا في ضواحي الشام ، فقابل رجلا سائرا على الاقدام ، واسمه " يوسف الرايق " هذا الرجل كان من الباعه الذين يسرحون بأقمشه على اكتافهم يطوفون القرى المجاوره يبيعونها للفلاحين ويستبدلونها بدجاج او بيض او ما اشبه ذلك . وكان يومئيذ ذاهبا الى قريه جوبر ، وهي تبعد عن الشام نحو نصف ساعه ولما مر ابراهيم باشا نزل عن جواده ، وسأله عن مهمته او سبيله ثم قال له الا تخاف الله يارجل ان تذهب وحدك في البريه الا تخشى من اللصوص وقطاع الطريق وانت بلا سلاح فأجابه على الفور ولم يكن يعرف من الذى يخاطبه " لا يا افندى كيف اخاف وابوخليل موجود في البلاد " وافترقا كل في سبيله . وبعد نصف ساعه اعترض فارس آخر يوسف واوقفه عن السير فخاف هذا وهو يظنه من قطاع الطرق ولكنه بالعكس كان رسول خير وبيده عشره جنيهات هديه له من " ابو خليل " عاد يوسف مسرورا الى منزله مسرورا بغنيمته عوضا عن الدجاج والبيض وهو يثني على كرم المهدى ويردد قوله " الله يطول عمرك يا ابو خليل " (٤) .

---

(١) رستم ذكرى البطل ١٠٩ .
(٢) رستم الاصول العربيه ج ١ ، ص ٧٦ .
(٣) رستم ذكرى ١٠٧ - ١٠٨ ، المحفوظات ج ١ ص ٢٦٩ .
(٤) داوود بركات - البطل الفاتح ص ١٢٥ ، مؤنس الشرق الاسلامي ١٣٥ .

وكان ابراهيم باشا قد فتح دمشق ، وغيرها من المدن السوريه امام الاوروبيين ، حيث كان دخولها "دمشق في العهد العثماني" محرما عليهم(١) وسمح لهم الانتشار، في كل بلاد الشام ، وكان الافرنج لا يستطيعون في السابق دخول دمشق ، واذا دخل احدهم كان يلزم ان يلبس حسب عاده البلاد ، وان نغير اسمه باسم آخر. حيث يروى انه لما زار بيركهارت سوريه في اوائل القرن التاسع عشر ارتدى الملابس الوطنيه ، واتخذ لنفسه اسم "الشيخ ابراهيم"(٢) . ولما عينت انكلترا قنصلا لها في دمشق المستر فرن في سنه ١٨٢٩ قلم يستطيع دخولها بل بقي في بيروت مده طويله ، الى أن احتل ابراهيم باشا مدينه دمشق في سنه ١٨٣٢ ، فأذن حينئذ للقنصل الجديد بالذهاب اليها . فدخل المدينه باحتفال مهيب ولم يجرأ أحد من الاهالي أن يبدى تذمرا او اعتراضا لان ابراهيم باشا كان يحكم البلاد بيد من حديد (٣) .

وزاد عدد الاوروبيين في سوريه ، اذ بلغ عددهم الاربع مئه في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر . وكان تجمعهم الرئيسي في بيروت(٤) مؤثرين بها على غيرها لقربها من الشهابي الكبير مستظلين بأمنه وحزمه وعدله(٥) . ووزعوا عملائهم في دمشق ، وحمص ، وحماه ، واللاذقيه ، وطرابلس ، وصيدا ، وعكا ، ونابلس ، ويافه . (٦)

وكان ابراهيم باشا قد عين سليمان باشا الفرنساوي على صيدا لكثرة اتصال الساحل بالاجانب من تجار وقناصل ، وعمل سليمان باشا على النظر في شؤون رعاياهم(٧) .

---

(١) بركات ١٤١ .
(٢) بيركهارت رحله في اقاليم سوريه الجنوبيه ١٤٢ .
(٣) المعلوف مخطوط تنهدات سوريه ص ١٠ ، بركات البطل الفاتح ١٤١ ، رستم بشير ٢ - : ١٠٠ .
(٤) دواني القطوف — عيسى المعلوف ص ٢٥٥ .
(٥) رستم بشير : ٢٢٦ المعلوف - دواني القطوف ٢٥٥ .
(٦) رستم بشير : ٢٢٦ المعلوف - دواني القطوف ٢٥٦ .
(٧) رستم الاصول العربيه ج ٢ ، ١٦٥ ابو عزالدين ١٣٥ .

وعمل على ضبط هوياتهم ، وطبق قوانين التجول المتبعه انئذ في اوروبا وعرض على كل اجنبي الاتصال بقنصليته لدى وصوله الى سوريه للتأشير على جواز سفره . وأوجب مثوله أمام السلطات المحليه للحصول على شهاده هويه يبرزها عند الطلب(١) . ونتج عن احتكاك الاهلين بالاوروبيين الى ادخال الزى الاوروبي وادخال هندسه المساكن الى البلاد (٢) .

وعمل ابراهيم باشا على حمايه اليهود في أموالهم وأرواحهم في منطقه صفد ، وطبريه ، منذ دخوله البلاد ، وكان قد أرسل العساكر من أجل منع التعرض اليهم ، وسمح ببناء الكنس الجديده ، وترميم ما كان قد تهدم منها . (٣)

وكان اليهود قد طلبوا من ابراهيم باشا السماح لهم بشراء الاملاك والاراضي ، وان يتعاطوا الحراثه والزراعه في القدس ، ابراهيم درس الوضع ولم يسمح لهم بشراء الاملاك ، والاراضي كون ذلك سابقه شرعيه ، كما ان الاراضي تعتبر اميريه . ولكنه سمح لهم بالبيع والشراء ، والعمل بالتجاره(٤) .

وادخل ابراهيم باشا اليهود في وظائف الدوله ، وسمح لهم بالاشتراك بمجلس شورى دمشق(الخواجه رفائيل الصراف ، والخواجه ميخائيل نحيل) (٥) .

واستمر اليهود يقومون باعمالهم الماليه في عهد ابراهيم باشا فكان هناك في القدس سيراقيسم بوظيفة كاتب اول ، وكان جبرائيل الكاتب الاول في صيدا ، واخوه بوظيفه كاتب اول في مقاطعه تبنين وملحقاتها . (٦)

---

(١) الاصول العربيه ج ٣- ٤ ، ٦٤ — ٦٥ ، اخبار الاعيان ٤٨٢ ، بولس قرألي فتوحات ٢١ .
(٢) رستم بيروت في عهد ابراهيم باشا ص ١٢٩ .
(٣) رستم الاصول العربيه ج ٣—٤ ، ٢٤ —٢٦ .
(٤) بركات البطل الفاتح ، ٣٨ .
(٥) رستم الاصول ٣—٤ ، ٦٤ — ٦٥ .
(٦) بولس قرألي فتوحات ابراهيم باشا ٣٨- ٣٩ .

ولا يفوتنا ان نذكر في نهاية حديثنا عن الخطوه الهامه التي قام بهـــا ابراهيم باشا من احصاءه للسكان والاهالي ومعرفه عددهم فوجد ان عددهم سنه ١٨٣٨، على وجه التقريب نحو مليوني شخص وكانوا موزعين كالتالي :

٩٧٧٠٠٠ مسلم ، ٣٤٥٠٠٠ ارثوكسي ، ٢٦٠٠٠٠ ركاثوليكي وماروني ، ١٧٥٠٠ يهودي ، ٤٨٠٠٠ درزي ، و ٤٢٠٠٠ نصيري ، ١٥٠٠٠٠ متوالي و يبزدى (١) .

---

(١) بركات البطل الفاتح ١٤٧ .

٦- الشـــؤون الصحيــــــة

اهتم ابراهيم باشا بعد فتحه لبلاد الشام بالشؤون الصحيه فيها ، وأولاها عنايته ورعايته . فالمعروف ان ابراهيم باشا عند فتحه لبلاد الشام كان قد احضر معه كلوت بك ناظر الشؤون الصحيه في مصر ، وعمل كلوت بك هذا على انشاء عدد من المستشفيات النقاله في مدن عكا ، وصيدا ، ودمشق ، وحلب ، وغيرها ، كما الحق بفرق الجيش عددا كبيرا من مستشفياته النقاله (١) .

وعمل كلوت بك على التنقل في البلاد ولمراقبه شؤونها الصحيه ، وكان يتحدث الى السكان في المناطق التي يزورها ، ويتحدث عن انواع الامراض الممكن انتشارها في تلك المناطق وعن اسباب انتشارها (٢) .

وكثيرا ما كان يتحدث كلوت بك عن الحمى وبين اسباب انتشارها معللا ذلك هو مجاوره السكان للبطائح والبرك والجداول والتي تحتوى على مواد طينيه ، وتتواجد هذه المناطق بالقرب من طرابلس وفي اسكندرونا وبياس دنين . وتبين الاعراض لهذا المرض وكيفيه ظهورها على المريض ، كما يبين كيفيه معالجتها وذلك باعطاء سولفات الكنيين واعطى وسائط اخرى اوصى بها لايقاف الحمى (٣) .

كما اهتم كلوت بك بالتعرف على الاشخاص من السكان المحليين الذين يتعاطون المعالجه والتطبيب وعمل على الاتصال بهم واستصدار رخص طبيه لهم من ابراهيم باشا من اجل استمرار ممارستهم لعملهم ، فاستصدر رخصه طبيه لأحد الاشخاص المسيحيين في القدس واسمه ياقوت ابن بطرس الافرنجي في ٢٩ شعبان سنه ١٢٥٢ جاء فيها : " أذنالك بتعاطي جميع علاجات الحكمه ومباشرتك اياها وان تتوجه الى عند الامراض وان تعالجهم بالعلاج الذي يليق بهم ..... " (٤) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ٢٣٩ .
(٢) اسد رستم الصحه في الشام ايام ابراهيم باشا مقال تحت عنوان الحمى المتقطعه في سوريه كاتبه كلوت بك ، مجله الكليه عدد : ١ ص : ١٣١ — ١٣٨ .
(٣) رستم الصحه في الشام ص ١٣٣ .
(٤) رستم الاصول العربيه ج ٣- ٤ ، ٣٤— ٣٥ .

ورأى كلوت بك ان يلحق بعض ابناء الشام في مدرسة الطب البشري في مصر والتي كانت قد تأسست سنه ١٨٢٧ فخص من بلاد الشام عشره مقاعد من مئتين وخمسين مقعدا (١) . ووافق هذا كله رغبه شديده في صدر الامير بشير الشهابي فانتقل كلوت بك نصف العشره من اللبنانيين ونزل هؤلاء الى مصر في سنه ١٨٣٧ وكان منهم يوسف البعقليني ويوسف الجلنح ويوسف مرهج فحملوك ادمير خورشيد (٢) .

وكان محمد علي قد أمر في ٢٢ آب سنه ١٨٣٦ بتشكيل مجلس الصحة في بيروت وبناء محجر الكرنتنيا فيها مشر كان من اكبر اسباب نمو المدينه وتقدمها في النصف الاول من القرن الماضي (٣) . وانه لما صارت بيروت مركز اداره الصحه في الساحل اضطرت جميع المراكب الاجنبيه والوطنيه ان تأتي اليها اولا للفحص والضبط (٤) .

أصر محمد علي على تنفيذ مشروعه هذا رغم معارضته علماء دمشق الذين اعترضوا على نظام الكرنتينا وقالوا : " ان حبس الناس في البيوت واقامه خفراء مأجورين عليهم واخراج بعض اشياء هم ودفن الموتى بملابسهم وتكليسهم والكشف عن عورة الاموات كل ذلك دليل على خوف الموت والعجز من تمرين القلوب على الصبر وفيه مافيه من مخالفه الشرع او ان الحبس واخراج الناس في هيئة مخيفه انما يجوز فيمن يكون مجرما الاصباح على الذى ظهر الطاعون في بيته ولا يستحق اجره الا من قام بعمل نافع للاجره ولا ينبغي ان يضايق المحبوس في عيشه ". قالوا هذا كله فاستقدم محمد علي من افتى بما يلي : " لقد دلت اخبار السلف واثارهم على الاجواء تختلف وان بعضها قد تكون ضاره وان الانتقال من محل ثبت فساد جوه الى محل آخر واشتمام الروائح الطيبه واستعمال البخور لازالة الروائح الكريهه والقصد والحجامه والاستقاءه لما وردت بها السنه المحمديه ولا تنكر اذا انفذت بطريقه لا تخل باحدى الفرائض . فاذا أمر ولي الامر باجراءها بشروط هي ان لا يضيع

---

(١) رستم بشير ٢ : ٢٣١ الصحه في الشام مجلة الكليه عدد ١٥ : ١٣٥ .
(٢) رستم بشير ٢ : ٢٣٢ .
(٣) رستم بيروت في عهد ابراهيم باشا واعمال الامير محمود نامي بك فيها مجلة الكليه ١٣ - ١٣١ .
(٤) رستم بيروت في عهد ابراهيم باشا : ١٣١ .
(٥) رستم - اداره الشام م - ١١٢ ، المحفوظات ج ٤ ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

حق المطعون ولا الذى ظهر الطاعون في بيته وان لا تكون معيشه احد عرضه للضيق وان لا يحتفل بالميت المطعونا دون الاحتفال بالمائت ميته عاديه ونفذت بطريقه لا تخل بالشعائر الدينيه فان اطاعة اوامره في اتيان المباحثات واجبه فكيف بالحجر الصحي وهو بين الوجوب والاستحباب (١)".

وعلى كل حال عمل محمد علي على تنفيذ رغبته بانشاء الكرنتينا في بيروت رغم معارضة هؤلاء العلماء . ولنا في اعمال الامير محمود نامي بك في بيروت واهتمامه بمظاهر النظافه فيها دليل واضح على الاهتمام بالشؤون الصحيه اذ عمل على تبليط اسواق بيروت الحديثه لاول مره ورتب أمر الرش والتكنيس فيها . وهناك ما قاله في كتاب له ارسله الى احد قناصل الدول بتاريخ ٦ جمادى الاخره سنه ١٢٥٦ هـ : " الجناب الاكرم حضرة المحب الاجل المحتشم معلوم محبتكم وجود الحر من وجود الاوخام عمال يحصل التشويش فلأجل صحه العموم نبهنا على الطوائف ان يجول في البلده لأجل الكنس والرش بالاسواق والحارات وبحيث البعض من رعايا وجماعات دولتكم ليتوقفوا عن الكنس والرش بالاسواق والتنظيف ولا يتمثلوا الى تنبيه الطوائف ومن حيث عائد ذلك الى صحة العموم اقتضى تحريره لمحبتكم لكي تنبهوا على رعايا وحمايات دولتكم ان يرشوا ويرشوا قبال مخازنهم وكنايسهم ومحلاتهم على الدوام لاجل حسن المناخ وهذا ما ترغبوه محبتكم والله يحفظكم" (٢).

وهناك بعض التعليمات التي اصدرها ابراهيم باشا بخصوص الاهتمام بالنظافه والصحه العامويفهم منمرسوم اصدره الى اغوات محلات حلب في ٩ صفر سنه ١٢٥٤ بطلب منهم تعيين اناس في الصباح والمساء على فترتين من اجل العمل على تنظيف وكنس ورش امام المحلات في حلب وعيّن على من يقوموا بعمل التنظيف هذا اشخاص مراقبين لهم والتزم هو بدفع اجرهم خمسة عشر قرشا في الشهر (٣).

ولنا في قضيه اخرى من اهتمام ابراهيم باشا في النظافه والصحه العامة ننقلها عن مخطوطه مشاقه ، يقول مشاقه : " ان فوائض المياه القذره من بعض اقسام

---

(١) رستم ادارة الشام م ١١٢ المحفوظات ج ٤ ص ٣١٤ — ٣١٥ .
(٢) رستم بيروت في عهد ابراهيم باشا ١٣٣ .
(٣) رستم الاصول العربيه ج ٣-٤ ، ١٢٣ — ١٢٤ — ١٤٧ ، ١٤٨ .

مدينه دمشق كانت تجتمع في خندق خلف السور من الجهه الشرقيه ويفوح منها روائح كريهه على بيوت المحلات القريبه اليه التي اغلب سكانها نصارى والمقيمه من المسلمين فتبقى هذه القذورات منتشره هناك لاواخر الصيف قد تنشف ويأخذ هما اصحاب البساتين ويتجدد غيرها حيث لا مصرف لها ويمكن صرفها الى نهر عقربا الذي لا يتسرب منه غير الاراضي لانه يحمل اقذار كثيره من دمشق ولكن يحتاج الامر من الحكم لمرورها في ارض وقف المجزيين من المسلمين فالسكان الموجودين في المنطقة التمسوا من ابراهيم باشا الاذن بتصريف هذه الوائض على مصروفهم والرخصه بمرورها في ارض المجزين وهي تنفعها فحرر ابراهيم باشا الى شريف باشا ان يحقق بمعرفة دعوى القذر فاذا تحقق وقوعه يصير الفحص بمعرفة المهندسين فان وجد التصريف في ارض الوقف فيعملوا مقايسه المصاريف اللازمه للعمل وتتقدم له الافاده فشريف باشا حقق في الامر ورأى ان ذلك مضر على عموم السكان وممكن تصريفه فعمل مقايسة المصاريف وارسل التقارير لابراهيم باشا فصدر أمره بعمل اللازم على مصروف الحكم لان يلتزم بدفع الضرر عن الرعيه ولا يلزمها ان تتكلف بشيء من ذلك فتمموا العمل حسب امره "(1) هذه هي جهود ابراهيم باشا الصحيه .

---

(1) مخطوطه مشاقه : ٢٢٧ .

٧ـ التعليم في سوريـــــه في عهد ابراهيم باشا

اهتم محمد علي بالعلم والتعليم بالشام فأمر بارسال الطلبه من الشام الـــى مصر للالتحاق بمدارسها . فأرسل محمد منيب افندي في حزيران سنه ١٨٣٢ مئـــه واثنين من هؤلاء(١) . والحق سامي بك اولاد من نفّي من الشام الى مصـــر بالمدارس(٢) . ثم رغب محمد علي نفسه في تموز سنه ١٨٣٣ باستقدام بعض اولاد العرب من الايالات الجديده ممن ألم بالقراءه والكتابه ، والحساب ، والرسم كي يدرســوا فن حصار القلاع(٣) .

وفي ٢٥ كانون ثاني سنه ١٨٣٤ انشأت مدرسه حربيه في دمشق دعيتـــت مدرسه الجهاديه برئاسة علي اغا(٤) . وفي خريف سنه ١٨٣٥ اقترح ابراهيم باشـــا بانشاء مدرسه لتخريج الضباط المحليين في كل من حلب وعنيتاب وكلز(٥) . وكتب فـــي اوائل سنه ١٨٣٦ الى سامي بك عن الحبر والورق اللازمين لطلاب المدفعيه فـــي حلب(٦) . ولعل هذه المدارس كانت على غرار مدرسه البياده التي انشأت فـــي أيلول سنه ١٨٣٢ لتخريج ضباط الفرق . فيكون بذلك منهاج الدروس فيها قـــد شمل مبادىء التحصين الاوليه ـ مهاجمة الحصون والدفاع عنها ـ والطوبوغرافيـــه ورسم الخطط وحركات البياده واستخدام السلاح وواجبات الخدمه الداخليـــة ونظام الحاميات والاورطه والبلوكات(٧) . ومهما يكن من امر برامجها فالواقـــع انها كانت محاوله جديده في بابها لم يسبق للشوام ان رأوا مثلها من قبل .

وكتب محمد علي الى سامي بك يلفت نظره الى مؤلفات الحاج اسحـــق افندي رئيس المهندسخانه " في الحساب والجبر والهندسه وقطع المخروط وحساب التفاضل والتكامل والحكمه الطبيعيه وجر الاثقال والاجسام الصلبه والاجسام المائيـــة والهوائيه وعلم المناظر " لطبعها وتعميم فائدتها(٨) .

---

(١) رستم المحفوظات ج ٢ ، ٧٢

(٢) رستم المحفوظات ج ٢ : ١٦٨ .

(٣) رستم المحفوظات ج ٢ : ٣٤٤ .

(٤) رستم المحفوظات ج ٢ : ٤٨٨ .

(٥) رستم المحفوظات ج ٣ : ٥٣ .

(٦) رستم المحفوظات ج ٣ : ٨٧ .

(٧) رستم المحفوظات : ج ٣ : ٩٢ .

(٨) رستم المحفوظات : ج ٣ : ٧٧ .

واهتم ابراهيم باشا بتعميم القراءة والكتابه بين افراد جيشه وكتب الى والده في ذلك في ٢٠ كانون الاول سنه ١٨٣٥ فيخبره ان الضباط العرب اقدموا علـــى درس الهندسه والمساحه وما شاكل ذلك من العلوم اللازمه لرجال المدفعيه ، وان اللواء احمد بك اكد انهم سيتعلمون هذه العلوم في وقت قصير وانه سُرّ بهذا العمــل سرور بموقعة حمص . ثم يشيد الى اثر التعليم في معنويات الانفار فيقول : وقد كانــت تقع حوادث الفرار من الايات المشاه والفرسان في اثناء وقوف الاعمال الحربيه فاردنـا الا تترك الجنود عاطلين فانشأنا مدارس في جميع الالايات ووضعنا قانونا يقضي بعدم ترقية ضباط الصف من اونباشي الى رتبه يوباشي الا بعد ان يتعلموا القراءة والكتابـة ومن ليس له قابلية للقراءة والكتابه عليه ان تعليم صنعه من الصناعات . وقد قلــت حوادث الفرار قد باشرنا في تعليم القراءة والكتابه والصناعه.(١) فوافق محمد علـــي على ترقية البارزين من اولاد العرب في القراءة والكتابه الى رتبه يونباشي (٢) .

وذهب ابراهيم باشا الى ابعد من هذا فكتب في مطلع السنه ١٨٣٦ يشير الى طريقه اتبعها نابليون لاستعطاف العساكر واستفوائهم ويحبذ تطبيقهـــــا فيرجوان يعين لكل ذكر من اولاد العساكر في الشام نصف الراتب الذي يتقاضـــاه والده شرط ان يتعلم القراءه والكتابه فوافق والده على ذلك (٣) .

---

(١) رستم المحفوظات ج ٣ : ٧٢ـ ٧٣ .
(٢) رستم المحفوظات ج ١ : ٩٧ .
(٣) رستم المحفوظات ج ٣ : ١٠٣ .

٨ــ الحيـــــاة الاقتصاديـــــة

اراد ابراهيم باشا العمل على ايجاد اصلاح اقتصادى جذرى ، وجديد في بلاد الشام ، فبذل جهوده المستمره في تنمية الزراعه ، والتجاره والصناعه ، فابراهيم كان يحب الزراعه وكان يعيرها شطرا وافيا من اهتمامه الشخصي (١) . وكان يوليها جل عنايته لانها الفرع الاساسي للاقتصاد الشامي (٢) .

فنرى ابراهيم باشا يستطلع رأى الجانب العالي " والده " هل يسمـــح باعفاء من يحي الاراضي المهموله بغرس الاشجار والعنب ، من الاموال تشجيعـــا له أم لا (٣) .

وكتب الكولونيل كامبل قنصل انكلترا في الاسكندريه الى حكومته في ٥ نيسان سنة ١٨٣٤ كتب يقول : " لا تزال الى الان مساحه كبيره من الاراضي بورا فكتب يستشير والده من أجل اعفاء من يقومون على استصلاحها وزرعها (٤) " فسمح والـــده بذلك . فقام ابراهيم باشا باعطاء الاراضي لأى شخص يريد زرعتها مع اعفائـــه من ضريبتها ان كانت في حالة غير حسنه (٥) .

وكذلك الزم ابراهيم باشا كبار الموظفين ، والاهالي الاغنياء اصلاح القرى الخربه المهمله ، وزراعة اراضيها (٦) ، واهتم ابراهيم باشا بزراعة الاراضي البـــور فأرغم الاهالي على زراعة الاراضي الصالحه ، وانفق مبلغا كبيرا من المال في مشروعات

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٠٢ المحفوظات ج ٢ ، ٨٦- ٣٨٧ .

(٢) رستم ذكرى البطل ١٠١ .

(٣) رستم بشير ٢ : ١٠١ المحفوظات ج ٢ : ٣٨٧ .

(٤) بركات البطل الفاتح ١٤٥ الاصول العربيه ٣-٤ ، ٤٢ .

(٥) محمد كـرد علي خطط الشام ج ٣ ص ٦٨

Dodwell the Founderat modern Egypt p 253

(٦) رستم ذكرى البطـل ١٠١ .

من هذا القبيل ليكون مثلا أعلى لغيره (1) ،وألزم ضباط الجيش حتى رتبة بكباشي الانفاق على مشروعات مماثله لذلك (2) . وزرع لحسابه الخاص سهل انطاكيه الفسيح وكان بورا (3) .

ونرى اللواء احمد بك يكتب الى ابراهيم باشا نفسه مبينا عدد القرى والمزارع التي تم احياؤها حتى سنه ١٢٥٢هـ فيقول أن عددها في جهات حلب وحدها بلغ الرقم ٨٥ (4) ، وان عدد الافدنه التابعه لهذه القرى والمزارع نفسها بلغ الرقم ١٠٣٧ (5) .

وكذلك رغّب ابراهيم باشا البدو في ممارسة الزراعه وتعمير القرى المهجورة . وحمل بعض القبائل الرحاله على الاقامه في سهل انطاكيه لزراعته على حسابه الخاص، وبذلك تحوّل الاف من البدو الى زراع (6) .

واعتنى ابراهيم باشا بعامل آخر من عوامل الانتاج الزراعي وهو الفلاح ، فعمل على تشجيع الفلاحين على زراعة الاراضي وتعمير القرى المهجوره ، وامنهم غارات البدو عليهم تلك الغارات التي كانت فيما مضى تحملهم على ترك الاراضي (7) . وبذلك عمل ابراهيم باشا على مافيه خيرهم فأمنّهم من ظلم الحكام ، ونهب البدو واعتدائهم ، فصاروا سعداء ميسوريين لعدم تعرضهم للجور الذى كانوا فيه من قبل (8) .

---

(1) كرد على خطط ٣ : ٦٨ Dodwell p 253

(2) رستم البطل الفاتح ١٠١ الاصول ٣ ٤٠٣ - ٤٠٨ .

(3) كرد علي خطط ٣ : ٦٨ .

(4) رستم بشير ٢ : ١٠١ المحفوظات ج ٢ : ٣٢٦ فيما يتعلق بزراعة حلب ج ٣ ، ١٤٣ .

(5) رستم المحفوظات ج ٣ ، ١٤٤ .

(6) رستم ذكرى البطل ١٠٢ ، محمد كرد علي خطط ٣ : ٦٨ .
Dodwell op.cit pp 253-254

(7) رستم ذكرى البطل ١٠٢ ، كرد على خطط ٣ : ٦٨ .

(8) رستم ذكر البطل ١٠٢ ، العطار ١٦٨ .

ونتجة للخطه الماليه التي اتبعها بتسليفه الفلاحين المال اللازم ، للذين قطنوا القرى المهجوره لاصلاح بيوتهم وتموينها واعفائهم من الضرائب ثلاث سنين (١) . وأمر ابراهيم باشا كما جاء في تقرير قنصل انكلترا في حلب سنه ١٨٣٦ " بالغاء اخذ الخمس من الحاصلات الزراعيه (٢) " .

وكان ابراهيم باشا يفتش دائما على المزارعين ويزرع الارض بنفسه ليشجع الفلاحين وليضرب لهم المثل الاعلى . كما كان يبذل قصارى جهده في مقاومه الجراد حتى لا يتلف الزرع ، وذلك بتكليف الاهالي والجنود والقضاء على الجراد ، وقيامه بمباشره العمل بنفسه ، وجمعه بعض الجراد بيديه تشجيعا للاهالي (٣) .

وروى عنه القنصل كامبل عندما زاره في بريه حلب ، وهو منهمك بابادة الجراد فقال : " وجدته نازلا في خيمه قديمه كأحد العساكر ، وهو في اثواب تكاد تكون رثّة ، ويجلس على سجاده قديمه ويتكيء على سرج جواده . ولم يكن عنده سوى كرسي واحد قدمه لي . وحدثني عن الجراد . فقال : انه يأمل اباده بيضه قبل قبل ان يفقس ويضر بالزرع ، وقد وزع عساكره العشرة الاف على عده مناطق وقال لي انا احرقنا حتى الان ١٦ ألف اردب (٤) " .

وكان ابراهيم باشا قد لمس ظلما لحق بالفلاح والزارع من جراء تلزيم الضرائب فكتب الى الياشمعون بوجوب الغاء التلزيم وجباية الضرائب مباشره وقال : " اني لم اقصد من طرح هذه الضرائب جلب وفر لجانب الميرى فقط بل انني رأيت في ذلك نفعا وسهوله يعودان على الجانبين معا . فقد تيقنت ما يلقاه الاهالي من الظلم والجور والاذى والخساره من الملتزمين حيث يأتون الى القرى التي التزموا عشرها ويقيمون فيها . فمأكول الملتزم ورجاله وعليق دوابهم ، ومأكول معارفهم الذين يمرون عليهم في اثناء السفر جميع هذا على حساب الاهالي ، وليس بامكان هؤلاء ان ينقلوا غلالهم من البيادر مالم يسمح المتزم بذلك . فقد تبقى هذه الغلال على بيادرها حتى الخريف فتتعرض للتلف والفساد ومن جراء سقوط المطر . ولو فرض حدوث مظالم واكل حقوق بموجب النظام الجديد فانه سيكون نادرا كما اننا لا نحجم عندئذ من اجراء التحقيق اللازم . ولقد سأل شيوخ القرى بين الشام وحلب جرمانوس لدى

---

(١) رستم ذكرى البطل ١٠٢ .

(٢) بركات ١٤٦ .

(٣) محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٦٩   Barker:op.cit.vol 11,p 2,0

(٤) بركات البطل الفاتح ١٤٧ ، الاردب يستعمل لوزن الحبوب ويساوى ١٣٣,٧ كغم هنتس الاوزان والمكاييل ص ٥٩ .

سروره في قراهم اننا سمعنا ان ضرائب العشر ستطرح على الاهالي بالمقطوعيـــــن فقل لنا ماذا تم؟؟؟ (١) .

ووزع ابراهيم باشا على الفلاحين المساعدات الاتيه : ٤٠٠ ر٢٣٠ قرش و ٤٤٧ شنيبلاً من القمح و ٢٠٧ شنابل من الشعير ووزع ٢٤٧ ألف شجره توت و٢٤٥٥٥٥ شجره زيتون و ٢٦٤٩٠٠ غرسه عنب . ووزع ٦١١ محراثا وكان قد وزع قبل ذلـــك ١٧١٨ محراثا وانفق اموالا كثيره في المشروعات الزراعيه (٢) .

وكان ابراهيم باشا قد طلب باعادة الفلاحين الذين هجروا قراهم وأراضيهم وذلك من اجل اعمار الارض وزراعتها (٣) .

وخطى ابراهيم باشا خطوه كبيره الى الامام في تحسين الزراعه ، اذ قـــام بانشاء مصارف زراعيه في كل من دمشق ، وأدنه ، وحلب ، وعين لهذه الغايــــة صرافا في كل مدينة من هذه المدن (٤) . ووضع تحت تصرف كل صرّاف ألف كيـــس ، وذلك من أجل اقتراض ملاك الارض (الفلاحين) لمساعدتهم في تحسين زراعتهـــم (٥) ، واصدر تعليماتــه بأن الخزينه السر عسكريه تتكفل بزراعة بعض القرى (٦) .

وبما أن غرضه كان تنشيط الزراعه فانه وجه اللوائح بهذا الشأن ثم تبنـــى هذه الخطه : في أنه كان على الشخص الذى يريد الاقتراض ان يرسل طلبـــا

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٠٢ المحفوظات ج ٣ : ١٢٠ — ١٢١ .
(٢) رستم ذكرى البطل ١٠٣ ، بركات ١٤٥ ، محمد كرد على خطط ج ٣ ص ٦٩ : الشنبل : ٥٠ رطلا ؛ = ١٠٠ أقه شاميه .
(٣) مثال على ذلك فيما طلب ابراهيم باشا من مدير حلب باعادة اهالي قرية الدانـه واهالي قرية كورين الذين نزحوا عن قراهم ، رستم الاصول العربية ج ٣-٤ : ١٧٢ ، ١٨٠ — ١٩٨ — ١٩٩ .
(٤) رستم ذكرى البطل ١٠٢ ، the disturpances p.37-83 العطار ١٦٨ .
(٥) كان الكيس يساوى ٥٠٠ قرش فيكون تحت تصرف كل طرف ٥٠٠ ألف قرش بركات ١٤٥ .
(٦) Rustum the disturpances p 38

الى الاداره موقعا من قبل بعض الاشخاص الذين يوثق بهم ، ومعروفين لدى الحكومه في تلك البلده من اجل دفع ذلك المبلغ. (١)

اما في حلب ، كان المتقدم من المزارعين لاخذ قرض زراعي ان يقدم ضمانا أو تأمينا (٢) . وكان المزارعون قبل أنتقال سوريه الى السيد محمد علي كانوا مجبرين عند دفع الضرائب المستحقه عليهم كانوا يقترضوا بفائده ٥٠٪ من المبلغ لكل ٤ شهرا ولمنع ذلك قامت الحكومه بانشاء هذه المصارف ، وكانت الفائده التي تأخذها على كل حال مرتفعه تعادل نسبه ٢٠٪ .

لنورد مثالا على ذلك تنقله حرفيا من كتاب الاصول العربيه ج ٣-٤ ص٨٠ للدكتور اسد رستم . تبين منه كيفية توزيع الاموال النقديه والعينيه على بعض القرى :

" بيان مبلغ النقديه التي صدر بصرفها خلاصه الى قرايا المذكوره لاجل القوه وكذلك مقدار البذار الصادر باعطائه خلاصه الى المذكورين من شؤنه لحلب.

نقديه غروش	اردب حنطه	اردب شعير	القريه
٢٠٠٠	٦٠	١٥	قريه كرمانيين مع مزعتها اطنه
١٠٠٠	٤٥	١٠	قريه تل عقبرين
١٠٠٠	٦٠	١٥	قرية تل اعبده مع مزرعة فاح
١٥٠٠	٤٥	١٠	قرية درحشاف
٣٠٠٠	٨٠	٤٠	قرية سرمدا
٥٠٠	٤٥	١٠	قريه اليردقلي
٤٠٠٠	١٢٠	٥٠	قرية الدنا مع نصف البردقلي
١٦٠٠	٢٠	٥	قرية اشماف دبتراس
٣٠٠٠	٨٠	٠٠	قرية كبش
١٧٦٠٠	٥٥٥	١٥٥	

فقط سبعة عشرالف فقط خمسامية وخمسة وخمسين فقط مايه وخمسة وخمسين

---

(١)

(٢) نفس المصدر ص ٣٩ .

بيان مطلوب الخزينه من القرايا المشروحه

باره	غروش	القريه	ملاحظات
٢٥	٢٧١١٦	ترمانين	تبين لنا من القائمه الاول ان الحكومه
٧	١٢٠٢٣	تل عفيرين	كانت تعطى المزارعين الغلال والمال
٢١	٢٢٥٤٩	تل اعيده	لمساعدتهم في زراعتهم .
٣	٢٢٥٧٦	درشان	ويلاحظ من القائمه الثانيه الاموال
٠	٢٨٠٧٢	سرمدا	المتبقيه على هؤلاء المزارعين وتراجم
٢٧	٣٢٨٨٩	البرس قلي	ومقادير الاموال المتبقيه على تلك
٢٣	٥٢٦٩٥	الدانا	القرى .
٢٥	٢٦٥٢	اسماف وتبيراس	
٥	٦٢٤٦٤٣	كبش	
٢٣	٣٢٧٢٢٩		

وعلى كل حال فان النتيجه كانت أن عمل ابراهيم باشا هذا ، ونظامه ، أن تضاعفت حاصلات تلك البلاد ثلاثة اضعاف ، وحلّ اليسر محل العسر وعمرت الارض(١) .

وكتب القنصل كامبل الى حكومته في سنة ١٨٣٦ : " ان ابراهيم باشا انفق أموالا طائله على الزراعه ، وقدكان الاهالي هجروا كثيرا من القرى فعادوا اليها وزادت حاصلات الحرير" (٢) .

وكتب مولينوا قنصل سردينيا في حلب بهذا الخصوص : " ان الفلاح السوري قد أثرى في ظل الحكم المصري" (٣) .

أما جهود ابراهيم باشا لزيادة الثروة النباتيه فهي كبيره ، فقد بذل ابراهيم باشا ما في وسعه لتحسين الزراعه ، وزيادة الانتاج ، فأدخل في الشام كثيرا من

(١) بركات البطل الفاتح : ١٤٥ ، العطار ١٦٨ .
(٢) بركات ١٤٦ .
(٣) نفس المرجع .

الخضر الجديده وبخاصه البندوره ، وجلب ١٤٠٠٠ شجره من عنب برد وزرعها بالقرب من حلب ، وعمل على تكثير الزروع المختلفه (١) ، فلم تنقص زراعة اى محصول ، بل بالعكس اتسعت زراعة الحبوب ، والخضر اتساعا كبيرا ، وصارت من حاصلات التصدير كما زاد محصول القطن ، وكثرت أشجار التوث ، والزيتون والعنب ، حيث الزم الفلاحون زراعة عدد كبير منها في كل قرية ، كما زادت اشجار الخروع وأجريت التجارب في زراعة القصب والنيله ، وشجر البن وقطن مصر (٢) . ونقرأ في موضوع آخر وصول بعض رجال الاختصاص الذين درسوا الزراعه في فرنسا والتحاقهم بمصلحة تطعيم الاشجار في فلسطين (٣) .

واهتم ابراهيم باشا باصلاح قنوات الماء ، وانشاء الجديد منها من اجل رى الاراضي فاصدر أمرا الى مهندس مديرية حلب يطلب منه الاهتمام " بعيون الماء الذي وجدهم في قناه حلب وبسببهم صار اسراف كلي وضيعان للماء وان لازم تعديل القناه حسب المعتاد وسد العيوب (٤) " .

واشار عليه ابراهيم باشا بسرعه انجاز العمل بمده ٣-٤ أيام ، وذلك باعتماد على السرعه في احضار احجار الكلس والاحجار والاكثار من العمال (٥) . وكتب قنصل فرنسا في القاهره سنه ١٨٣٦ " ان النهر الجارى من غنساب الى حلب قد طهره ابراهيم ونظفه فزادت مياهه الجاريه ، وهو صارف جهده لتنشيف المناقع حول الاسكندرونه وسيصبح النهران اللذان يجريان بطرسوس صالحين لسير المراكب (٦) " .

وقد قال هذا القنصل في ثوره عن سنه ١٨٣٩ : " ان زيادة الارض المزروعه بلغت ٨٠ ألف فدان في سنتين وغرسوا الافا من شجر التوت والزيتون (٧) " . وزاد بذلك

---

(١) محمد كرد على خطط ٣ : ٩٩ Barker: vol.11,pp 209-210

(٢) محمد كرد علي خطط ٣ : ٦٨ . Dodwell p 255

(٣) رستم ذكرى البطل الفاتح ١٠٢ .

(٤) رستم الاصول العربيه ٣-٤ ، ١٤١-١٤٥ .

(٥) رستم الاصول العربيه ٣-٤ ، ١٤٥ ، العطار ، ١٦٨ .

(٦) بركات البطل الفاتح ١٤٦ ، العطار ١٦٨ .

(٧) محمد كرد على خطط ٦٨ Dodwell,p 255

ايجار الارض في بعض الاماكن الى ثلاثه امثال ايجارها من قبل (١) . هذه هي جهود ابراهيم باشا في زيادة الانتاج الزراعي .

وبذل جهدا لا يقل عنه في مجال الثروه الحيوانيه ، فقد كان الحرير المحصول الرئيسي للشام وعماد ثروتها تنتج بالاخص في مناطق صيدا ، وبيروت ، وجبل لبنان ، ودمشق ، وطرابلس ، واللاذقيه وانطاكيه (٢) تلك الاقاليم التي توجد بها مزارع واسعه من اشجار التوت زادت كثيرا اثناء الحكم المصرى (٣) .

وقد تحسن نوع الحرير نتيجه لادخال بيض دود القز من فرنسا وايطاليا على يد باركر القنصل الانجليزى في الشام الذى ادخل الطريقه الاوروبيه في تربية دود القز فأثر ذلك البيض وتلك الطريقه في تحسين الحرير عامه (٤) .

كذلك أدخلت الاغنام الاسبانيه في ضواحي نابلس ، وارسلت بعض الذكور من الاغنام الاسبانيه لضمها الى الاغنام الموجوده في عكا (٥) . كما طلب ابراهيم باشا ارسال اغنام من كريت الى الشام لتربيتها هناك (٦) .

ولا بد من كلمه اخيره نقولها في مجال جهود ابراهيم باشا في الزراعة ، لكن بالرغم عن كل الجهود التي بذلها ابراهيم باشا في تحسين الزراعه في الشام ، نقول بان الشكوى كانت من الفلاحين الذين كانوا يقتلعون في الليل ما يغرسونه في النهار وقد عزوذلك الى الجهل (٧) .

---

(١) رستم ذكرى البطل : ١٠٢ .

(٢) المسيوغوستون دوكوسو قنصل فرنسا في بيروت - تاريخ الحرير في الشام المشرق ، عدد ١٥ ص ٣٧٤-٣٧٦ .

(٣) Barker ap.cit.p 256

(٤) Barker op.cit.vol,11.p 256

دوكوسو - تاريخ الحرير في الشام المشرق - عدد ١٥ : ٣٧٥ .

(٥) رستم ادارة الشام ١٠٤ .

(٦) رستم ادارة الشام : ١٠٤ ، المحفوظات ج ٢ : ٢٩٤ .

(٧) بركات ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ١٤٥ .

ولكن المسيولورين قنصل فرنسا في دمشق علل ذلك بجور الموظفين . وقال في تقرير له في سنه ١٨٣٩ : " ان زياده الارض المنزرعه بلغت ٨٠ ألف فدان في سنتين وغرسوا آلافا من شجر التوت ، والزيتون ، ولكن رجال الميري لم يفرقوا لجهلهم بين النبت القديم والحديث . فضربوا الضرائب عليها جميعا ، لذلك اقتلع الجديد ، ولما وصل الخبر الى ابراهيم باشا استنكر عمل موظفين الميري وأمر محمد علي بمعاقبتهم ولكن الضرر كان قد وقع وعدل الاهالي عن الزرع" (١) .

هذا من جهه ومن جهه اخرى يجب ان لا يفوتنا ان الزراعه كانت دائما معرضه للمخاطر بسبب الحروب والثورات المستمره ، وكان أهالي سوريه وموارد ها الاقتصاديه مقيدين في اثناء تلك الحوادث برغبات الحكومه فتتحكم بهم في التجنيد والسخره ، والاحتكار ، وفرض الضرائب ، وفرار الاهالي من هذه الاعباء . فبذلك صرفت الاراضي الزراعيه من الايدي العامله . وبذلك اهملت الزراعه ، وقلّ الانتاج ، وارتفعت اسعار لوازم المعيشه (٢) ، ولا سيما انها كانت محتكره ، وقسم كبير منها مطلوب لاعاله الجيش في البلاد (٣) . كما ان السخره ، وضريبه الفرده ، والتجنيد عنا ء كلها اثرت على الانتاج واوجدت نقصا في الايدي العامله المتفرغه للانتاج الزراعي .

وهكذا تكون الزراعه قد استأثرت بمعظم نشاط ابراهيم باشا الاقتصادي في الشام لانها كانت بنظره الفرع الاساسي للاقتصاد القومي .

أما الصناعه فكانت مزدهره ، وكان تقدمها في المدن كبيرا ، وتجلى فيها الاختصاص فكتب المسيو بواكلنت سنه ١٨٣٦ يقول : " ان كل مدينه من مدن سوريه تخصص الان بنوع من الصناعه فاختصت دمشق باثواب الحرير الممزوج بالقطن (الحرير القطني) فهي تصنع الان ٤٠٠٠ ألف ثوب من الحرير يبلغ ثمنها سته ملايين فرنك . وكذلك تصنع سروج الخيل ودبغ الجلود واشتهرت دمشق ايضا في كل انحاء الشرق بصنع سروج الخيل (٤) .

---

(١) بركات ١٤٧ ، رستم بشير ٢ : ٩٧ ، اداره الشام ١٠٥ .

(٢) ابو عز الدين : ٣١٧ .

(٣) رستم الاصول العربيه ج ٣-٤ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، وغير ذلك .

(٤) بركات : ١٤٨ ، رستم الاصول العربيه ج ٣-٤ ، ١٢٨-١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣١-١٣٢ ، ١٦٠-١٦١ ، ١٦٧-١٧٠ ، العطار ١٦٩ ، شاهين مكاريوس في الصناعه عموما وصناعه السوريين خصوصا المقتطف عدد ٨ السنه الثانيه ص ٦٥٠ ، لا فس اليسوعي ، صناعه الحرير في دمشق المشرق عدد ٢٠ : ٣٤٨ - ٣٥٠ .

وحلب تصنع المقصبات من الحرير والذهب ومصنوعاتها افضل من مصنوعات ليون وامتن وارخص(١) . وطرابلس تصنع الاحزمه والزنار ، واهالي القرى قد تعلموا نسيج الحرير (٢) . وكذلك اشتهرت طرابلس والقدس ونابلس والرمله ويافا بالصابون (٣) ، كما اتقن الناس في الخليل صنع المصابيح الزجاجيه (٤) ، وانطاكيا تصنع الات دبغ الجلود (٥) .

كما ان ابراهيم باشا انشأ معملا لنسيج الصوف في صيدا لسد حاجة سكان الجبال البارده (٦) ، كما انشأ معاصر الزيت في طرابلس واستورد الات من فرنسا (٧) .

وكان محمد علي قد طلب في بدايه حكمه في الشام بوجوب ارسال عشرين او ثلاثين صبيا من بر الشام الى مصر لتعلم صنع الجوخ ، والطرابيش ، ولادخال هذه الصناعه الى بلادهم لتتحول ارباح الاجانب من هذه البضاعه الى ابناء البلاد(٨) ، ثم وافق محمد علي على انشاء معمل لصنع العباءات في عكا وصور(٩) .

هذا وقد استمرت المنسوجات الحريريه الانتاج الرئيسي للمصانع ففي سنة ١٨٣٦ استهلك نحو ١٢٠٠ قنطار من الحرير الناتج من الشام ، في مصانع حلب ، ودمشق وطرابلس ، وحماه ، وبيروت ، ودير القمر ، وصيدا (١٠) .

---

(١) رستم الاصول العربيه ج ٣-٤ ، ١٠٨ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥١ .
(٢) بركات ١٤٧ ، العطار ١٦٩ - دروكوسو تاريخ الحرير في الشام الشرق عدد ١٥ : ٣٧٤ .
(٣) بركات ١٤٧ ، رستم الاصول العربيهج ٣-٤ ، ١٥١ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٤) رستم الاصول العربيهج ٣-٤ ، ٤٤ .
(٥) بركات ١٤٧ ، العطار ١٦٩ .
(٦) رستم اداره الشام : ١٠٤ ، العطار تاريخ سوريه ١٦٩ ، بركات ١٤٧ ، الرافعي عصر محمد علي ٢٣٥ .
(٧) رستم ادارة الشام ١٠٤ .
(٨) رستم بشير ٢ : ١٠١ ، المحفوظات ج ٢ : ٣١٣ .
(٩) رستم بشير ٢ : ١٠١ ، المحفوظات ج ٢ : ٣٣٥ .
(١٠) رستم اداره الشام ١٠٤ ، دوكوسو تاريخ الحرير في المشرق عدد ١٥ : ٣٧٥ ، لامنس اليسوعي ، صناعة الحرير في دمشق المشرق ٢٠ : ٨٦٥ ، ٦٥٠-٦٥٢ ، عيسى المعلوف الصناعه في لبنان ، وصناعه سكب الاجراس المشرق عدد ٨ : ٣٠٢ .

وعمل ابراهيم باشا على ادخال طريقه اكثر اتقانا لاستخراج زيت الزيتون في طرابلس ، وما جاورها فجلب معاصر الزيت من فرنسا واستخدم عمالا اوروبيين في العمل ، وكانت النتيجه ساره جدا بالنسبه الى الكم والكيف للزيت الناتج . (١)

وايضا بذلت الحكومه المصريه جهودا عظيمه لكشف المعادن ، واجتهدت في التنقيب في جبال الشام بواسطه اخصائيين . ففي الجنوب بحث بعض الفرنسيين عن الرخام وفي لبنان اكتشف بعض الانجليز نوعا جيدا من الفحم الحجري ، وفي الشمال اختبر بعض النمساويين الارض وظنوا وجود الرصاص ، والنحاس ، والفضه ، والذهب بها (في بلاد النصيريه) (٢) . ومهما يكن فمن الثابت ان عند نهايه الحكم المصري تأكدت الحكومه من وجود الفحم والحديد بكثره في مناطق مختلفه .

وقد نتج عن ذلك كله ازدهار التجاره السوريه فاستوردت شبه جزيره العرب وايران ، وتركيا الانتاج السوري وكان معظم هذه الصادرات ، العصفر الشامي والحرير اللبناني ، والقطن الفلسطيني ولا سيما قطن عكا ، ونابلس ، والنيله الاردنيه (٣)

وعدّت دمشق مركزا عظيما للتجاره مع بغداد والبصره وفارس والبلاد المجاوره كما زادت تجاره حلب زياده عظيمه وعدت مركزا للتجاره البضائع الانضول والعراق ، واصبحت مصر الاول في تجارتها مع الشام بعد ان كانت في اول الامر في الصف الثاني (٤) .

وقد شجع ابراهيم باشا من ناحيته هذا التطور الاقتصادي فمهد الطرق خصوصا على الساحل ، واستخدم ثلاثين مركبا لنقل البضائع الى انطاكيه عن طريق العاصي ووفق فيه (٥) .

---

(١) بركات ١٤٧ رستم اداره الشام ١٠٤ ، بشير ٢ : ٩٨ هنري لامنس اليسوعي : المعادن في لبنان المشرق ٨ : ٨٤٣-٨٤٦ ، العطار تاريخ سوريه ١٦٩ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٧ .

(٢) رستم بشير ٢ : ٢٢٠ ، العطار ١٦٩ ، كرد علي خطط ٣ : ٥٧ .

(٣) بركات : ١٤٨ .

(٤) رستم اداره الشام ١٠٥ ، بشير ٢ : ١٠٢ .

(٥) بركات : ١٤٨ .

وزادت بعد ذلك تجارة سوريا زياده كبيره جدا ، فقد بلغت ٣١ مليون فرنك في ١٨٣٣ واخذت بالنمو حتى وصلت الى ٤٨ مليون في سنه ١٨٣٨ . كما جاء في تقارير قناصل الدول واهمها تقرير كامبل قنصل انكلترا ولسو رين قنصل فرنسا (١) .

وكان محمد علي قد فرق في سياسته الداخليه في الشام بين وطني أمن وبين اجنبي طامع شمل الاول بعطفه وحذر الاخر فوافق مثلا على السماح لقنصل انكلترا في رودس باستخراج الاسفنج من مياه الشام ولكنه رأى ان يمنع عن ذلك اذا كانت هذه المصلحه بيد رجل وطني (٢) ، واوصى منح التجار الوطنيين الامتيازات نفسها التي تمتع بها التجار الاجانب وساوى بين الوطنيين والاجانب فسمح للوطنين بتصدير بضائعهم من مرافىء الشام (٣) .

وكان التبادل التجاري بين مصر وسوريه قويا ، حيث صدرت مصر الى الشام ارزها وفحمها ، وتمرها ، وسمسمها ، وسمكها المجفف ، وماء وردها ، وصوفها ، وحصرها ، واستوردت مصر من الشام حريره وقطنه ، ونيلته ، وزيتونه ، وصابونه ، وتبغه ، وشمعه ، وعصفره ، وعضصه ، وقباقيبه (٤) .

لتعطي مثالا على التجاره وتطورها ما كان لتجاره ببيروت في هذه الفتره من مقال كتبه الاب لويس شيخو اليسوعي تحت عنوان بيروت اخبارها واثارها في مجله الشرق عدد ٢٤ ص ٣٦٤ يقول :

" وراجت تجاره بيروت امام المصريين بفضل الاجانب الذين استوطنوها ، وباشروا فيها المعاملات مع الوطنين وانشأوا فيها المحلات التجاريه والشركات الماليه وازدهرت خصوصا معامل الحرير ولنا في احصاءات القنصل هنرى غويس دليل باهر على تقدم بيروت ايام المصريين :

---

(١) بركات ١٤٨ .
(٢) رستم بشير٢ : ٢٢٧ .
(٣) بركات : ١٤٨ ، رستم ادارة الشام ، ١٠٥ .
(٤) رستم اسباب الحمله المصريه ٧١- ٧٦ .

ففي نهاية سنه ١٨٣٩ كانت الصادرات والواردات كالتالي :

السنه	الواردات من	الصادرات الى
١٨٣٩	من مصر الى بيروت ٤ر٥٨٨ر٣٢٥ فرنك	من بيروت الى مصر ٣ر٠٦٧ر٧٥٨ فرنك
١٨٤٠	من مصر الى بيروت ٦ر٤٩٠ر٠٠٠ فرنك	من بيروت الى مصر ٤ر٩٧٩ر٠٠٠ فرنك
١٨٤٠	من انكلترا الى بيروت ٥ر٧٣٥ر٨٠٠ فرنك	من بيروت الى انكلترا ٥ر٧٦٠ر٠٠٠ فرنك
١٨٤٠	من تركيا الى بيروت ٣ر٥٩٨ر٨٥٠ فرنك	من بيروت الى تركيا ٤ر٢٨٣ر٥٣٠ فرنك
١٨٤٠	من النمسا الى بيروت ٦٧٢ر١٠٠ فرنك	من بيروت الى النمسا ٧١ر٨٠٠ فرنك
١٨٤٠	من ايطاليا الى بيروت ٤٤٢ر٨٠٠ فرنك	من بيروت الى ايطاليا ١٥٨ر٦٠٠ فرنك

وقد ذكر القنصل هنري عويس ان معظم ما صدر من بيروت كان على الترتيب التالي في الفتره نفسها .

البضاعه	القيمه المصدره	البضاعه	القيمه المصدره
١- الحرير	٨٦٩ر٥٠٠ فرنك	٢- القطن	٤٦٧ر١٢٠ فرنك
٣- السمسم	٢٢٦ر٨٥٠ فرنك	٤- الاسفنج	١٧٢ر٨٠٠ فرنك
٥- الصوف	٥٥ر٩١٤ فرنك	٦- الصفص	٥٤ر٦٨٤ فرنك
٧- الشمع	٦ر٥٠٠ فرنك	٨- التبغ	١ر٥٠٠ فرنك

تبين من هذا ما بلغته بيروت في العهد المصري من الرقي حتى اصبحت مركزا للاعمال التجاريه لكل سواحل الشام وكانت الدول على مثال فرانسه اقامت لها قناصل لترويج امور بلادها ودولهم قنصليه انكلترا والنمسا .

ويقول الدكتور اسد رستم في حديثه عن بيروت في ايام ابراهيم باشا نقلا عن تقارير قنصل فرنسا من بيروت عن دخل حكومة بيروت على وجه التقريب في سنه ١٨٣٣ ، لم يتجاوز ٥٠٠ر١٣ ١٠ر١ غرش فكان منها :

المبلغ غروش	الجمارك
٤٥٠٠٠	جمرك البحريه
٢٥٠٠٠٠	ضرائب فوقانيه
٩٠٠٠	من الدياغيين
١٠٠٠٠	من الحمامات
٢٠٠٠	من خان الامن يوسف
١٢٠٠٠	من الحرير
١٥٠٠٠	من الخراج
٧٠٠٠	جمرك البر
٥٠٠٠	من الصياغين
٢٠٠٠	من تجار الحنطه
٣٥٠٠	من الفحم
١٠٠٠٠	من التنباك والتتن
١٧٥٠٠	من الملح

واتسع نطاق التجاره اتساعا يذكر فبعد ان دخل الحكومه مليونان من القروش، ارتفع سنه ١٨٣٥ الى الـ ١٠٠ر٢٨٢ر٢ وفي سنه ١٨٤٠ الى الـ ٨٨٨ر٩٣٠ر٣ وبعد ان كان دخل الجمارك البحريه لا يتجاوز سنه ١٨٣٠ ، ٤٥٠٠ الف قرش ارتفع في سنة ١٨٤٠ الى الـ ٠٠٠ر١٨٥ر٣ وهبط دخل الضرائب الفوقانيه من ٢٥٠ الف قرش الى ٢٩ ألف قرش فتأمل .

---

(١) اسد رستم ، بيروت في عهد ابراهيم باشا مجله الكليه عدد ١٣ - ص١٢٤ - ١٣٢ ، الضرائب الفوقانيه : ضرائب كثيره ومتعدده تأتي عن تخليص البضاعه تأتي من حيث لا يعلم وتذهب الى .....

٩- المواصـــــــــــلات

اهتم ابراهيم باشا ايضا بتحسين المواصلات ولا سيما بتنظيم البريد العسكـــري وقسمه الى قسمين ، عادى ومستعجل . فكانت رسائله المستعجله تصل من بعلبـــك الى مصر في سته ايام[١] .

ثم عمل ابراهيم باشا على خدمه الاهالي وذلك باعداد مشروع خاص لانشاء بريد عام ينقل رسائلهم[٢] . وما ان علم قنصل بريطانيا بذلك حتى احتج مدعيا ان انشاء بريد عام يضر بالبريد الانكليزى الذى كان يصل بيروت بدمشق ولكن ابراهيم باشـــا لم يعبأ بذلك[٣] .

وكان ابراهيم باشا قد أمر في سنه ١٨٣٩ بانشاء ابراج للاشاره بين مصـــــر والعريش وبيـــــن العريش وعكا[٤] .

وكان سليمان باشا قد اقترح على سامي بك معاون محمد على بانشاء طريـــق تصل بين بيروت ودمشق وطريق غيرها تربط قرنايل ومناجمها ببيروت[٥] .

وأما بالنسبه لوسائط الركوب والتنقل فكانت الدواب ولكن مع ازدياد الاوروبييـــن في بلاد الشام فقد عمل على استيراد العجلات فدخلت وشاع استعمالها ودخلـــت سنه ١٨٣٣ عربه المستر فرن الى البلاد وكانت هذه الاولى من نوعها[٦] .

---

(١) رستم الاصول العربيه ج ٣-٤ ، ١٨٧-١٨٨ ، ٢٠٣ - ٢٠٤ .
(٢) رستم الاصول العربيه ج ٢ : ١١٨ .
(٣) رستم بشير ٢ : ١٠٧ .
(٤) رستم بشير٢ -: ١٠٨ .
(٥) رستم بشير ٢ -: ١٠٨ .
(٦) رستم بيروت في عهد ابراهيم باشا : ١٣٤ .

الفصـــــل الثالــــــث

اسباب التذمـر فـي سوريه والاحداث التي ساعدت على قيام الثورات

١ــ الادارة ومعاملة الرعايا ، الاستنطاقات ، سفك الدماء ، انشاء الخمارات.

٢ــ الميري والضرائب الاستثنائيـــــه : الفرده ، الميري ، السخره ، البلص

٣ــ الاحتكار ، والمصادره والتسعير.

٤ــ التجنيد ، ونزع الســـــلاح :

١ــ في سائر سوريه ما عدا لبنان ١٨٣٤ ،

٢ــ في لبنان ١٨٣٥ ــ ١٨٣٧ ،

الفصل الثالث

اسباب التذمر في سوريه

" الاحداث التي ساعدت على قيام الثورات "

كثيرون من السوريين أملوا الخير من وراء تغلب حملة ابراهيم باشا على بلادهم. لأن من مزايا حكومة محمد علي العمل على اقرار الامن في البلاد (١)، وانقاذها من الفوضى، التي جعلت أرواح العباد، وأموالهم تحت رحمة الاقوياء، والاشقياء (٢). كما أن ابراهيم باشا كان قد وعد السوريين بأنه سيخفض الضرائب (٣)، ولا يكلفهم سوى دفع الاموال الاميريه (٤). ولم تكن الاموال الاميريه عبئا ثقيلا عليهم في عهد الحكومه العثمانيه، الا لما كان يرافقها من سوء المعامله في التحصيل، وابتزاز المبالغ الاضافيه بحجج مختلفه (٥).

وكان ابراهيم باشا، قد حقق بعض الامال على اثر احتلال سوريه، والشروع في اداره احكامها، فخفف عنهم الاثقال الماليه (٦). وأخذ بنشط الزراعه، والتجارة. فبدأ القوم يشعرون بالطمأنينه، والرخاء، وبالاخلاص للحكومه الجديده، غير أن زمن الهناء والرخاء لم يطل. فقد ذكر في فصل سابق أن اهم الاسباب التي حملت محمد علي باشا على الطموح الى الاستيلاء على سوريه، هو رغبته بالانتفاع بما فيها من مال، ورجال. ولذلك لم ينقض زمن طويل على امضاء معاهده كوتاهيه، وعلى الخطه الحكيمه التي كان ابراهيم باشا قد انتهجها في اداره البلاد السوريه حتى وردت عليه أمره والدة قاضيه على آمال السوريين موصيه عليهم الخضوع للسياسه العسكريه والاقتصاديه، التي جرى عليها في القطر المصرى. فالاوامر التي أصدرها محمد

---

(١) رستم الاصول ٢ : ٣٧-٣٨، تاريخ مقتطف ٣٠ : ٩٠٣، نقولا، ابعاد : ٧٦.
(٢) مشاقه : ٢٤٣ - ٢٤٤، رستم تاريخ : ٩٠٣.
(٣) ابو عز الدين : ١٣٦، العطار : ١٦٩، الرافعي عصر : ٣٠٠.
(٤) رستم الاصول ٣-٤ : ٦٥ -٦٦، الرافعي عصر ٣٠٠، أمين سامي باشا، تقويم النيل ٢ : ١٨٨.
(٥) ابو عز الدين : ١٥١.
(٦) رستم الاصول ٢ : ٧٢-٧٣، ٣، ٣٢.

على الى ولده ابراهيم باشا في اوائل سنه ١٨٣٤ ،أوجبت اجراء مايلي : (١)

١- احتكار الحرير في البلاد السوريه.
٢- تحصيل " الفرده " اى فريضه الرؤوس من جميع الرجال على اختلاف مذاهبهم.
٣- التجنيد في البلاد الساحليه.
٤- نزع السلاح من أيدى أهل البلاد .

ورغما عما لتنفيذ هذه الاوامر من سوء التأثير في عمران البلدان السوريه ، وفي شعور السوريين نحو حكومه محمد علي ، ومع انها تناقض الوعود التي كان قد قطعها ابراهيم باشا لاهل البلاد ، فانه لم يتردد في تنفيذ أوامر والده . والطاعه العمياء لمشيئه محمد علي كانت من أظهر صفات ابراهيم باشا (٢) . وقد لامه بعض الكتاب على مضية في تنفيذ هذه السياسه في سوريه بدون ان يراجع والده في الامر ، ويلفت نظره الى ما فيه من المجازفه لان ابراهيم باشا كان قد اكتسب خبرة شخصيه باقامته في سوريه، واطلع على أحوال البلاد ، وعرف عنها وعن أهلها ما لم يعرفه والده. فان السوريين كانو يشكون من الحكم العثماني ، التكاليف كانت أخف وطأة من تلك التي فرضت عليهم في عهده ، ولم يخف عليه ان من وقع بين شرين يختار أهونها .

وهو الميل الى الرجوع الى الحكم العثماني الشرعي ، ولا سيما ان الحكومه العثمانيه ، وبعض الاوروبيين وفريقا من أهل البلاد كانوا يدسون الدسائس ،ويعملون على اثارة الفتن على حكومة محمد علي . فلو أقام ابراهيم باشا على خطه الرفق في معامله السوريين ، لازداد اخلاصهم للحكومه الجديده وزال أهم أسباب الثورات،

---

(١) Rustum ,the distur pances, pp 37-46

ابو عزالدين : ١٥٢ ، الرافعي عصر: ٣٠٠ .

(٢) ابو عزالدين : ١٥٣ ، ابو سمرا غانم : ٣٦٤ ، العطار ، ١٦٩ ، رستم تاريخ المقتطف ٣٠ : ٩٠٣ ، الرافعي عصر : ٣٠٠ ، أمين سامي باشا ، تقويم نيل : ١٩٠ ، مشاقه تاريخ محمد علي باشا : المقتطف عدد : ٣ : ٦٣٢ ، زيدان تاريخ ١٦٦ .

وتمكن من الانتفاع برجال سوريه ، ومواردها الاقتصاديه ، انتفاعا مشروعا أكيـــدا لان السوريين بعد ما تذوّقوا طعم السكينه في أول عهده صاروا يرونّ أن عـــود الحكم العثماني ليس لمصلحتهم . ولو لم تنقلب عليهم حكومه محمد علي وتحرجهـــم بما فرضته عليهم من التكاليف الثقيله لما خرجوا عليها بعد المره بل لاصبحوا بأسرهـــم جيشا متطوعا لمقاومه كل اعتداء على سوريه ، من جانب الحكومه العثمانيه ، وللمحافظه على ما حصلوا عليه من بوادر الامن والرخاء(١) .

كما ان انتشار السكينه والطمأنينه في بلادهم كان مما يمكنهم من توسيـــع نطاق الزراعه والصناعه ، والتجاره ، فنشأ عن هذا التوسيع زيادات عظيمه فـــي الضرائب ، والمكوس لا يتذمر منها دافعوها متى اصبحوا يجيدون بما يجدون . ان لمن المستبعد ان تكون امور كهذه قد خفيت على ابراهيم باشا وهذا ما يحملنا على التساؤل عن الاسباب التي منعته من محاوله اقناع والده بالرجوع عن سياسه جمعت بين الاجحاف بحقوق السوريين ، ونكث العهود التي كان قد قطعها لهم ، وهو ما يؤدي حتمـــا الى نفورهم من حكومته وعدم ثقتهم به . فمن رأي بعضهم ان اعتياد ابراهيم باشا اطاعة اوامر محمد علي اطاعه عمياء وشده تيقنه بحزمه ، وبعد نظره أنسياه عهـــوده للسوريين وحجبا عن بصره الاخطار التي تتعرض الحكومه لها بسبب نكث تلك العهود(٢) .

على ان الاقرب الى المعقول هو ان محمد علي لم يقدم على فرض التكاليـــف السالف ذكرها الا بعد الوقوف على رأي ابراهيم باشا ، وان كليهما كانا يريـــان أن من الحزم الاسراع في تقويه الجيش ، وحشد الاموال استعدادا للطوارئ . وان ذلك مما يستوجب تجنيد السوريين ومساواتهم باخوانهم المصريين في تأدية الضرائـب والتسخير ، وما شاكل ذلك ، وعهدوا اولا الى نزع السلاح من السوريين ليبقـــوا كالطير المقصوص الجناح . واغترّ ابراهيم باشا بانتصاراته الباهره على الجيوش العثمانيه فاستصغر شأن السوريين . وبعدها اتخذ له حزبا منهم توهمّ أنهم لا يستطيعون جميع كلمتهم على المقاومه ولا يجرأون على الانتفاض على الحكومه متفرقين (٣) . كما ان ابراهيـم باشا مضى في تنفيذ أوامر والده بالتدريج فلم يشرع في نزع السلاح من اللبنانييـــن وتجنيدهم ، الا بعد مافرغ من نزع سلاحهم سلاح غيرهم وتجنيده . ولما جاء دور اللبنانيين أوهم المسيحيين أنه سيكتفي بنزع سلاح الدروز . وهكذا استمال المسيحيين اليه لكنه ما كاد ينتهي من نزع سلاح الدروز حتى عهد الى نزع ســـــلاح

---

(١) العطار ١٦٩ ، رستم تاريخ محمد علي باشا المقتطف مجلد ٣ : ٢٠٣ ، الرافعي عصر ١ : ٣٠١ ، ابو عز الدين ١٥٢ ، نقولا ابعاد ٧١ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٦٣٢ ، ابو عز الدين : ١٥٣ .

(٢) Rustum, the disturpances pp 37-39

(٣) ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا المصري في سوريه والاناضول ج ١ ص ٥٥ ، العطار : ١٠٦ .

المسيحيين (١) . فلم يبق هنالك شك في أن سياسة الرفق التي كان قد اتخذ هنا في أول الامر لم تكن الا تدبيرا وقتيا غايته تخدير أعصاب السوريين الى اجل مسمى . على ان الشده شر الوسائل لحكم الشعوب . وان السوريين الذين استصغر شأنهم في بادئ الامر كانت مقاومتهم له من اشد العوامل تأثيرا في انهاك قوى جيوشه واتخذتها السياسه الاوروبيه وسيله لزعزعه اركان حكومته . ويروى أن احدهم رآه يوما قلق البال فسأله عما اذا كانت الدول الاوروبيه سبب بلباله فأجابه : " ماذا ؟ . الدول الاوروبيه ؟ . اني اضعها في علبه السعوط . انني أتألم من أولئك السوريين الاشرار الذين سيكونون سببا لجميع بلائي " (٢) .

على ان تذمر محمد علي من صعوبة مراس السوريين لا يذكر في جانب ماذاقه هؤلاء من مر العذاب من حكومة محمد علي كما يتضح ذلك من أشياع الكلام عن المظالم ، واسباب التذمر التي أنزلتها عليهم .

أولا : الاداره ومعاملة الرعايا :

الاستنطاقات : تحدث عنها نوفل قائلا : " أما الاستنطاقات التي كانت تجري على المتهمين بخيانات يريد الحكم تحقيقها ، فليس لها طريقه الى العذابات المريعه على وجوه متعدده ، مفوض أمر التفتن فيها الى الجلادين الموكلين بتعذيبهم من أنفار الضابطه ، وأهون ما فيها الضرب بالسياط ، او العصي التي تعد بحسب كمية الجلدات بل كميه ما ينكسر منها على ظهر المضروب او رجليه ، فلو قيل أن فلانا ضرب مئه عصى فيكون المفهوم كسر ذلك المقدار منها في ضربه .

وأما الاستنطاقات المعتنى بها كاستنطاق كتاب الخزائن المتهمين فلا يترك لرأي الضابطه بل لا بد له من اعتناء فحوص من طرف ذات الحكم كاستنطاق طائفه اليهود في الشام ، لما اتهمت بقتل البادري توما ، فان ما اجراه شريف باشا الحكمدار بحقها من المظالم والعذابات الهائله أوجبت دوله فرنسا ان تهدد

(١) رستم تاريخ محمد علي ، المقتطف ٣٠ : ٩٠٣ ، الرافعي عصر ٢ : ٣٠٢ السجله مشاقه تاريخ : ٦٣٣ .

(٢) ابو عز الدين : ١٥٦ .

دم البادري المذكور ، وترسل اوامر الى سفرائها في الاستانه بأن تتوسط مـــع الحكمدار ومع الحكومه بالكف عن هذه الاعمال الشنيعه (١) ".

أما قضية سفك الدماء : فلا حاجة للاطاله بها ، بل نورد بعض الاقـوال لنوفل منها قوله : " أما قضيه سفك الدماء التي جرت بمده أحكامه في هذه البـلاد فلا نطيل الكلام على تفاصيلها بل نذكر ما كان بعضها غريبا فـي موضعه وفي اسـلوبه ، وعجيبـا في الاعتذار عنه من هذا الوزير الذي كان يوهم الناس انه منشي العدل فـي بلاده ، ومؤنس التمدن في ولاياته . وهو اولا : انـه امر في بعض الايام مملوكـا من مماليكه ان يحفر حفره في الارض وبعد ان اتمها أمره ان يرقد فيها ، ثـم يرد التراب عليه ، وواده حيا . ولما سئل عنه بعض المقربين اليه عن السبـب أجاب : " بأن الدفين المذكور له اطلاع على بعض اسراره ،وكان يشاركه في هذا الاطلاع يوسف عيروط كاتب التحريرات العربيه فشعر ان الباشا يريد ان يعامله بما عامل بـه المملوك ففـر هاربا والتجأ الى قنسلاتو النمسا لانه كان من حماياتها .

" ومنها قتله علي أغا الخزينه كاتب أحد أعيان الشام يوم خروجه منها ، وتوجه الى مصر بالذات ، مع انه كان ضيفه ونازلا في بيته ، ومن أعز المقربين اليه ،قيـل انه اعتذر عن ذلك بكونه لا يريد ان يصير نديما لغيره بعده " (٢) .

انشاء الخمارات :

أجازت حكومة محمد علي انشاء الخمارات ، وحصرت فيها حق بيـع الخمور للافراد ، ولاصحاب المقاهي . فكان من ذلك اباحه شرب الخمر جهـارا لا نشاء حتى المسلمين ، وقد غالى بعض الجهال بالجهر في استعمال الخمـر وفي اثناء احدى الزينات التي اقيمت في دمشق ، ركب رجل مسلم جملا ، ووضـع على جانبيه " مسوبتين " من العرق وسار في موكب عظيم متنقل في احياء المدينـه ، وكان الرجل يتناول العرق من حين الى آخر ، وهو على ظهر الجمل على مرأى مـن الوف من المسلمين (٣) . الذين كادوا يتميزون غيظا مما شاهدوا . فانشاء الخمارات اثار في نفوس المسلمين ثائره الغيره الدينيه ، كما انه حرم عددا كبيرا من المسيحيين ،

---

(١) نوفل كشف اللثام : ٤٩٢ ، ومجله الكليه عدد : ١٣ ، ص : ٤٨ - ٤٩ .

(٢) نوفل كشف اللثام : ٤٩٦ ، ومجله الكليه عدد : ١٣ : ٤٩ - ٥٠ .

(٣) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه : ٦٧ - ٦٨ ، ابو سمرا غانم : ٣٦٤ ، القطار ١٧١ ، محمد كرد علي خطط ٣ : ٥٨ .

الا رباح التي كانوا يصيبونها من المتاجره به ، واستولت الحكومه على ما كان مخزونا عندهم من العرق والنبيذ لا جل البيع ، ولم تدفع لهم سوى ربع ثمنه . كما انها استولت على الالات المستعمله لصنع الخمور ، وعلى المواعين المعده لحفظ الخمر في بيوت النصارى واليهود . وهكذا اوجب انشاء الخمارات استياء جميع الطوائف السوريه (١) .

ثانيا : الميري والضرائب الاستثنائيه : (الفرده ، الميري ، والسخره ، والبلص) .

ان الفرده كان لها تأثير سيء في نفوس المسلمين بنوع خاص ، لانهم لم يعتادوا دفع مثلها قبلا ، وكانت ثقيلة الوطأة بوجه عام ، لان ما كان يفرض منها على بلده ، او مقاطعه كانت مكلفه بدفعه ، ولو نقص عدد الرجال فيها . فمن كان ذا عائله فيها ثلاثه ، أو اربعه شبان يكلف بالدفع عنهم جميعا ، ولو مات بعضهم او كلهم ، اما بسبب المرض ، او في الحرب في سبيل الحكومه . واذا عجز عن ذلك ، فبلده ، او المقاطعه التي ينتسب اليها توزع المبلغ المطلوب على الرجال الموجودين . وهذه التكاليف كانت تزداد سنه فسنه ، على الذين يقومون بدفعها نظرا لازدياد عدد الغائبين ، والمفقودين ، موتا ، او قتلا ، او فرارا الى حيث لا تطالهم يد الحكام ، خوفا من الحبس ، والضرب ، والتعذيب . وقد كان رجال الحكومه يعاملون الاهلين بمنتهى القسوه في تحصيل هذه الضريبه وغيرها من الاموال .

وكما مر في فصل سابق ان هذه الضريبه على الذكور المراهقين كافه متى بلغوا الثانيه عشره من عمرهم ، وجعلها تتفاوت بتفاوت الثروه من خمسة عشر غرشا الى خمس مئه قرش في السنه (٢) .

وتفاوتت في لبنان من عشرة قروش الى مئتين وخمسين قرشا . وعدّدت النفوس لهذه الغايه ، وسجلت في دفاتر معينه ، وجبيت الفرده بموجبها (٣) .

وزادت حكومة محمد علي على هذه المغارم بتقدير الاموال الاميريه على الاملاك بطريقه جعلتها أشد وطأة على الملاكين مما كانت عليه في عهد الحكومه

---

(١) ابو عز الدين : ١٣٤ - ١٣٥ .
(٢) رستم بشير ٢ : ١١٩ ، البيطار ج ١ ، ٢٥ ، الشطي روض البشر ، ١٧ ، محمد كرد علي خطط ٣ : ٥٦ .
(٣) رستم بشير ٢ : ١١٩ ، ابو سمرا غانم : ٢٦٤ ، العطار ، ١٧٠ ، نقولا ابقاد : ٧٧ ، امين سامي ، تقويم : ١٩٦ ، كارل برو كلمان ، تاريخ الشعوب الاسلاميه : ٦٣ ، مشاقه تاريخ المقتطف ٣٠ : ٦٢٥٠ ، زيدان تاريخ ، ١٦٦ .

السابقه ، حيث لم تقتصر على تحصيل مال " الميرى " فقط بل اضافوا اليه كل ماكسان يبتزه الملتزمون ، والعمال ، المحليون واعتبروا المجموع ما لا اميريا . ووصف نوفل الطريقه الجائره التي كان يتبعها مندوبو الحكومه لتقدير الاموال الاميريه فلا داعي لذكرها هنا .

السخره :

وزاد الاهلين ضنكا تسخيرهم حيوانات النقل لاشغال الحكومه . فمن أمثلة ذلك ما رواه نوفل نوفل ايضا حيث قال : " فلا يقدر أحد من أية رتبه كانت من الاهالي في المدن فضلا عن القرى ان يحمي دابته ، ويحافظ عليها ولو جعل محلها داخل داره . فان الضابط المسمى بالتفكجي له سلطان أن يخلع الابواب ، ويكسر الاقفال ويفوت هاجما الى الدار ويمرها قهرا وجبرا ، ويركبها لاى عسكرى او ضابط أراده . ويكون صاحبها مجبورا بان يستأجر لها رجلا يرسله لاجل عليقها وليحضرها له عند انتهاء عملها ، والا لادعوى له اذا ضاعت عليه وفي اكثر ايام السنه كانت تمتنع الفلاحون عن النزول الى المدينه لانه لا يمكن ان ينزل اليها فلاح الا ويتسخر هو ودابته او هو وحده ودابته وحدها . فيجره الضابط الى حيث اراد واذا تعند معه اصابه من الضرب الاليم ، والعذاب المفرط ، مما يجعله ان يخضع لارادته رغما عن انفه (١) " .

وكانوا يرسلون البنائين الى عكا ، وقولاق بوغاز ، وغيرها من الاماكن التي تبعد عن أوطانهم مسيره يوم ، او أيام ، ويكرهونهم على العمل بربع الاجره (٢) . ومن ظلم السخره انهم كانوا يكلفون المكاريين نقل الفحم الحجرى من معدن قرنايل باجره زهيده وبما ان الفحم المحفور حديثا تكون فيه رطوبه تتبخر عند تعرضه للشمس والهواء ، في أثناء نقله مسيره ساعات عديده فيجف ، وينقص وزنه فكانوا يلزمون المكاريين بدفع ثمن الفرق في الوزن الناشيء عن فعل الطبيعه ، فيفقدون اكثر اجبرتهم او كلها ظلما وعدوانا (٣) . واتهم الناس الحكومه بأنها تكيل بمكيالين ، وتزن بميزانين ، فتأخذ بمكيال او ميزان يزيد على المكيال او الميزان الذى تعطي به . والذى فرضت التعامل به بين الناس كما تقدم في الحديث من الضرائب.

---

(١) نوفل مخطوطه كشف اللثام : ٤٨٩ .

(٢) نوفل ، ٤٨٩ .

(٣) نوفل مخطوطه كشف اللثام : ٤٩٠ ، العطار ١٧٠ .

ولم تقتصر الشكوى من الحكومه على الملاكين ، والمكاريين ، بل شمل أفقر الطبقات وهي طبقة العامل الفقير الذى يأكل خبزه بعرق جبينه ويحول ذويه من اجرته اليوميه . فمن هؤلاء من كان يستخدم في قطع الاشجار في الغابات ، فاذا قطع شجره ووجدت لان سبب من الاسباب غير صالحه للغرض الذى تطلبه الحكومه يحرم اجرته . نعم أن الحكومه كانت تترك له حرية التصرف بالشجره التي تمسك عنه أجره قطعها غير ان بعد الغابات عن المدن كان يحول دون انتفاع العامل بها (١) .

ومن المظالم التي ذكرها نوفل نوفل بعد أن عدد اضرار السخره مايلي : قال : " والاعظم من ذلك جميعه اخراج الناس من بيوتها لاجل اسكان العساكر التي لا تنفتر من الجولان في البلاد وخاصه مدن الساحل ، فلا يرثون لانين شاكي ، ولا يرحمون دمعه باكي . فترى النساء والارامل فضلا عن المتزوجات من المسلمين ، والنصارى دايرات في الاسواق ، يتوقعن مأوى ياوين اليه . وقد يتفق البعض منهن أنهن بعد مقاساة العناء يجدن محلا لكنهن لا يستقرن فيه برهه الا وتأتي العساكر وتخرجهن منه ايضا . ولا يعفى من ذلك أحد لا كبير ، ولا صغير . الا من كان ذا رتبه معروفه بين خدام الميرى " . " وكثيرا ما تتعطل المساجد ، والمدارس لتجعل عنابر لوضع الذخائر والمهمات (٢) " . وقد ذكر غير نوفل حوادث من هذا النوع ، منها ما حدث في دمشق ، فانهم " أخذوا جملة جوامع ، ومدارس نزلوا بهم عساكر ، مثل الجامع الذى في الخياطين ، والمدرسه التي بلصق بيت عبدالله باشا والمدرسه التي قاطع حبس باب البريد ، والجامع الذى بالدرويشيه ، وجامع المعلف . . . (٣) " الخ .

---

(١) نوفل : ٤٩٠ ، العطار : ١٧٠ .
(٢) نوفل كشف اللثام : ٤٩٤ ، ومجله الكليه عدد ١٣ : ٤٨ .
(٣) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه : ٨٧ - ٨٨ ، محمد كرد علي خطط ٢ : ٥٧ . فضائيل : مشاقه : تاريخ مقتطف ٣٠ : ٦٣٧ .

ثالثا : الاحتكار ، والمصادره ، والتسعير :

حينما بدأ محمد علي باحتكار التجاره بمحصولات البلاد وصناعتها ، في القطر المصرى انتحل عذرا لذلك الاضطرار لحصوله على موارد تمكنه من انشاء الترع ، والمصارف العائده منافعها على الفلاحين . لان تلك المشاريع لم يكن في الامكان القيام بها بطريقه منظمه الا بواسطة الحكومه . فلما عهد الى اجراء مثل ذلك الاحتكار في سوريه ، في منتصف حزيران من سنه ١٨٣٣ ، تبين فساد ذلك العذر ، لان السبب الذى ادعاه للاحتكار في مصر لم يكن موجودا في سوريه (١) .

فالاحتكار كان يوجب على الاهالي بيع محصولات أرضهم الى الحكومه بالثمن الذى يقدره عمال الحكومه نفسها ، وعدا ما كان في هذه الطريقه من الحيف في تقدير الثمن ، فانها تحول دون تزاحم التجار ، والسماسره على المشترى . فتحرم الملاك والفلاح من الحصول على ثمن عالي لمحصولاته ، وتثبط عزائم المنتجين ، وتحرم السماسره من الانتفاع برسوم السمسره عما يشترون (٢) . فالربح الذى كان يجب ان يحصل عليه هذان الفريقان تسرّب الى خزينه الحكومه التي شاركت الفلاح في تعبه وصرفت السمسار عملا يقوم به (٣) .

اما احتكار هذه الصناعه تلك ، فعدا عن ما فيه مزاحمه الحكومه للعاملين على ربح هم اولى به يحول دون تنشيط المشاريع المحليه ويمنع المسؤولين، واصحاب العقول والهمم الماليه من استثمار اموالهم . ومثال على هذا الاحتكار والمصادره، هو الامر الذى اصدره محمد علي في ١٥ حزيران ١٨٣٣ ، بابتياع جميع محصول الحرير في بر الشام (٤) ، وباحتكاره ، ثم عدل ذلك " خوفا من ازعاج التجار والفلاحين " ولا سيما اللبنانيين منهم ، واكتفى بتحديد السعر لابتياع ما يلزم منه لمصانع الحكومه (٥) .

ولا غرو فموسم الحرير في لبنان آنئذ كان اعظم المواسم وعليه المعوّل ، والاحتكار ، كان من شأنه ، ان يقلب الاسعار كليا لصالح الحكومه فيؤدى الى

---

(١) Rustum, the disturpances p 40

(٢) Rustum, p, 40

(٣) رستم بشير ٢ : ١١٩ ، The disturpances, p 40 قرأ لي فتوحات : ٣٢ .

(٤) رستم بشير٢ : ١١٩ ، The disturpances p 40 قرأ لي فتوحات : ٣٢ .

(٥) رستم بشير٢ : ١١٩ ، كان باراهيم باشا قد حدد سعر الحرير ب ١٥٥ قرش للأقه الواحده The disturpances p 40 ابوسمرا غانم : ٣٦٤ .

نـــــقص كبير في دخل الفلاح والتاجر (١) .

أما ما أصدر محمد علي من أوامر بخصوص مصادره بعض المحصولات ، فكان قد أمر في ٢٧ آذار ، منيب أفندي أن يصادر البضاعه في ولايه صيدا ، التـــي لا يجوز بيعها الا بمعرفــه " الميري " كالكتان وبذوره ، والعصفر ، والنيلـــه ، والحناء ، والخيط ، والافيون ، وان يلقي القبض على اصحابها (٢) ، فافاد محمد منيب افندى بعد خمسة عشر يوما : " أنه ارسل خطابات شديده اللهجه الى بعض المتسلمين يحتم فيها ايقاف تهريب الكتان ، والعصفر ، والنيله ، والحناء ، والسمسم ، وغيره من الحبوب التي تباع لحساب الميري " (٣) . قال ابراهيم باشا في موافقتـــه على احتكار البن في ١٥ آب ١٨٣٣ بوجوب رفع سعره من قرشين الى سبعة عشـــر قرشا في الاقه الواحده (٤) .

رابعا : ١- التجنيد ونزع السلاح في سائر سوريه ما عدا لبنان سنه ١٨٣٤ :

التجنيد : كان السوريون ينفرون من التجنيد أشد النفور ، لا لأنهـــم لم يألفوه ، وان كانوا قد الفوا الحروب ، فالحروب التي كانوا يشتركون فيها قبـــلا كانت تقع في داخل البلاد ، وكان المحارب لا يغيب عن اهله ، وبلدته الا أيامـــا معدوده ويسير الى الحرب مع اخوانه ويسير الى الحرب مع اخوانه ، ومواطنيه جنبـــا الى جنب (٥) ، وتحت رايه زعيم يعطف عليه ، وتجمعه به جامعه المبدأ ، والمصلحه ، والوطن . أما التجنيد الاجباري في جيش ابراهيم باشا فكان خاليا من كل هذه المزايا . ولم تكن له شريعه خاصه ، ولا نظام معروف ، ولا وقت معين (٦) ، وكانت طريقه تنفيـــذه فظيعه . أجمع على استنكارها جميع المعاصرين حتى ان كلوت بك وهو مـــــن كبار رجال حكومة محمد علي ، ومن الحائزين على ثقته ، ولم يسعه الا الاعتـــراف

---

(١) رستم بشير ٢ : ١١٩ .
(٢) رستم المحفوظات الملكيه المصريه ج ٢ : ٢٨٥ .
(٣) رستم المحفوظات الملكيه المصريه ج ٢ : ٢٩٦ .
(٤) رستم بشير ٢ : ١١٩ .
(٥) ابوسمرا غانم : ٣٦٤ ، ابكاريوس ص : ١٠١ ، نقولا ، ابعاد : ٧٨ ، البيطار ، ج ١ : ٢٦ ، محمد كرد علي خطط ٣ : ٥٧ .
(٦) مقالات جامعة بيروت الامريكيه مجلة الكليه عدد : ١٥ ، ت ٢ : ١٩٢٦ ، ص : ٤٨ .

بأنها كانت طريقة دمجيه ، وان كل ما رواه الرحالون عن فظاعتها مطابق للواقع(١) .

وقال نوفل عن التجنيد انه : " لم يكن له وقت ، ولا نظام مخصوص ، ولا على أصول القرعه الشرعيه ، بل في اى وقت صدرت به الاراده تدور العساكر في المدن ، والقرى ، للقبض على اى من وجوده ، واذا وشي بأحد انه مختبيء في احد البيوت تهجم العساكر ، وتدخل الى ذلك البيت فجأة للبحث عنه . فتصبح اسواق المدن ، ودكاكينها خاليه . وتتعطل حوانيت البيع ، والشراء ، وتهرب الشبان منها . ويمتنع الفلاحون ، واهل القرى ، عن المجيء اليها وكثيرون من الناس كانوا يقطعون السبابه ، وهو الاصبع الذى يلي الياهم من الكف اليمين ، أو يقطعون الصيف الشمال ليخلصوا من الدخول في هذه الخدمه"(٢) .

ونقل لنا ابو عز الدين عن بوجولا قائلا ما خلاصته : " كان ثاني يوم وصولنا الى حمص سوف يفتحوا ابواب المدينه مبكرين ، ليمكنوا الفلاحين من الدخول ، وبيع حاصلات اراضيهم . فتحوا الساعة العاشره صباحا ، بينما كانت مدينة حمص غاصة بالناس ، وحركه السوق على أشدها .

وكان الباعه ، والمشترون قائمين باعمالهم بسلام . أقفلت ابواب المدينه اقفالا محكما ، وانقض فجأة على الجمهور نصف الرأى من الجنود المشاه ، فساء الاضطراب الشديد مدينه حمص بأسرها ، كأنما هاجمها عدو لدود . فقبض الجنود على الشيوخ ، والشبان ، من مسلمين ومسيحيين سواء أكان من التجار ، والصناع ، أو العمال . وقادوهم جميعا مشدودى الوثاق تبعهم عدد عديد من النساء ، والبنات يملأ صراخهن ، ونواحهن الفضاء ، وهن يضربن صدورهن ويلطمن وجوههن حزنا على ابنائهن واخوتهن وأبائهن الذين اقتادهم الجنود كرها بدون أن يترك لهم فرصة لمشاهدة مسقط رأسهم او التزود بنظره من ذويهم .

أما المقبوض عليهم فسيقوا الى دار احدى الثكنات العسكريه وهناك جرى فرزهم فاخلي سبيل المسيحيين ، والشيوخ من المسلمين . وسيق الباقون الى مصر كما يساق الجناه تخفرهم فرقه من الجند ، ويرافقهم اليأس من الرجوع الى أوطانهم لانهم سيبقون جنودا مدى الحياة .

---

(١) مقالات جامعة بيروت الامريكيه مجلة الكليه ، عدد : ١٥ : ت ٢ ، ١٩٢٦ ، ص ٤٨ ، ابو عز الدين : ١٦٣ ، محمد كرد على خطط ٣ : ٥٧ .

(٢) نوفل كشف اللثام : ٤٩٦ ، ومجلة الكليه عدد ١٣ : ٤٨ ، ومشاقه مشهد العيان ، ٢٥٥ .

" وهكذا كان كلما شاء محمد علي زيادة قوه جيشه يفتتم فرصه حلول عيد ، واقامه سوق بيع ، وشراء ، او اذا اخفضت الحال يجمع الناس لحفله رئيسيه ، ويحيدا المجتمعين بفرقم من الجنود الذين يعتمد عليهم فيقوموا بالمهمه التي انتدبوا لهـا بالصوره التي سبق وصفها (١) " .

نزع السلاح :

ان السلاح آلة شديده الضرر بالاهلين ونزعه من أيديهم بعد قيام الحكومه بحفظ الامن ، واقرار السكينه في البلاد أمر لا غبار عليه ، على انه في كل حال أحدث استياءا عظيما بين السوريين ، لانهم اعتادوا نقل السلاح ، واستعماله منذ أجيال ، وكان الزعماء يفاخرون بالتفاف رجالهم حولهم وهم شاكو السلاح (٢) .

فالسلاح كان احد مظاهر القوه والعظمه التي عز على السوريين فقدها . غير ان تجريد الاهلين منه له ما يبرره . انما الخطه التي أتبعت في التنفيذ كانت جائره . وكان فيها من القوه والترويع ، ما في جميع اجراءات حكومة محمد علي في التجنيد وجمع الضرائب وغيرها . وكانت تعتبر كل رجل مسلما ، ولو كان ممن لم يقتنوا السلاح مطلقا وتكرهه على تسليمها سلاحا مضطرا الى مشتراه لينجوا من ضغط الحكام (٣) .

---

(١) ابو عز الدين - ابراهيم باشا في سوريه ، ١٦٣ — ١٦٥ .

(٢) ابو عز الدين : ١٦٥ .

(٣) مخطوطه مشاقه ، مشهد العيان : ٢٥٥ - ٢٥٦ ،

Paton ,Vol,2,pp 118-119

٢- نزع السلاح والتجنيد في لبنان سنه ١٨٣٥ :

بعد ما فرغ ابراهيم باشا من اخماد الثورات الكبرى في فلسطين وبلاد النصيريه ، وما صحب ذلك من نزع السلاح من ولايتي دمشق ، وحلب ، ومن البلاد السهليه فلم يلاق في اثناء ذلك مشقه تذكر (١) . وعلى اثر ذلك هدأت الاحوال ولم يبق في البلاد الساحليه بلد لم ينفذ فيها امر التجنيد ونزع السلاح غير جبل لبنان ، على ان اللبنانيين كانوا بمثابه متجندين لانهم هم الذين اخمدوا ثورة صفد واشتركوا في تسكين الاضطرابات ، في طرابلس ، وبلاد عكار وجبال النصيريه . كما كانوا قد اشتركوا قبلا في فتح دمشق ، وموقعة حمص ، وقدموا لابراهيم باشا مساعدات جمة ذات قيمه حربيه في تموين جيشه ، وحفظ خط المواصلات عند زحف الجيش المصرى شمالا الى الاناضول ، بل ان بعضهم حارب في صفوف جيش ابراهيم باشا في الاناضول نفسها (٢) ، على ان محمد علي لم يطمئن بالا الى اجتماع رجال لبنان في وطنهم وبقاء سلاحهم في ايديهم . وقد اشتهروا بالبساله ولجبلهم ما له من المناعه الا انه أرجأ امر تجنيدهم الى سنه ١٨٣٥ لانشغال جيشه في سنه ١٨٣٤ باخماد الثورات وتسكين الاضطرابات في جهات مختلفه من البلاد السوريه . وبعد اخماد ثوره النصيريه دعا ولده ابراهيم باشا الى العوده الى مصر في (٣) ، رمضان سنه ١٢٥٠ ، (كانون ثاني سنه ١٨٣٥) ، ليستريح من عناء الحروب ومن الطبيعي ان يكونا قد تباحثا جليا في اثناء ذلك في امر ادارة البلاد التي استولوا عليها ، ومن ضمنها مسألتي نزع سلاح اللبنانيين ، وتجنيدهم .

نزع سلاح اللبنانيين وتجنيد الدروز في ايلول وتشرين اول سنه ١٨٣٥ :

فبعد ما عاد ابراهيم باشا من مصر الى عكا شرع في اتخاذ التدابير ، لتجنيد اللبنانيين ، ونزع سلاحهم . وتمهيدا لتنفيذ هذه المهمه بتفريق كلمة اللبنانيين اوهم المسيحيين انهم سيعفون من تسليم السلاح (٣) ، وفي اواخر سنه ١٨٣٤ ، كتب السرعسكر الى الشهابي الكبير ان يرسل ولده أمينا اليه الى عكا . فتوجه واستقبله السرعسكر بيشاشه ثم طلب منه الفا وستمئه شاب من الدروز ليدخلهم في جيشه النظامي . فأجابه أمين ان هذه الكميه لا توجد عندهم والتمس منه ترك نصفهما فقبل الوزير بذلك ثم سافر بحرا الى صيدا ومعه الامير امين (٤) .

---

(١) Paton Vol, 2,pp 118-119 ، نوفل كشف اللثام : ٤٧٧ ، اخبار الاعيان : ٥٨٣ ، العطار : ١٧٢ .

(٢) ابوعز الدين : ١٩٠ ، ابوسمراغانم : ٤٥٤ ، نوفل ٤٧٧ ، اخبار الاعيان ٥٨٢ .

(٣) ابوعز الدين : نقلا عن حروب ابراهيم باشا المصري ج ١ ص ٥٠ ، ابوسمراغانم : ٤٥٥ ،

(٤) ابوعز الدين : ١٩١ ، العطار : ١٧٢ .

وفي اوائل سنه ١٨٣٥ ، استدعى الامير بشير اليه مناصب الدروز واخبرهم بما كان ، وفرض على كل مقاطعة عددا من الشبان ، وامرا لمناصب ان ينتخبوهم من ابن خمس عشره سنه الى امين خمس وعشرين من لا مسقط فيهم ، وان لا يكون من البيت الواحد نفران اخوان ، والا يؤخذ من ليس له عوض . فلما بلغ الدروز ذلك ابسر وتعاصبوا . فوعدهم الاميران يسترحم ابراهيم باشا ، ان يعفو عنهم[(١)] .

وأرسل ابنه امينا مره ثانيه الى عكا لهذه الغايه[(٢)] . فكتب ابراهيم الى والده يطلق على ماجرى ويؤكد "ان اللبنانيين سنبوا طلقاء وانهم ان دعوا للانضواء تحت رايه النظام واخذ تهم الصره ونفروا من ذلك[(٣)]" . فأحاط محمد علي علما برساله ابنه وبكتاب الامير بشير الشهابي اليه ونوه باخلاصه (ان باخلاص الامير) . واستبعد احتمال اعراضه عنه ، ووافق على ملاحظه السرعسكر عن اللبنانيين . ثم اقتنع ايفاد حنا بحرى بك الى الامير اللبناني ليذكره بان ما ضحى به في سبيل نصره الاسره الخديويه ادخله في زمره الزملاء المعدودين من دعائمها ، واركانها وبان السرعسكر قد عقد النيه على تخيير الاهالي بين التجنيد والبدل فان لم يقبلوا بأحدهما فالخراب وتشتيت الشمل[(٤)] . ثم عاد محمد علي بعد قليل فكتب الى ابنه ثانيه يقول انه لا مناص ، ولا مفر من للدروز من قبول التجنيد اسوه بأهل العراق ، والاناضول ، والرقه ، واضروم والمعادن السلطانيه . فان حدثتهم نفسهم بالهرب اعترضهم الجند حيثما لاذوا وتوجهوا ، وان مده الخدمه العسكريه المفروضه هي خمسة عشر عاما فقط[(٥)] .

ثم شاع في لبنان ان محمد علي سيجند الفا وخمسمئه من اللبنانيين المسيحيين ، فقام البطريك الماروني يعلن عزمه الاستعانه بفرنسه للتدخل في

---

(١) اخبار الاعيان : ٥٨٢- ٥٨٣ .

(٢) من تاريخ الثوره الدرزيه (١٨٣٤-١٨٣٨) كما تظهر في محفوظات سراي عابدين الملكيه المشرق : ٣٥ لاسد رستم ص : ٤٧٤ .

(٣) رستم تاريخ الثوره الدرزيه المشرق : ٣٥ : ٤٧٨-٤٧٦، ابو سمرا غانم : ٤٥٥، نوفل : ٤٧٧ ، اخبار الاعيان : ٥٨٤ ذكرى البطل : ٣٦٥ ، قرأ لي فتوحات : ٥١ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٩ ، زيدان تراجم : ٢٣٠ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٠٧، بولس لبنان : ٨٦، حتي تاريخ سوريه : ٢٦٦، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٠ .

(٤) رستم تاريخ الثوره الدرزيه المشرق ٣٥ ، مخطوطه ٢٥١ ، عابدين رقم الوثيقه ١٠٠/٢١ تاريخ ٤ صفر سنه ١٢٥١ : ٤٨٠ .

(٥) المرجع نفسه، ٤٨١ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٥ نوفل : ٤٧٨ ، اخبار الاعيان : ٥٨٢ .

هذا الامر واعفاء الموارنه من الخدمه (١) . فكتب محمد علي الى ابنه يقول : " انه لما استشعر من القناصل تلميحا بتعب المسيحيين من الخدمه استسلم للطبيعه البشريه فاحتد عليهم واسكتهم بقوله انه وهو لا يفتأ يستخدم ابناء دينه في عمران البلاد كيفما شاء لا يستطيع ان يؤثر المسيحيين عليهم بغير حق . ثم اقترن محمد علي على ابنه ان يعلن انه لن يأخذ من النصارى غير المائتين والخمسين الذين ارسلوا الى ورش عكا وافاد بعد ذلك ان استخدام النصارى بهذا الشكل يسهل تجنيد المسلمين (٢) . وقام بحرى بك بالمهمه الموكوله اليه فذهب الى بتدين ، وقابل الامير بشير وحثه على جمع المطلوب بسرعه (٣) ، .

ورفع تقريرا بذلك ، مؤكدا عدم موافقه الدروز على الخدمه ذاكرا نفورهم من قيودها مبنيا خوف العقال من امر اختلاط شبان الدروز بغيرهم ، وامكانية ابتعادهم عن دين الاجداد (٤) . ثم عاد فرفع رساله وردت اليه من الشهابي الكبير تضم بعض الرسائل التي تسلمها هذا الامير من بعض مناصب الدروز في موضوع التجنيد الاجبارى . وبين هذه الرسائل رساله من الشيخ حسين والشيخ حمد تلحوق يؤكدان فيها استعداد جماعاتهما لتقديم الشبان ولكنهما يرجوان الا يكونا بدايه" لسبب أمر الديانه فقط "(٥) .

وامتعض الشهابي الكبير من موقف محمد علي ولكنه كظم غيظه ، وصبر عليه ، وأمر وجوه البلاد بالانصياع ففعلوا . وقدموا الف شاب درزى لجيش محمد علي (٦) . فجمعهم ابراهيم باشا في صيدا وامر سليمان باشا الفرنساوى ان يتولى

---

(١) رستم بشير٢ : ١٣١ ، ابوسمراغانم : ٤٥٥ ، نوفل : ٤٧٨ ، اخبار الاعيان : ٥٨٣ .
(٢) رستم تاريخ الثوره الدروز ، محفظه : ٢٥١ ، تاريخ : ١٠ صفر ٢٥١ : ٤٨١ ، المطار : ١٧٣ .
(٣) اخبار الاعيان : ٥٨٣ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٥ : نوفل : ٤٧٨ ، المطار : نتولا ابعاد : ٨٠ ، ذكرى البطل : ٣٦٥ ، قرأ لي فتوحات: ٥٢ ، محمد كرد علي : ٥٩ ، مشاقه تاريخ مقتطف : ٧٩٨ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٦٦ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣١ .
(٤) رستم ، تاريخ الثوره الدرزيه المشرق : ٣٥ : ٤٨٢-٤٨٣ ، ذكرى البطل : ٢٦٦ ، الدبش : ٦٤٩ .
(٥) رستم تاريخ الثوره الدرزيهالمشرق : ٣٥ : ٤٨٣-٤٨٧ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٦٠ .
(٦) رستم ، بشير ٢ : ١٣١ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٥ ، نوفل : ٤٧٨ ، المطار : ١٧٣ ، الدمشقي تاريخ المشرق ١٥ : ٤٧٥- ٤٨٠ .

فرزهم فألف منهم ثلاث فرق كامله . وجعل كل فرقه منهم مئه وثمانين جنديا . ثم ألحق بعضهم باورطه الرابعة من الاي المشاه التاسع عشر وبالاي المشاه الثالث عشر المقيم آنئذ في الرمله (بفلسطين) وارسل الباقون الى السويديه (١) .

ثم كتب الى القائمقام محمود افندي ان يعنى بالفرق الثلاث الاولى التي ارسلت الى الاسكندريه فيأمر باسكانها الثكنات وبتوزيع الكساوى عليها وان يلتفت بنوع خاص الى ابناء الوجوه فيخصص لهم تعيينات ملازمين (٢) .

وهكذا فيكون ابراهيم باشا قد اجاب مسؤول " الاجاويد " من رجال الدين عندما أمر بابقاء الشبان المجندين متجمعين كتلا غير موزعين افرادا على فرق من الجيش متباعده وكان الامير الشهابي ، قد طلب احاله المالكانه ثلث الكوره التي انحلت بوفاه مصطفى اغابربر الى اولاده فكتب محمد على الى ابنه السرعسكر موجبا اجابه طلب الامير اللبناني وغض النظر عن ثمن المالكانه قائلا : " ان المصلحة تقتضي بتطييب خاطر الامير بشير الشهابي (٣) " .

واتخذ محمد علي من تردد الدروز في أمر التجنيد عذرا لتجريدهم من السلاح فأمر ابنه ابراهيم بوجوب جمعه منهم . وقام ابراهيم يستغرب ما سبق من اعفائهم فذكره والده ان اعفاءهم انما كان لما أسدوه من عضد وعون حينما كان بر الشام كله ثائرا وان الشهابي الكبير أمير الدروز خفّ على الرغم من شيخوخته وزحف على صفد ابتغاء نيل الرضى . فلو همّ الجناب العالي حينذاك بتجريد الدروز من السلاح لكان ذلك سببا لعصيانهم . ولو جردوا وهم في خدمتهم

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٣١ ، نوفل : ٤٧٨ ، اخبار الاعيان : ٥٨٤ ، ذكرى البطل : ٣٦٦ .

(٢) رستم ، بشير ٢ : ١٣١ ، اخبار الاعيان : ٥٨٤ ، العطار : ١٧٣ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٦٠ ، الدبس : ٦٤٩ ، بولس لبنان : ٨٨ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٦٦ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣١ .

(٣) رستم ، بشير ٢ : ١٣٢ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٥ ، العطار : ١٧٣ ، ذكرى البطل : ٣٦٦ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٦٠ .

في جبال النصيريين لا مستوى العاصي والمطيع واصبحت اعمال الجناب العالي مخالفه الاسس السياسه منافيه للانسانيه [1] . اما تجريدهم بعد ان خلفوا امر التجنيد فانه جاء مشروعا مانعا للالسن من الاندفاع في القيل والقال . ثم حكى محمد علي لابنه كيف كتب قنصل الانكليز الى بوغوص بك بشأن الدروز ، وكيف جاءه بوغوص في شبرا فأبلغه ان القنصل يرى عدم اغتصاب الدروز ما داموا قائمين في الخدمه في وقت فشا فيه العصيان وكيف اجابه الجناب العالي قائلا : " لقد آن الاوان يا بوغوص لدك جبل الدروز وحتى يعود قاعا يلفعا [2] " .

واستدل الجناب العالي بما تقدم على ان لكل امرٍ وقتا هو به رهين وعلى التجريد آنئذ لن يكون من ورائه لوم لائم . ثم أمر ابنه ان يسارع الى درس قضية جبل الدروز على ضوء تقارير بحرى بك والامير بشير وان يتخذ التدابير اللازمة لجمع السلاح من سكان الجبل [3] .

فوافق السرعسكر على نزع السلاح وعلى التجنيد ايضا ولكنه لم يقبل القول " انهم ساعدونا في نابلس وان القضيه تقضي علينا بكذا وكذا " واشار الى ان في اوروبا نفسها " لا يوجد انسانيه ولا يعمل الا بموجب المصلحه " ورأى ان يؤجل جمع السلاح بعض الوقت اذ لم يكن لديه من رجاله الذين يعتمد عليهم من يمكنه الاشراف على هذا العمل آنئذ [4] .

وفي الرابع عشر من تموز سنه ١٨٣٥ ، عاد محمد علي فكتب مره ثانيه الى ابنه ، يوجب عليه الزحف على الدروز بجميع قواته " لعلهم يعقلون فان مضّي الامر كان به والا فالحرب فعلا [5] " .

---

(١) رستم بشير٢ : ١٣٢ ، نوفل ٤٧ ، اخبار الاعيان : ٥٨٤ ، العطار : ١٧٣ ، قرأ لي فتوحات : ٥٦ ، الدبس : ٦٤٩ محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٦٠ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٨ حتي تاريخ سوريه : ٢٦٧ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٢ .

(٢) رستم بشير٢ : ١٣٢ ، نوفل ٤٧٩ ، رستم تاريخ الثوره الدرزيه المشرف : ٤٨٦-٤٣٥ ،

(٣) رستم بشير٢ : ١٣٢ ، اخبار الاعيان : ٤٨٦ ، قرأ لي ، فتوحات ٥٦ ، الدبس : ٦٤٩ .

(٤) رستم بشير٢ : ١٣٢ ، نوفل ٤٧٩ ، العطار : ١٧٣ ، تاريخ الثوره الدرزيه : ٤٨٧ ، محمد كرد علي خطط٣ : ج ٣ : ٦١ .

(٥) رستم بشير٢ : ١٣٢ ، اخبار الاعيان : ٤٨٧ ، محمد كرد علي خطط : ٦١ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٩٨ .

ولكن ابراهيم باشا كان قد انتقل الى شمالي سوريه للاشراف على اعمال قطع الاشجار في جبال بياس فكتب منها بشير الى انه امر بارسال بعض العساكر الى جبل الدروز ، وانه من المحتمل ان تكون حكومة الاستانه قد قصدت تحريض الدروز بارسال النجدات الى محمد رشيد باشا (١) .

وفي اواخر ايلول من سنه ١٨٣٥ كتب ابراهيم باشا الى الامير اللبناني يستدعي ابنه امينا ، الى بعلبك للتحدث اليه في قضية نزع السلاح . ثم عاد فكتب ثانيه انه قائم الى زحله على رأس قوه عسكريه لتنفيذ اوامره والده وانه سيقوم منها الى بتدين لجمع السلاح كله" بحيث مايبقاش ولا قطعه" وانه اذا حضر الى بتدين ووجد ان اللبنانيين لم يمتثلوا الى امره فانه يضر بهم اينما كانوا وسيخرب بيوتهم ويقطع ارزاقهم . فهب الامير بشير يحض الناس على الخضوع وتقديم السلاح . وفي التاسع والعشرون من الشهر نفسه وصل ابراهيم باشا الى دير القمر يحف به رهط من كبار رجاله منهم عباس باشا وسليم باشا ومحمد باشا وسليمان باشا وبحرى بك ووراءه الاى الفارديا المشاه الاول والاى الفارديا المشاه الثاني وثلاثه الايات اخرى ولطار ، مدافع واربعون حملا للذخيره فعسكر الجيش في صحراء الدير وقام ابراهيم باشا وأكابر رجاله الى بتدين باورطه واحده من جند . فرحب به امير لبنان واطلعه على ما اتخذه من اجراءات فسر ابراهيم باشا كل السرور وجمع السلاح دون مقاومه فبلغ جمعه من اللبنانيين النصارى حتى منتصف تشرين الاول ٩٦٤٧ بندقيه ومن اللبنانيين الدروز حتى التاريخ نفسه ٥١١٣ بندقيه (٢) .

وكان محمد علي فيما يظهر يقدر شجاعه الدروز وبأسهم ويعلق الامال عليهم في حربه المقبله فاضطرب في هذه الاونه نفسها لخروج بعضهم من مذهب الاجداد وكتب الى محمد شريف باشا يفيده ان خروج الدروز عن دينهم " امر خطير يجب

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٣٣ ، نوفل كشف اللثام : ٤٨٠ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٦١ ، بولس لبنان : ٨٩ ، فرحات ، مختصر تاريخ : ٢٣٢ .

(٢) رستم بشير٢ : ١٣٣ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٦ ، نوفل كشف اللثام : ٤٨١ ، اخبار الاعيان : ٥٨٦ — ٥٨٨ ، العطار : ١٧٤ ، تاريخ الثوره الدرزيه المشرق ٣٥ : ٤٨٧ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٦١ ، مشاقه ، تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٩٩ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٦٦ .

تلافيه " وان المصلحه تقضي بالا تصال سرا بالشهابي الكبير للتحقيق من صحة هذا الخبر (١) ، فكتب الحكمدار الى أمير لبنان يستطلع رأيه في الامر فأجابه هذا ان بعض الدروز " اراد التداخل بالطريقه العيسويه فاظهرنا التنبيه والتشديد " ولذا فانه يعتبر ان " هذا المبدأ قد انقطع " وان نار هذه الشهوه قد خمدت ثم يضيف ان الامراء اللمعيين كان قد سبق لهم ان تنصروا وانه لم يبق منهم على طريقه الدروز سوى الامير احمد قايدبيه المقيم في برمانا واولاد الامير مراد المقيمين في المتين وان هؤلاء اى اولاد الامير نصر كانوا قد اظهروا رغبه في التنصر ولكنهم عندما سمعوا تهديد الامير وتشديده تركوا ماكانوا قد عزموا عليه ثم ما فتئوا ان قبلوا الدين المسيحي سرا (٢) .

يتضح اذا مما تقدم ان الدروز لم يمتنعوا عن الخدمه العسكريه الاجباريه لخوفهم من الحرب او لقله شجاعتهم ، وان الحكومه المصريه في ذلك الوقت وان شكت في نيات الاستانه ، فانها لم تلمس حقيقه راهنه تستنتج منها ان السبب في قيام الدروز هو تحريض الباب العالي .

ثم يظهر من كلام الامير ، وتقارير حنا بحرى بك ، ومحمد شريف باشا ، واشاره الشيخ حسين تلحوق والشيخ محمد تلحوق ان امر الديانه كان من الاسباب الرئيسيه لتعنت الدروز في أمر الخدمه العسكريه ذلك لان عقلائهم وشيوخهم رأوا في التجنيد الاجبارى واختلاط جهالهم مع غيرهم من الشباب من سائر الفرق والاديان رأوا في ذلك بحق او بغير حق خطرا على دينهم السرى قد يؤدى مع مرور الزمن الى ضعف في العقيده وفتور في الدين .

---

(١) رستم ، بشير ٢ : ١٣٤ ، اخبار الاعيان : ٤٨٨ ، قرألي ، فتوحات : ٧٥ ، محمد كرد علي .

(٢) رستم ، صفحه من تاريخ الثوره الدرزيه الشرق مجلد : ٣٥ ، محفظه عابدين : ٢٥٣ ، رقم ١٦٦ ، بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٢٥٢ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٦ ، نوفل : ٤٨١ ، اخبار الاعيان : ٥٨٨ — ٥٨٩ ، العطار : ١٧٤ ، محمد كرد علي خطط الشام ج ٣ -: ٦٢ ، بولس لبنان : ٩٢ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٢ .

استئنـــــــاف التجنيـــــد ١٨٣٧

بعد نزع سلاح اللبنانيين وتجنيد دروز لبنان في سنه ١٨٣٥ ، سادت السكنيه في سوريه حتى سنه ١٨٣٧ (١) ، وكانت القبائل الكرديه النازله بقرب الحدود التركيـــه السوريه ، قد ثارت على الحكومه العثمانيه فجردت هذه جيشا لاخضاعهم وتوسلـــت بذلك لارسال جنود كثيره تزيد عما يلزم لاخماد الثوره بل واوصلت ارسال الامدادات بعدما خضع الثوار وكانت تزعم ان الثوره انما نشأت من دسائس محمد علي (٢) .

وكان قد بلغ محمد علي ان الدوله العثمانيه تتأهب للانقضاض علـــى سوريه ، واسترجاعها ، فصدر أمره باجراء تجنيد عام في سوريه استعدادا للمقاومـــه فدعا ابراهيم باشا حكام البلاد الى عكا وفي مقدمتهم شريف باشا وبلغهم وجوب اجراء التجنيد في جميع البلاد الواقعه تحت حكمه بنسبه رجل واحد من عشره رجال (٣) ، ثم توجه الى شمالي سوريه لمراقبة حركات العدو ، وتفرق الحكام الى بلادهم ليشـــرعوا في التجنيد . وماذاع الامرين الناس حتى تشرد الشبان في البراري والجبـــال ووقف دولاب الاعمال . وكان دروز حوران من حاولت الحكومه تجنيدهم وكانـــت قبل ذلك قد اذنت لهم باستبقاء سلاحهم واستثنتهم من الخدمه العسكريه فلمـــا عادت عن قرارها السابق وحاولت تجنيدهم ثاروا عليها (٤) .

---

(١) ابو عز الدين ، نقلا عن مذكرات تاريخيه ، ص : ١١٧ ، الرافعي عصر : ٣٠٦ .
(٢) ابو عز الدين ، : ١٩٣ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٦ ، نوفل : ٤٨١ .
(٣) ابو عز الدين ، نقلا عن مذكرات تاريخيه : ص ١١٨ ، الرافعي عصر : ٣٠٦ .
(٤) ابو عز الدين : ١٩٤ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٦ ، نوفل : ٤٨٢ ، بولـــس لبنان : ٩٣ .

الفصـــــل الرابـــــع

الثورات على حكومة محمد علي
(١٨٣٤ — ١٨٣٨)

ان مظالم حكومة محمد علي التي مرّ ذكر اخبارها في الفصل السابق اذت المسلمين في شعورهم الديني ، واثقلت كاهل الشعب على اختلاف مذاهبه ، وطبقاته بالضرائب ا حتى ان الاغنياء حملوا منها فوق طاقتهم ، وشاركت الملاكين والصناع ، والعمال أ في اتعابهم ، وشردت رجال البلاد في الافاق . اما بسوقهم الى الخدمه العسكريه في البلدان البعيده . سوق العناء او للسخره في الاشغال الاميريه باجور زهيده ، او بالجائهم الى الفرار الى حيث لا تصل يدها اليهم فخلت الحقول من زارعيها ، وارتفعت اجور العمال ارتفاعا فاحشا ، تعذر معها على ذوي الاملاك استثمار املاكهم ، وتقهقرت تجارة البلاد التي كانت في اول عهد الحكومه قد اخذت في الانتعاش . واستعملت من ضروب القسوه في جميع اجراءاتها ما اوغر الصدور ، واحرج السوريين كافه احراجا لم يبق وراءه سوى انفجار بركان الاحقاد وشبوب نار الثورات في البلاد (١) .

ورغما عن الاسباب التي حالت دون اجتماع كلمه السوريين على القيام بالثوره دفعه واحده . فان نيران الثورات التي بدأ شبوبها في سنه ١٨٣٤ ، ما برحت متنقله من فلسطين الى جبال العلويين في شمالي سوريه ، فحوران ، فلبنان (٢) ، ولم تنته الا بانتهاء حكم محمد علي في سوريه (٣) .

---

(١) العطار ١٧١ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٠ ، رستم تاريخ محمد علي باشا المقتطف ، المجلد ٣٠ : ٩٠٣ .

(٢) Rustum, the origins, p25 الرافعي عصر : ٣٠٢ ، نقولا ابعاد ٧٩ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٨ .

(٣) مخطوطه مشاقه : ٢٨٦ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٠ ، العطار : ١٧١ ، Rustum, the origins, pp 27-28 محمد كرد علي ، خطط الشام ج ٣ : ص: ٥٨ ، الرافعي ، عصر : ٣٠٢ .

فكان ما فقد محمد علي من جيشه في محاربه السوريين ، بسبب قانــــون التجنيد أكثر بكثير من عدد الذين تمكن من تجنيدهم . وما استولى عليه من امــوال السوريين بحق او بغير حق ، انفق اضعا ف اضعافه في محاوله اخضاعهـــــم . وجميع التدابير التي قام بها لا ضعاف قوتهم ولد في نفوسهم من الغيظ والغيـــره على حقوقهم والمحافظه على كرامتهم ، وكيانهم ما يزيد على القوى التي سلبهـــا منهم ، كما ان اعداء محمد علي من عثمانيين واوروبيين استثمروا هياج افكـــار السوريين فأيدوا الثائرين حتى انتهى الامر بخروج ابراهيم باشا بجنوده وسائـــر رجال حكومه محمد علي من سوريه كما سنرى .

الفصـــل الرابـــع

ثـــــــــورة فلسطـــــــين
من نيسان الى أيلول ١٨٣٤

كانت ظروف الفتح قد قضت بتقسيم المناصب السياسيه في فلسطين وتوزيعها على الوجه التالي : بلده نابلس ، وبلاد المشاريق في عهده الشيخ محمد قاسم . وبلاد جبل نابلس في عهده الشيخ محمود عبدالهادى ، والشيخ يوسف بن قاسم الاحمد ، والشيخ عبدالله الجرار ، والشيخ يوسف ، والشيخ عبد الوهاب الجيوسي . ثم أجريت بعض التعديلات فعين الشيخ عبد الهادى ، مديرا على ولايه صيدا وجعل اخوه الشيخ محمود متسلما على يافه ، وابنه الشيخ سليمان متسلما على جنين . وصار الشيخ قاسم الاحمد متسلما على القدس ، وابنه محمد متسلما على نابلس ومشاريقها ، وابنه الثاني الشيخ يوسف متسلما على جماعين فتساوى الفريقان الكبيران بالغنم وعم الهدوء البلاد بأسرها (١) .

إبن أخيه الشيخ حسين عبدالهادي

ولكن آل عبدالهادى طمعوا بمتسلميه نابلس لتوطيد مركزهم فيها ، فاستحصلوا على امر من الحكمدار محمد شريف في اوائل تشرين الاول من السنه ١٨٣٣ بتنحيه الشيخ قاسم الاحمد عن متسلميه القدس " نظرا لتقدمه في السن" وبتحويلها الى عهده ابناه الشيخ محمد القاسم . فشغرت متسلمين نابلس واحيلت الى عهده الشيخ سليمان عبدالهادى ابن الشيخ حسين المشار اليه آنفا (٢) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٢٩ ، تاريخ محمد علي باشا ، المجلد ٣٠ ، من المقتطف ، ٩٠٣ ، Rustum, the disturpances pp 35-37
الرافعي عصر : ٣٠٢ ، زيادة ابعاد : ٧٩ ، عارف العارف في تاريخ القدس ، ج ١ ٢٧٦ .
(٢) ابوسمرا غانم : ٤٥٠ ، المطار : ١٧١ ، رستم ذكرى البطل : ٣٦٣ ، قرأ لي فتوحات : ٤٣ ، محمد كرد علي خطط ، ج ٣ : ٥٨ ، بردكلمان : ٦٦ ، مشاقه تاريخ مقتطف ، ٣٠ : ٦٤٠ - ٦٤١ ، زيدان تاريخ : ١٦٨ .

فثار ثائر آل القاسم ، واستشاطوا غيظا ، وقاموا يبثون روح التمرد والعصيان . ولدى عودة الشيخ محمد القاسم من الحج في اوائل السنه ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤) عقدوا أجتماعا في بيت وزن ، حضره أكثر شيوخ البلاد الساخطين . ومنهم : الشيخ عبد الله الجرار ، والشيخ عيسى البرقاوى ، والشيخ ناصر المنصور ، والشيخ عيسى القدومي ، فاتفقوا على التمرد . ولكن الشيخ عيسى القدومي نصحهم بعدم اللجوء الى العنف . وحذا حذوه أحمد أغا النمر فلص الشيوخ المتآمرين معارضه في جبل نابلس وقاموا الى جبل القدس لاعلان عصيانهم فيه واستغلال تذمر اهاليه كما تقدم شرحه اعلاه (١) . فيكون ابراهيم باشا قد نزع السلطه السياسيه من ايدى آل طوقان وآل جرار وقل مثل ذلك عن آل ابي غوش اصحاب قريه العنب ما بين القدس ويافا .

كما ان اوامر محمد علي القاضيه باحتكار تجارة الحرير ، وتحصيل الفرده ، ونزع السلاح ، واجراء التجنيد ، كانت قد وصلت الى ابراهيم باشا وهو موجود في باق فبار الى اذاعه هذه الاوامر في البلاد السوريه التي قامت وقصدت لهذا الحادث العظيم . وكان ظهور اول بوادر الاستياء ، والاضطراب بين القبائل العربيه النازله في جوار البحر الميت التي لم تخضع في عهد الحكومه العثمانيه لاى نوع من التكاليف التي فرضها عليهم محمد علي (٢) .

فدارت المفاوضه ما بين هؤلاء وغيرهم من زعماء فلسطين ، لاجل توحيد الكلمه على رفض مطاليب الحكومه .

اتصل خبر هذه الحركه بابراهيم باشا فاسرع في الذهاب الى القدس مع جيشه ، فوصلها في اليوم التالي وخيم تحت اسوارها . وعلى اثر وصوله دعا الحكام وشيوخ القبائل المجاوره للاجتماع في نيسان سنه ١٨٣٤ . فسرعه زحف ابراهيم باشا

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٣٠ ، تاريخ محمد علي باشا : ١٣٠ ، ذكرى البطل : ٣٦٣ ، Rustum, the distur pances pp 37-40

(٢) ابو سمرا غانم : ٤٥٠ ، العطار : ١٧١ ، الرافعي عصر : ٣٠٢ ، زياده ابعاد : ٧٩ ، قرأ لي فتوحات : ٤٣ ، محمد كرد علي ، خطط ج ٣ : ٥٩ .

أوقف حركه دعاة الفتنه ، وأدخل الخوف على قلوب الزعماء ، اذ لم يترك لهم متسعا من الوقت لتوحيد كلمتهم ، والتفاهم على الخطه التي يتخذونها لمقاومته . فأكثر المدعوبين لبوا الدعوه فبلغهم ارادة والده . وطلبمنهم اجابته عما اذا كانوا مستعدين لتنفيذ ها فأجابوا بالايجاب ، اذ لم يروا مفرا من ذلك ، بازاء قوه ابراهيم باشا ، غير انهم حاولوا ان يستبدلوا التجنيد بتعويض مالي او بزيادة الضرائب . كما انهم توسلوا اليه أن يعفهم من تسليم السلاح ، غير ان ابراهيم باشا لم يجد قيد شعره عن اوامر والده وابلغ الشيوخ انه ليس" وسيطا بينهم وبين العزيز فقبلوا مطالبيه مكرهين لكنهم اخبروه ان لا بد لهم من المداوله مع الذين انتدبوهم ورجوا منه ان لا يعتبرهم مسؤولين شخصيا اذا لم يفلحوا في اقناع قومهم بقبول ما جرى الاتفاق عليه بينه وبينهم(١) .

أما ما وقع الاتفاق عليه من حيث التجنيد فهو أن يقدموا رجلا واحدا للجندية من كل اثني عشر رجلا . فدعى الى تجنيد ٢٠٠٠ رجل من منطقة نابلس . و ١٥٠٠ رجل من منطقة القدس ،و ٢٠٠ رجل من المدينه المقدسه نفسها ، ثم ٥٠٠ رجل من الخليل ، والمناطق المحيطه بها . ودعى ايضا الى ٦ أشخاص وخاصه من الشباب الذين يمثلون العائلات ذات النفوذ في نابلس ، واربع شباب من الخليل من العائلات التي تقود بقيه العائلات(٢) ليقوم هؤلاء بمعاونه الموظفين القائمين على التجنيد . وقد قبل ممثلوا فلسطين هذه الخطه بالتوقيع عليها . ومن ابراهيم باشا على تعيين رؤوساء لمشايخهم الشيخين : قاسم الاحمد ، وحسين عبد الهادي من كبار زعماء جبل نابلس وأبقاهما بصفة رهائن عنده . وجعل ابن قاسم الاحمد متسلما على القدس(٣) . وتوجه ابراهيم باشا الى يافا لكي يمهد لتطبيق

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٣١ ، تاريخ محمد علي : ٩٠٤ ، ذكرى البطل : ٣٦٣ ، خليل كرنبيس تاريخ القدس : ٤٧ .

(٢) ابو سمرا غانم : ٤٥٠ ، العطار : ١٧١ ، الرافعي عصر ٢ ، ٣٠٢ ، قرألي فتوحات : ٤٣ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ ، ص ٥٩ ، زيدان تاريخ : ١٦٨ ،
Rustum, the disturpa nces, pp 42-45

(٣) ابو عز الدين ، نقلا عن مذكرات تاريخيه : ٩٩ — ١٠٠ .

ودعم التجنيد الاجباري في الساحل (١) . أما باقي المشايخ فتفرقوا في البلاد لدعوه الاهلين الى التجنيد حسبما اتفقوا عليه مع ابراهيم باشا لكن قلوبهم كانت ممتلئه حقدا عليه . وقلوب السوريين عموما كانت ممتلئه حقدا عليه . فماد العربان الضاربين بجوار البحر الميت الى الانتفاض ، وتبعهم اهل جبل نابلس الاشداء وفر الشيخ قاسم الاحمد ، من معقله في يافا الى نابلس .

وتولى قياده الثوار هناك ، وارسل جماعه الى القدس فاحضرت ولده الذي كان متسلما عليها ، وانضم الى الثوار آل ابي غوش انتقاما من الحكومه لانها سجنت والدهم وكبير قومهم في عكا ، لابتزازه أموال الحجاج الى بيت المقدس . وكان لانضمام هؤلاء الثوار تأثير عظيم نظرا لشده بأسهم ، وزعامتهم في البلاد الواقعه ما بين القدس ويافا (٢) .

ووصلت الاخبار الى ابراهيم باشا وهو في يافا ، من رؤوساء عساكره اخبار عن هذه التطورات فاتصل به كل من اللواء ابراهيم بك ، قائد الالاي المشاه الثالث عشر للمرابطه في القدس ، ومتسلم القدس يعلمانه برجوع الزعماء وعدم وباعتذارهم عن تقديم اولادهم ، واولاد هم الفلاحين للخدمه ، وانهم يعارضون كل المعارضه في تسليم سلاحهم (٣) . ثم كتب اليه ابراهيم أغا متسلم الخليل ، ومصطفى أغا بكباشي الاورطه الرابعه من الالاي المرابط في القدس ، يخبرانه بقتال جرى في " فاتح صدره " بالقرب من قرية سعير في جبل الخليل ، وبين رجال الاورطه الرابعه هذه وبين عرب التعامره واهالي سعير (٤) . وبعد ثلاثه أيام أي في

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٣١ ، ابو عز الدين : ١٧١ ، Rustum, The distur Pances,P.54. ذكرى البطل الفاتح : ٢٦٤ .

(٢) ابو عز الدين : ١٧٢ ، ابو سمرا غانم : ٤٥ ، الرافعي عصر : ٣٠٣ ، قرأ لي فتوحات : ٤٤ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٩ ، بروكلمان تاريخ الشعوب : ٦٩ ، سركيس ، تاريخ القدس : ٤٩ ، مشاقه تاريخ : ١٤١ - ١٤٢ ، زيدان تاريخ : ١٦٨ .

(٣) المحفوظات ج ٢ : ٣٩٧ ، تاريخ محمد علي المقتطف ٣٠ : ٩٠٤ ، ذكرى البطل : ٢٦٤, Rustum , The Distur Pances.P.56-53

(٤) المحفوظات ج ٢ : ٣٩٩ - ٤٠٢ ، ابو سمرا غانم : ٤٥ ،

قرألي فتوحات : ٤٤ .

الخامس والعشرين من شهر أيار من السنه نفسها ، وردت رساله ثانيه من اللواء ابراهيم بك قائد الالاى المرابط في القدس ، تفيد الفلاحين تجمعوا في قرية البيره وتوجهوا منها الى قريه العنب (قريه ابي غوش) لحصر حامية القدس ومنع المدد عنها من يافه مقر السرعسكر (ابراهيم باشا) . واشار اللواء ايضا الى تجمع الفلاحين في قريــة الشيخ بدر ، وهجوم ابن سمحان ، وابن ابي غوش ، وبني حسن على مواشــي القدس في محله باب العمود . ورجا السرعسكر ان يوافيه بقوه من الفرسان لمطاردة الثوار وتعقبهم . وكان ابراهيم باشا قد شعر بهذا النقص فأمر القائمقام يعقــوب اغا أن يقوم بالالاى الفرسان الثاني عشر من الرمله في الساحل الى القدس ففعــل . ولكن لدى وصوله الى باب الواد ــ طريق يافا القدس ــ هب لصده وقتالــه جمهور من الفلاحين كانوا قد اختبأؤا خلف صخور هذا الوادى ، ووراء اشجاره فجرت بين الفريقين معركه بين قريه سريس وقريه عين شمس اسفرت عن تراجع المصريبيــن الى الرمله بعد ان ضلوا الطريق تاركين قسما من خيولهم ، وعددا من القتلى والجرحى وكتب الى والده بما جرى طالبا المدد ،ولا سيما الالاى الطارد يا الثاني . وكان قــد استقدم اليه الالاى المشاه الثامن والتاسع عشر (١) .

وفي الرابع من حزيران عاد فكتب السرعسكر من يافه الى والده ، يشيــر الى القلق الذى ساور الحضره الخديويه من جراء حوادث فلسطين ، ويؤكد أن مــا جرى هو لمجرد التخلص من التجنيد ان جبل القدس " خرقه باليه " لا أهميه لـــه ، وان الداعي لتأخره عن ضرب الاشقياء هو قلة المياه في معاقلهم ، وقله الزمزميات لدى العساكر . وانه أمر باعداد الزمزميات اللازمه ، ولدى اكتمالها سيقضي علــى الفتنه في وقت قصير (٢) . ثم قام بعد يومين لمطاردة الثوار متجها نحو القدس ، وسالكا الطريق نفسها التي سلكها يعقوب أغا من قبله . فشق طريقه رغم مقاومــة الثوار الصيفيه في محلات ثلاثه مسقطا حوالي سبع مئه ، ووصل الى القدس منتصــرا مصمما على ان يقوم منها الى جبل الخليل (٣) . وما ان دخل القدس بعد يوميــن من قيامه من يافه حتى شعر بنقص في المياه و " الميره " فيها وبحاجه الى الرجــال ،

---

(١) المحفوظات ، ج ٢ : ٤٠٢ ، ذكرى البطل : ٣٦٤ ،

Rustum , The Distur Pances PP.62-63

(٢) المحفوظات ج ٢ : ٤٠٢ـ ٤٠٤ .

(٣) المحفوظات ج ٢ : ٤٠٤ ــ ٤٠٥ ، الرافعي عصر : ٣٠٤ ، ذكرى البطل : ٣٦٤ ،

Rustum, The Disturpanes PP. 63-65.

والذخيره . ثم فاجأه ناصر المنصور ، ورجاله بوصولهم الى قريه شمفاط . فخسر السرعسكر لصدهم وتغلب عليهم ، مسقطا منهم خمس مئه ، وطارد ثوار الخليل ، فاسقط منهم في بيت جالا ، وبيت لحم ثمانين نفرا (١) .

وكان الالاي التاسع عشر قد قام من دمشق ملبيا نداء القياده ، ومتجهـا نحو يافه ، فالقدس . ولدى وصوله الى مرج ابن عامر في منتصف حزيران تصدى له الثوار بالقرب من زيتون فنشتتوا شمله وجرحوا قائده مصطفى بك ولم يصل منه الى حيفا أكثر من ثلاث مئه نفر من مجموع قدره الف ومئتا رجل (٢) . فعمت الثوره البلاد بأسرها من صفد حتى غزه . وكتب جرمانوس بحري من يافه الى سامي بك يقول : " الامور عمال كل يوم تتجسم ، وجميع الاهالي القرايا الى حد بوابه يافه اظهروا العصاوه (٣)" .

وكتب محمد علي في السابع عشر من الشهر نفسه الى ابنه يحيط علما بوصوله الى القدس ، ويفيد انه اصدر الاوامر اللازمه لاعداد النجده المطلوبه ، وارسالها بسرعه . ثم بعزمه على مرافقه هذه النجده ، ويأمل الوصول الى يافه في ظرف سته أيام . وعاد الى الكتابه في اليوم التالي طالبا الى السرعسكران يبقى في محله ريثما يلتقيان ويدرسان الموقف معا (٤) .

ورأى السرعسكر ان يتولى سليم باشا قياده القوه المقاومه من مصر، وان يقدم بها وباورطتي الفرسان الباقيتين في يافه وثلاثه مدافع الى قرى الشيخ قاسم الاحمد في جبل نابلس ، وان يقوم خقتان اغاسي بمن معه من فرسان العرب الى جنين للاتصال بسليم باشا (٥) .

---

(١) المحفوظات ج ٢ : ٤٠٤-٤٠٦ ، الرافعي عصر ٣٠٤ ، قرأ لي فتوحات : ٤٤ ، مشاقه تاريخ : ٦٤٥ ، زيدان تاريخ ١٦٨ .

(٢) المحفوظات ج ٢ : ٤٠٨ ، ذكرى البطل : ٣٦٤ ، بشير ٢ : ١٢٢ ،

Rustum The Distur Pances P.66.

(٣) المحفوظات ج ٢ : ٤٠٧ ، Rustum PP66-67.

(٤) المحفوظات ج ٢ : ٤٠٧ ، بشير ٢ : ١٢٢ ، الرافعي عصر : ٣٠٤ ، قرأ لي فتوحات : ٤٤ .

(٥) المحفوظات ج ٢ : ٤٠٩ ، أمين سامي تقديم : ٢٠١ .

وكان الشيخ قاسم هذا قد استمال جميع اهالي جبل نابلس الى جانبه فزحف بهم على القدس . وما ان وصل بمجموعه الى قريه لفته ، حتى تصدى لـه السر عسكر بالفين من عساكره ، ومدافع اربعه . فانتصر عليه وشتت شمله . ثم صده ثانية عند دير مار اليلس طريق بيت لحم ثانيه ، وثالثه ، عند عين سلوان . ولكنه لم يبدا من المفاوضه نظرا لقله الذخيره لديه فقبل توسط " الرهبان والافنديه" ورفع الفرده ، واوقف التجنيد ، ولكنه اشترط احتلال القلعه وتقديم مئه وخمسين غراره من القمح لها فوافق الثوار على ذلك . ومثل الشيخ قاسم بين يديه قضيه " حاكما على البلاد " وانتهى الحصار وكان ذلك في السادس والعشرين من حزيران (١) .

يلاحظ مما تقدم ان ابراهيم باشا لجأ الى الوسائل السياسيه لوقف رحى القتال ، والتغلب على خصومه فكما لاحظنا ان اوهم الشيخ قاسم الاحمد ، انه مستعد للعدول عن التجنيد ، والتسامح في غير ذلك من الامور فاجتذب هذا الزعيم اليه . ودارت المفاوضه بينهما في القدس ، وانتهت بتعيين الشيخ قاسم الاحمد حاكما على البلاد . وفي الوقت نفسه كان سليمان باشا يفاوض أولاد ابي غوش ، وتمكن من استمالتهم الى جانب الحكومه ، حيث وعدهم باخلاء سبيل والدهم السجين في عكا وان يسدل استار النسيان على كل ما مضى . واتفق معهم على ان يكونوا اصدقاء لحكومه محمد علي ، فينالوا المكافأة التي تناسب الخدمه التي يقومون بها (٢) .

وفي مطلع تموز من السنه نفسها (١٨٣٤) وصل محمد علي الى يافه على رأس جيش عدده خمسه عشر الف مقاتل (٣) . فكتب الى ابنه يستدعيه اليه وطلب الى أمير لبنان بشير الثاني أن يحضر الى يافه للتداول معه بشؤون فلسطين . فهب السر عسكر للقاء والده واوفد امير لبنان نجله الامير أمين الى يافه للمثول بين يدي محمد علي معللا انه بعد التداول مع اللواء بحري بك (يوحنا بحري) رأى ان المصلحه تقتضي ببقائه في لبنان " للمحافظه والملاحظه " وانه على كل حال مستعدا

---

(١) ابو عز الدين : ١٧٣-١٧٤ ، رستم بشير٢ : ١٢٣ ، ذكرى البطل : ٣٦٤ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٢٣ ، Rustum The Disturpances PP 68-70.

(٣) رستم بشير٢ : ١٢٤ ، ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا المصري في سوريه والاناضول ج ١ : ص ٤٥ ، ابو سمرا غانم : ٤٥١ ، المطار : ١٧٢ ، الرافعي عصر : ٣٠٤ ، محمد كرد علي ص٩٥ . احسان النمر ، تاريخ جبل نابلس: ٤٣ ، جورج زيدان تراجم مشاهير الشرق : ٢٢٣ ، بروكلمان : ٠٧١ .

متأهب " للشم والانذيال" وقد طلب محمد علي من الامير أمين ان يذهب الى لبنان ويخبر والده بوجوب الزحف على صفد لاخماد الفتنه فيها (١) . وكان قد سبق لاعيان هذه البلده ان اتصلوا بالامير خليل الشهابي أخي الامير امين وذلك في التاسع عشر من حزيران " متوكلين على من التحريك والتسكين بيده" معلنين قيامهم على الحكومه المصريه ، راجين " جوابا شافيا " وجاء في مرسوم الى الامير خليل" غير خافي سعادتكم الاثقال الذي حاملتها اهالي بلاد صفد من ورشات وسخر ومطالبي زايده وهذا كله لم يكفي بل بدهم منا عسكر نظام وغير خافي ان الولد مهجه الكبد ولم احدا يفوت ولده ولو فات نفسه فلزم الناس عافت أرواحها وقامت على ساق وقدم وتوكلت على من التحريك والتسكين بيده ولا يضر وينتفع سواه وجميع المقاطعات من العربان والفلاحين ومدن عسكر لكن عنده موالد أو رأى جيش عثمالي شلحوه ، او قتلوه وحاره اليهود في نفس صفد صار عليها نهب من اهالي الديره واما من جهه عكا لحربها عسكر كليا وعماله الخيل تؤخذ غنايم من البوابه لزم اعراضه الى سعادتكم لكي تمدونا برأيكم وتعرفونا ما في خاطركم وعلى كل حال أنت ابن شهاب وفي ظهرك الجبال والى جاجيل الفحول المجربه الاطوار ..... ويا سعادة الامير انتم اصحاب الفضل والنخوه ... ونحن اعرضنا لجنابكم الواقع وكذلك حررنا الى الفئه الذي لا تنسى المروءه وهم الاهالي مشايخ نابلوس الشيخ قاسم الاحمد والشيخ محمد الجرار والشيخ محمود عبد الهادي والشيخ عيسى البرقاوي لزم اعراضه لكي تحدونا بالجواب الشافي واطال الله بقائكم في ١٠ صفر سنه ١٢٥٠ الامضاءات صبح شيخ بصفد الحاج علي شيخ صفد محمد ابن القواص ، متسلم صيدا سليم متسلم صفد سابق سليمان ... الشيخ رشيد السلام كورد يوسف اغا مصطفى ولد عرب أغا عيسى الماضي متسلم الجبل العبدوني متسلم الجبل والشاغور الحاج محمد الاسدي السيد علي نقيب الاشراف عبد الغني مفتي صفد عبد الكريم نايب صفد اهالي صفد عموما "(٢) .

---

(١) رستم ، بشير ٢ : ١٢٤ ، Rrustum, The Disturpances, P 73.
ابوسمرا غانم : ٤٥١ ، العطار : ١٧٢ ، الرافعي عصر : ٣٠٤ ، قرألي فتوحات : ٤٤ ، النمر ، تاريخ : ٤٤ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٦٤٧ ، زيدان تاريخ : ١٦٨ .
(٢) أخبار الاعيان : ٥٧٨ - ٥٧٩ ، رستم بشير ٢ : ١٢٤ ، ذكرى البطل : ٣٦٤ ، Rustum, The DisturPances, P.72.

فزّج الشهابي الكبير والد الامير خليل حامل هذه الرساله في السجن ورد عليها بالتهديد والوعيد (١) . وبعد ان عاد ابنه الامير امين اليه قام الى جسر القماقعيه ، ببضعه الاف مقاتل لبناني ، ودعا الصفديين للطاعه فأوفدوا الشيخ صالح الترشيحي اليه يفاوضه وخلدوا الى السكينه فأرسل الامير اللبناني قوه الى صفد لاحتلالها . وعين محافظا عليها ، وفعل مثل ذلك لجميع قرى الشاغور والجبل ، وساحل عكه ، والقى القبض على اثنين وعشرين من وجوه صفد الذين " كانوا مبدأ الشقاوه والفساد ووضعهم بالسجن وطالبهم بما سلبوه من اموال اليهود " . وارسل ايضا نحوا من عشرين نفرا من أهالي الشاغور ، والجبل ، والساحل الى سجن عكه . ثم مثل بين يديه وجوه طبريه ، متقدمين الطاعه ،فأرسل قوه الى بلدتهم وعين محافظا عليها . وكتب الى الحضره الخديويه في الخامس والعشرين من تموز ينبئهم " بانقطاع دابر الفساد ودخول الرعب والارهاب الى قلوب الجميع من رضيع ووضيع(٢) " .

الثوره في نابلس : ان سياسه التفريق التي اتبعها ابراهيم باشا مع زعماء فلسطين ، استمالت اليه آل ابي غوش وآل عبد الهادي فأمن على خط مواصلاته ما بين يافه ، وداخليه فلسطين . وضاق نطاق الثوره فبشّر بالوعود لابناء ابي غوش بأن أخلى سبيل والدهم الذي كان سجينا في عكا وجعل الابن الاكبر زعيما لقومه ، والابن الثاني متسلما على القدس(٣) . وجعل الشيخ حسين عبد الهادي من رجاله المقربين .

أما قاسم الاحمد فرغما عن انفصال ابناء ابي غوش ، واتباعهم عنه ، فانه لما عاد الى نابلس وجماعته بعد الاتفاق الذي تم بينهم وبين ابراهيم باشا في القدس ، اغتروا بما أصابهم من نصر ، وظنوا ان السرعسكر لن يقوى عليهم فامتنعوا عن تقديم

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٢٤ ، Rustum, The DisturPances P 73.
ابو عز الدين : ١٧٤ : النمر : ٤٥، ابو سمرا غانم : ٤٥٢ ، الرافعي عصر : ٣٠٥ ، قرأ لي فتوحات : ٤٥ ، محمد كرد علي : ص٥٩٣ ، محمد جميل الشطي ، روض البشر : ١٦٧ ، زيدان تاريخ : ١٦٨ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٢٤ ، Rustum, The DisturPances, PP75-76.
الشطي روض البشر : ١٦٨ .

(٣) اخبار الاعيان : ٥٧٩ ، ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا المصري ، ج ١ ص : ٤٥ .

القمح المتفق عليه وطردوا عمال السرعسكر الذين ارسلوا لجمعه قائلين انه ليس لديهم سوى الرصاص والبارود (١). وان الشيخ قاسم الاحمد لم يزدد الا اصرارا على مقاومة ابراهيم باشا فحشد رجاله في قرية الدير (دير الغصون) وزحف ابراهيم باشا الى قتالهم وقام من يافه حوالي العاشر من تموز على رأس قوه جديده الى الطيبه فضرب اهلها، ثم انتقل الى قاقون فأحرقها، واتجه منها الى زيته، وعتيل (٢).
فأصبح ابراهيم باشا قباله قريه الدير المار ذكرها فاشتبك الجيشان في قتال عنيف كان فيها النصر لابراهيم باشا، وقتل من النابلسين نحو سبعمايه رجل، وأخذ منهم عددا كبيرا من الاسرى (٣). ومن زيتا تقدم الى غيرها من قرى نابلس خرج اهلها لملاقاته طالبين الامان فأجاب طلبهم. ونزل على ماء خارج البلده وأخذ يقبض على من تصل اليد بده من الذين اشتركوا في حركة الانتقاض وبقتلهم (٤) وكان الذين قبض عليهم وقتلهم الشيخ مسعود الماضي وولده (٥). اما المشايخ قاسم الاحمد، وعيسى البرقاوى، وعبدالله الجرار من زعماء الثوار وغيرهم من الزعماء والاتباع الذين ظلوا مصريين على المقاومه فقروا الى الخليل (٦). وكان ابراهيم باشا في اثناء مروره في قرى نابلس يجمع مال الفريضه ويجرد الاهالي من السلاح (٧) وينشر

---

(١) رستم بشير٢ : ١٢٥ ، المذكرات التاريخيه للاب قسطنطين الباشا : ١٠٨-١٠٩ ، النمر : ٤٥.
(٢) رستم بشير ٢ : ١٢٥ ، ابوعز الدين : ١٧٦ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٢، الرافعي عصر : ٣٠٥ ، قرأ لي فتوحات : ٤٥.
(٣) مذكرات تاريخيه : ١٠٩، حروب ابراهيم باشا المصرى ج ١ : ص٤٤، ابو عز الدين أخذ عنه هؤلاء.
(٤) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه : ١١٠ ، قرأ لي فتوحات: ٤٥.
(٥) ابو عز الدين : ١٧٦ ، رستم بشير ٢ : ١٢٥ ، العطار : ١٧٢ ، ذكرى البطل : ٣١٠ ، Rustum, The DisturPances P. 78.
(٦) ابو عز الدين : ١٧٦، رستم بشير٢ : ١٢٥ ، الرافعي عصر : ٣٠٦، محمد كرد علي خطط ج ٣ ، ٥٩ ، النمر : ٤٦.
(٧) حيث جمع من نابلس وحدها (٥٦٠٠) بندقيه ، رستم بشير ٢ : ١٢٦، ذكرى البطل : ٣١٠.

زايه الا من فيها . فلما فرغ من ذلك فوجه الى القدس في اول آب سنه ١٨٣٤ ، ومنها تقدم بجيوشه الى الخليل (١) .

ولما أطمأن محمد علي الى نجاح جنوده في اخماد ثوره فلسطين عاد الى الاسكندريه فوصلها في ٢٢ ربيع اول سنه ١٢٥٠ = ٢٩ تموز سنه ١٨٣٤ .

الثوار في الخليل : تقدم ابراهيم باشا لمهاجمة الخليل في ١٤ آب ، وكان الثوار متربصين في الطريق على مسيره ساعتين من المدينه فدعاهم ثلاث مرات الى التسليم فرفضوا وفي اليوم التالي زحف لمقاتلتهم فاصطلت نار القتال مده ثلاث ساعات استبسل الفريقان في اثنائها في الهجوم والدفاع فانكسر الثوار وارتدوا الى المدينه والجيش سائر في اثرهم وهناك حصل بينهم قتال شديد فاستولى الجيش على المدينه ودام النهب والسلب والسبي والقتل نهارا كاملا . فكان ما نهب من الاموال والارزاق شيئا لا يحصى وكان عدد القتلى نحو ستمايه ومثل ذلك عدد الاسرى . وقبض على مايه وعشرين ولدا من ابن ثماني سنين الى ابن اثنتي عشره سنه فأدخلوا في الجيش ولم يبق في الخليل سوى المسنين واصحاب العاهات اما زعماء الثوار ففروا من الخليل الى السلط والكرك (٢) ، فأقام ابراهيم باشا سليمان باشا الفرنساوي على ادارة الخليل وتولى بنفسه تعقب الثائرين الى الكرك .

الثوار في السلط والكرك : كان الحر شديدا حينما تقدم ابراهيم باشا الى الكرك فقاسى جنوده الشدائد من الحر والعطش ، وسقط نحو ثلاثمايه منهم متأثرين من ضربة الشمس حتى اضطر عند وصوله الى بلده الغور الى الاقامه فيها يومين ريثما انتعشت جنوده . ثم استأنف السير نحو الكرك ولما أقبل عليها خرج اهلها المسيحيون للقائه مستأمنين فأمنهم وامهلهم ثلاث ساعات ليخرجوا من البلد وينتقلوا منها ما يشاؤون وبعد ذلك استباح جنده ما بقي في البلد من رجال واموال

---

(١) ابو عز الدين : ١٧٧ ، رستم بشير ٢ : ١٢٥ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٢ ، العطار : ١٧٢ ، زيدان تاريخ ١٦٩ .
(٢) ابو عز الدين : ١٧٧ ، رستم بشير ٢ : ١٢٧ .

قتلا ونهبا ، ودمروا بيوتها تدميرا (١) . أما الثوار فاعتصموا في قلعة الكرك، ولم تكن المدفعية الجيش قد وصلت لتسلط نيرانها عليهم كما ان اقدام ابراهيم باشا وما كان يجيش في صدره من الزعيم قاسم الاحمد ورفقائه حجبا الصواب عن بصيرته فرمى القلعه بفرقه الفرسان محاولا فتحها عنوه فأدت هذه الغلطه الشنيعه الى اصابتها بخسائر جسيمه كان في جملتها امير الاى وقائمقام وبكباشي وهم الذين تعاقبوا في قيادة الفرقه الى الموت الاكيد (٢) . ورغما على الاستبسال في الهجوم كان الاخفاق تاما وراعت ابراهيم باشا كثره الاصابات فأمر جنوده بالانسحاب وانتظر وصول المدفعية ليستأنف القتال فاغتنم قاسم الاحمد واعوانه هذه الفرصه وانسحبوا برجالهم ليلا من القلعه بدون ان يشعر ابراهيم باشا بذلك وتوجهوا نحو السلط . ولما وصلت المدفعيه الى الكرك سلطت نيرانها على القلعه لكن لم تبد في القلعه ايه حركه ولا خرج منها اى طلق نادى وكانت المدافع قد فتحت ثغرة في جدارها فدخل الجنود منها فلم يجدوا فيها احدا غيرانهم وجدوا مؤنا وذخائر كثيره (٣) .

فبعد ان اعطى ابراهيم باشا جنوده نصيبا من الراحه تعقب العصاه الى السلط حيث كانوا يبدون المقاومه غير ان اهل السلط لم يوافقوهم على ذلك وحالما حضر ابراهيم باشا تقدموا للقائه مستأمنيين . اما الشيخ قاسم الاحمد وغيره من الزعماء فانفصلوا عن رجالهم وجدوا في السير نحو الباديه ونزلوا على عرب غزه وهم يظنون انهم وصلوا الى ملجأ امين (٤) .

فلما علم ابراهيم باشا ان زعماء الثائرين قد لجأوا الى قبائل العرب انتقل بجيشه الى المزيريب ووزع رسله بين العربان وكتب الى مشايخهم يطلب منهم القبض على زعماء الثوار وتسليمهم مهددا من يكتم امرهم عند العقاب الشديد . وكانت سطوه ابراهيم باشا قد الفت الرعب في قلوب القبائل العربيه فبادر الشيخ سمير الدوخي شيخ عرب عنزه الى القبض على الزعماء الذين لجأوا اليه واتفق قدوم خياله من جيش ابراهيم باشا فتسلموهم وذهب هو ايضا معهم الى ان اوصلهم الى ابراهيم باشا فأمر ابراهيم باشا بقتلهم الشيخ قاسم الاحمد والشيخ عيسى

---

(١) ابو عز الدين : ١٧٨ ، رستم بشير٢ : ١٢٥ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٢ ، العطار ، ١٧٢ ، بيك باشا - فريد بك ، تاريخ شرق الاردن وقبائلها تعريب بهاء الدين طوقان ، ص١٢٢ ، قرألي فتوحات : ٤٥ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٦٤٨-٦٥٠ .

(٢) ابو عز الدين : ١٧٨ ، رستم بشير٢ : ١٢٥ .

(٣) ابو عز الدين : ١٧٩ ، العطار : ١٧٢ ، قرألي فتوحات : ٤٥ .

(٤) ابو عز الدين : ١٧٩ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٦٥٢-٦٥٣ .

البرقاوى في دمشق وقطعت رؤوس اولادهم في عكه والقدس(١).

ونفى ابراهيم باشا الى مصر رهطا من علماء فلسطين منهم الشيخ عبد الله البديرى المقدسي ،والشيخ عبدالله الفاهوم الناصرى ، والشيخ سعيد السعدى العكاوى . كما أمر باعدام كل من الشيخ مسعود الماضي شيخ مشايخ ساحل حيفا واسعد بك الخضر متسلم يافه(٢) .

وقضت مشيئه محمد على بابعاد صنف الموظفين من اتباع عبدالله باشا والي صيدا السابق عن هذه الولايه فنفذ أمره في نقاط عديده ولكن اللايدى استر ستانهوب الشهيره أبت ان تسلم من التجأ من هؤلاء اليها في صيدا وحاولت الاحتفاظ بهم ولكن دون جدوى .

<u>الاضطرابات في الشام أيار سنه ١٨٣٤:</u>

بعدما أذاع ابراهيم باشا اوامر والده عن التجنيد وغيره من التكاليف ، اتخذ شريف باشا التدابير اللازمه لتجنيد الدمشقيين . فاستند على مشايخ الحارات سرا ، واخبرهم عن عزمه على اجراء التجنيد طبقا لاوامر العزيز (محمد علي) وان الجنود ستوزع في المدينه . حتى اذا ما اصبح صباح ١٠ ايار تكون الجنود مرابطه امام البيوت ، وكل رجل يخرج منها تقبض عليه وترسله الى الثكنه العسكريه ليفحصه الحكماء ، ويدخلوه في سلك الجنديه اذا وجد لائقا لها . وفي اليوم المذكور نفذت هذه التدابير فبلغ عدد الذين تقرر تجنيدهم سبعمائه رجل عدا بعض الاغنياء الذين قبلت منهم بدلات ماليه(٣) .

---

(١) رستم ، بشير ٢ : ١٢٦ ، The DisturPances PP 76-82.
العطار : ١٧٢ ، النمر : ٤٨ .
(٢) رستم ، الاصول العربيه :ج ٢ : ١٢٣ - ١٢٤ . قرألي فتوحات : ٤٨ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٩ ، جورج زيدان - تراجم : ٢٢٥ ، تاريخ مصر الحديث : ١٧٠ . The DisturPances PP,PP, 80-82.
(٣) ابو عز الدين : نقلا عن مذكرات تاريخيه : ١٠٣ ، نوفل : ٤٧٣ .

وكان يوم التجنيد يوم حزن واضطراب افكار عظيمه كثر فيه عويل النســـاء وبكاؤهم حزنا على المجندين ، من ذويهم وفر عدد كبير منهم الى الجبال والبراري وبعضهم أبعد في فراره الى بغداد الى مابين قبائل الباديه وعلى اثر ذلــــك اتصل بأهل دمشق خبر نشوب الثوره في جبل نابلس ، وان الثوار قد بطشوا بعساكـــر ابراهيم باشا حتى كادوا يفنوها . فازداد هياج افكار الدمشقيين واخذوا يتوعدون النصارى والجنود بالشر ويتأمرون للايقاع بهم (١) فوقف شريف باشا عن مواصلــــة التجنيد واكتفى بالذين كان قد جندهم في ١٠ أيار وكانت لديه قوه عسكريه تبلــــغ نحو اربعة الاف جندي فاحتاط لحفظ الامن في المدينه وخلا العساكر تطوف ليــــلا ونهارا وشدد في مراقبة مثيري الفتن وقتل احدهم المدعو ابن سقا اميني لطعنــــه في الحكومه وهكذا حال دون وقوع فتنه في الشام (٢) .

وكان شريف باشا قد جمع الاسلحه الناريه والسيوف من دمشق فبلــــغ عدد البنادق التي جمعـــها نحو اربعة الاف وخمسمائه بندقيه فاكتفى بها . لكــن بعد اخماد نابلس حضر ابراهيم باشا الى دمشق بعسكره وأطلع على عدد البنادق المجموعه فلم يرضى به بل أوجب على الدمشقيين ان يقدموا من البنادق ما يساوي عـدد دافعي الفريضه بل كلف بعض الاعيان ان يقدم الواحد منهم خمس الى عشر بنادق (٣) .

---

(١) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه : ١٠٤ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٢ ، نوفل كشف اللثام : ٤٧٤ ، العطار : ١٧٢ ، ميخائيل ، مشاقه تاريخ محمد علــي باشا مجلة المقتطف مجلد ٣٠ ق٢ : ص٧٩٦ .

(٢) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه : ١٠٤ ، نوفل كشف اللثام : ٤٧٤ .

(٣) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه : ١١٥- ١١٦ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٢ ، نوفل : ٤٧٤ .

الاضطرابات في طرابلس حزيران وتموز سنه ١٨٣٤ :

وظهرت بوادر الثوره في طرابلس فتأمر أهلها على الفتك بحاميتها المؤلفه من نحو اربعمائه جندى وبمن في المدينه من المسيحيين فانسحب الجنود الى الميناء . وتحصنوا فيها ، ولجأ وجوه المسيحيين الى جبل لبنان . كما ان مصطفى أغا بربر متسلم طرابلس السابق الذى كان حينئذ معزولا عن منصبه قاوم مريدى الثوره واتخذ له حزبا من اهل المدينه فحاولوا دون حدوث الفتنه (١) واتصل خبر هياج الافكار في طرابلس ، وبلاد عكار ، بمحمد علي . وهو في طرابلس . فارسل أمرا الى الامير بشير . بأن يوجه ولده الامير خليل بألف مقاتل الى طرابلس لتتجمع سليم بك في تأديب الثائرين (٢) ، فبارح الامير خليل ورجاله الجبل الى طرابلس في ٩ ربيع الاول سنه ١٢٥٠ ، ٣٠ تموز سنة ١٨٣٤ (٣) ، ولما اجتمع بسليم بك القوا القبض على خمسة وعشرين رجلا من الجانحين الى الفتنه بينهم ثمانيه من أعيان المدينه وسجنوهم جميعا في القلعه (٤) . ولما انتقل ابراهيم باشا الى دمشق بعد ما اخمد ثورة فلسطين ارسل اوامره الى الجهات التي ظهرت فيها الفتن مشددا بوجوب معاقبة العصاه فعوقب الطرابلسيون بقتل ثلاثه عشر رجلا من اعيانهم وبقيت جثثهم ملقاه في الشوارع ثلاثه أيام (٥) .

الاضطرابات في عكار وصافيتا والحصن آب وأيلول سنه ١٨٣٤ :

وثارت الفتن في بلاد عكار وصافيتا والحصن فتوجه من طرابلس الى بلاد عكار سليم بك بعساكر نظاميه والامير خليل شهاب ، ومعه مئتا خيال من اللبنانيين فقبضوا على اسعد بك الرعب ، واسعد بك الشديد ، على اثنين من اولاد محمد

---

(١) ابو عز الدين : ١٨٢ ، رستم بشير ٢ : ١٢٦ ، نوفل ٢٤٧٥ ، تاريخ محمد علي المقتطف مجلد : ٣٠ : ٨٠٣ .

(٢) اخبار الاعيان : ٥٧٨ ، نوفل : ٤٧٥ ، العطار : ١٧٢ ، رستم تاريخ : ٤ : ٩٠٤ .

(٣) ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا المصرى : ج ١ ص ٤١ ، نوفل ٤٧٦ .

(٤) ابو عز الدين : ١٨٢ ، رستم بشير ٢ : ١٢٧ ، ابو سمراغانم : ٤٥٣ .

(٥) اخبار الاعيان : ٥٨١ ، رستم بشير ٢ : ١٢٧ ، نوفل : ٤٧٦ ، رستم تاريخ ج ٤ ، ٩٠٤ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق ١٥ : ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

بك القدور وعلى ثلاثين شخصا من وجوه عكار (١) .

ولما وردت اوامر ابراهيم باشا بتشديد معاقبته العاصيين قتلوا بعضهم وارسلوا عددا منهم الى عكا (٢) . ثم طرأ مرض على الامير خليل فعاد الى طرابلس، وبعد ان جمع السلاح منها عاد الى بيت الدين في ١٠ أيلول - سنه ١٨٣٤ (٣) . اما سليم بك فتقدم من عكار الى صافيتا ، وقبض على مصطفى بك الاسعد متسلم عكار، وعلى اخرين معه . وقبض ايضا على الشيخ دندش ، والشيخ خضر متسلمي بلاد الحصن ، وصافيتا ، وارسلهم جميعا الى قلعه طرابلس . وقبض ايضا على محمد أغا بق على أغا خزندار متسلم طرابلس ، وعلى مصطفى اغا متسلم اللاذقيه ، وارسلهم مع عيالهم الى جزيره قبرص .

وبناء على أمر ابراهيم باشا قتل عبدالله اغا عذره صاحب قلعه المرقب بمشهد عظيم في سوق اللاذقيه لانه اهان ضابطا من ضباط الجيش المصرى (٤) .

<u>دسائس الباب العالي</u> :

وما ان سمع السلطان بحوادث فلسطين وطرابلس ، وعكار حتى أمر باستغلال الموقف فأوعز الى محمد رشيد الصدر الاسبق ووالي سيواس ، وديار بكر والرقه وأمين المناجم السلطانيه ان يتصل بالمعارضه في الشام وبغيرها من العناصر لاذكاء نار الفتنه فيها . فكتب هذا الى أمير لبنان يستفزه لمناصره الثوار وحض الامير سليمان الحرفوش في بعلبك ، والشيوخ الحماديه في الهرمل على الثوره ومنهم الشيخ سعد الدين حماده ، والشيخ ابو نصره حماده ، والشيخ محمد كنج حماده واعلن قرب نهوضه بالعساكر اليهم (٥) .

---

(١) ابو عز الدين : ١٨٣ ، اخبار الاعيان : ٥٨٩ ، نوفل ، كشف اللثام : ٤٧٦-٤٧٧ .
(٢) ابو عز الدين : ١٨٤ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ ، كشف اللثام : ٤٧٦ .
(٣) ابو عز الدين : ١٨٤ ، نوفل : ٤٧٧ ، العطار : ١٧٢ .
(٤) ابو عز الدين : ١٨٤ ، اخبار الاعيان : ٥٨٩ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ .
(٥) اخبار الاعيان : ٥٧٩ ، رستم بشير ٢ : ١٢٧ ، نوفل : ٤٧٧ .

واتصل ايضا بآل هارون في اللاذقيه ، وببعض زعماء النصيريه في جبالها ، وبيونس أغا في قارسابور وخان بو ، وبمحمد على الشاكورلي في الدير وبعبد اللطيف اغا في باير ، وبرهط من اعيان حلب منهم عبد الرحمن المرعشلي ، وابراهيم اغا سياف زاده وآل الجابري (١) .

فقبض أمير لبنان على الخيال الهواري الذى حمل الكتابه اليه وارسله الى سجن عكا ثم كتب الى بحري بك يقول : " أمس حضر خيال هوارى الى معسكرنا وتقدم الى عندنا وناولنا كتابا وأسر لنا خفيه انه من الصدر الاعظم السابق فأخذنا الكتاب وفتحناه فاذا هو من رجل اسمه احمد هوارى باشي عند محمد رشيد باشا والكتاب المذكور وأحل للجانب فمن بعد اطلاع جنابكم عليه ترسلوه لاعتاب سعاده افندينا ولي النعم السرعسكر المعظم . وتقرير هذا الرسول ان محمد رشيد موجود في ملاطيه وعنده عساكر وافيه وانه لاجل عدم القلقه وخشيه من وقوع المكتوب بيد احد حرروه باسم الهوارى باشى المذكور وانه مهما كنا نريد يحصل لنا "(٢) .

ثورة النصيريه ، تشرين اول الى آخر كانون اول (اكتوبر الى آخر ديسمبر) سنه ١٨٣٤ :

ان ثوره النصيريه كانت اهم ثورات سنه ١٨٣٤ ، بعد ثوره فلسطين ، فقاتلوا الجيش مستبسلين . كما ان بلادهم اصابها من النهب ، والحرق والتخريب ، ما لم يصب غيرها مثله (٣) . أما اسباب هذه الثوره فهي هي تلك التي عم ذكت نار الثوره في سائر البلدان السوريه . وكان قد اندلع لهيب الفتنه في تلال اللاذقيه وجبله ، وبانيا ن ، وطرطوس وامتنع أهلها عن تقديم سلاحهم وأخلوا بالامن وهجم بعضهم على مدينه اللاذقيه ، واهلكوا من كان فيها من العساكر ، ونهبوا المخازن والشون واخذوا ٤٨٢ رأسا من خيول السلطه . ونهبوا منازل الضباط وفسلبوا حريم الصاغ والبكباشي والقائمقام متاعهن ، وحاصروا المتسلم في داره وسلبوا البسه المرضى في المستشفى (٤) . فهب سليم باشا من مقره في شمالي سوريه الى معونه

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٢٧ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ ، العطار : ١٧٢ ، زياده ابعاد : ٨٠ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٢٧ ، نوفل : ٤٧٧ ، اخبار الاعيان : ٥٧٩ ، زيدان ، تراجم : ٢٢٧ ، الدمشقي تاريخ المشرق ١٥ : ٤٢٧ — ٤٢٨ .

(٣) ابو عز الدين : ١٨٤ ، نوفل : ٤٧٦ ، اخبار الاعيان : ٥٨٠ ، العطار : ١٧٢ ، رستم تاريخ : ٤٠٤ ، ذكرى البطل : ٣٦٥ .

(٤) ابو عز الدين : ١٨٥ ، رستم بشير ٢ : ١٢٨ نوفل : ٤٧٧ . Paton , Vol,2,P.113.

زميله اللواء سليم بك . وأرسل اليه في منتصف أيلول الان المشاه الماشر من حماة ، وامر محمد آغا معجون أغاسي بوجوب ارسال ثلاث مئة من فرسانه الهنادبين ، من جسر شغور للغايه نفسها (١) .

فقام اللواء سليم بك من طرابلس ، وضرب النصيريين في صافيتا فدخلوا في طاعته وجمع اسلحتهم ثم انتقل بما توفر لديه من قوه الى بانياس وقلعه المرقب فسلب وحرق والقى القبض على الثائرين وقتل احمد قرقور ، والامير اصلان ، وطه كتخدا عبد الله أغا صاحب المرقب . ثم اتجه نحو اللاذقيه " ليقتص من عصاه المقاطعات السبع ومن تآمر معهم من سكان اللاذقيه" (٢) .

وكان الامير الشهابي قد عاد من صفد ، وجمع سلاح صور وجبالها ، فكتب اليه السرعسكر ان يوجه رجاله الى اللاذقيه ليعاونوا اللواء سليم بك في اخماد الفتنه فيها وفي جبالها . فأرسل الامير ، ابنه الامير خليلا ، ومعه امراء من وادي التيم الشهابيون : الامير فندى ، والامير جهجبان ، والامير سعد الدين ، والامير احمد . فيأتوا في طرابلس ينتظرون اكتمال العدد (٣) . ثم قاموا بضعة الاف فوصلوا الى منطقة اللاذقيه في اوائل تشرين الثاني وبعد ان دوخوا مقاطعة البهلوليه قاموا آل صهيون ، وضحوا في قريه الحفه . فلما بلغ اهل مقاطعة بيت الشلف ذلك ارسلوا نحو الفي مقاتل يدهمون الرجال فانكسروا . ثم هجم اللبنانيون على قلعة صهيون واحتلوا ثلاثة ابراج بقربها وابقوا فيها مئة مقاتل (٤) . فاضرم هؤلاء نار الحرب على من في القلعة وعند منتصف الليل طلب النصيريون الامان وفروا هاربين فدخلها اللبنانيون وحضر اهل مقاطعة ديروس وسلموا . ثم انتقل اللبنانيون الى بيت الشلف ، والمزرعه الجهنا واحرقوا قراها وادخلوا اهلها في الطاعه . وقام اهل الطروحه وبيت ياشور والقراضه فربطوا جسر السن (٥) . وعند ئذ

---

(١) ابو عزالدين : ١٨٥ ، رستم بشير٢ : ١٢٨ ، ابوسمراغانم : ٤٥٤ ، نوفل : ٤٧٣ ، اخبار الاعيان : ٥٨٠ ، العطار : ١٧٢ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٩٦ ، حتي تاريخ سوريه : ٢٦٥ فرحات مختصر تاريخ : ٢٢٩ .

(٢) رستم بشير٢ : ١٢٨ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٤ ، اخبار الاعيان : ٥٨٠ ، ابو عز الدين : ١٨٥ .

(٣) ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا المصري ج ١ : ٤٧ .

(٤) رستم بشير٢ : ١٢٨ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٤ ، نقولا ابعاد : ٢٨٠ ، ذكرى البطل : ٣٦٥ .

(٥) اخبار الاعيان : ٥٨٠ ، نوفل : ٤٧٦ ، العطار : ١٧٢ ، الدمشقي تاريخ المشرق ٥ : ٤٣٠ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٩٦ : ٧٩٧ ، حتي تاريخ سوريه : ٢٦٥ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٢٩ .

وصلت نجده لبنانيه مؤلفه من خمس مئه مقاتل من زحله وبسكنتا فاقتتلت مع النصيريين وخسرت سته وثلاثين رجلا . وبلغ الامير خليل ذلك فأرسل الامير بن سعد الدين واحمد لنجده المقاتلين ففر النصيريون الى جبل الحمام ، وهكذا دواليك حتى استتب الامن في البلاد كلها وجمع سلاحها (١) .

وكان ابراهيم باشا قد وصل الى حمص قادما من دمشق فأبلغه سليم بك أمر خضوع الثوار فأمر الباشا بتفرق العساكر فأذن للاميرين سعد الدين واحمد الشهابيين بالرجوع الى اوطانهم وفي اثناء عودتهم حصلت وقائع بينهم وبين النصيريه في وادي العيون ووادي عميق شمالي صافيتا (٢) . اما الامير خليل شهاب فغادر بلاد النصيريه في ٢٠ شعبان ١٢٥٠هـ/ ٢٢ كانون اول سنه ١٨٣٤، عن طريق جبله فالمرقب فطرطوس فطرابلس ووصل الى بيت الدين في اول كانون الثاني سنه ١٢٣٥ وتفرق رجاله الى اوطانهم (٣) .

وبقي سليمان بك في بلاد النصيريه مع قسم من عساكره لاكمال جمع السلاح ويستدل من تقاريره انه جمع من المقاطعات الجنوبيه ٤٠٠ بندقيه وخمسين زوجا من الطرورات واثنين وثمانين خنجرا وستين سيفا ومن مقاطعات المرقب وقدموس والخوابي وسلطان ابراهيم والقرى الساحليه ٣٠٠٠ بندقيه وعددا من السيوف والطبنجات والخناجر وما لا يقل عن الفي بندقيه من سائر المقاطعات(٤) ، واستتب الامن بعد ذلك بنوع لم يسبق له مثيل وانتظم نحو اربعة الاف رجل من ابناء تلك البلاد في سلك الجيش المصري (٥) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٢٩ ، نوفل : ٤٧٦ ، اخبار الاعيان : ٥٨١ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٩٧ .
(٢) اخبار الاعيان : ٥٨١ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٤ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٠ .
(٣) ابو عز الدين : ١٨٨ ، نوفل : ٤٧٦ ، العطار : ١٧٢ .
(٤) رستم بشير ٢ : ١٢٩ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٤ ، نوفل : ٤٧٦ .
(٥) ابو عز الدين : ١٨٨ ، Paton ,Vol, 2,P.118.

الثوارات الصغرى في حلب وانطاكيه وسائر سوريه الشماليه :

وكان السرعسكر قد اوفد محمد منيب افندي الى حلب لجمع سلاحها فوصل اليها في منتصف أيلول من السنه نفسها ١٨٣٤ واذاع الامر السامي بلسم السلاح ، وشرع بتنفيذه " فنفر الاهالي منه واظهروا عدم الرضى عنه " وعن الفرده ولكنه على الرغم من هذا تمكن في ظرف خمسه عشر يوما من جمع ٨٤٨٢ بندقيه من حلب و ٢١٦٨ من كلس و ١٨٥١ من انطاكيه . وأجمل لم السلاح من القرى الى حين وصول قوه عسكريه تؤازره (١) . فحسب الفلاحون حسابا لهذه ونادوا بالثوره ثم احتلوا منطقه جسر الحديد على العاصي ، فربطوا الطرقات على عرب الهنادى وقالوا : " حلب محاصره وادلب قامت ، وغزه مجاوره حلب ، والبلاد جميعها قامت وسعادة افندينا الوزير المعظم محمد رشيد باشا خولنا احتلال بقيه انطاكيه والجسر وامرنا ان نقول ان الذى يطيع مولانا السلطان عليه أمان الله ورايه والذى يعصي رزقه وماله ودمه وحريمه حلال ونحن نجاهد في سبيل الله لأنهم على غير الحق (٢) . فقام اليهم سليم باشا بالاى المشاه الثاني عشر والاى الفرسان الاول ونصف بطاريه من المدافع الى قريه صوفيار في اوائل تشرين الثاني وضربهم ضربه قاضيه اسفرت عن تشتيت شملهم (٣) . واعلن انتهاء هذه الفتنه من قريه شيخان في جبل الاكراد وعيّن شيوخ محليين من اعداء الشيوخ الفارين (٤) .

وفي سنه ١٨٣٦ ثار عرب الصفاء فتوجهت قوه من اللبنانيين بقيادة الامير مسعود حفيد الامير بشير شهاب فاخضعهم لكن مات من عسكره نحو خمسين رجلا من شده البرد (٥) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٢٩ ، اخبار الاعيان : ٥٨٣ .
(٢) رستم بشير٢ : ١٢٩ ، ذكرى البطل : ٣٦٦ .
(٣) ابو عز الدين : ١٨٩ ، اخبار الاعيان ٥٨٤ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٩٨ .
(٤) رستم بشير٢ : ١٢٩ .
(٥) اخبار الاعيان : ٥٨٨ .

ثورة الدروز حوران ، تشرين ثاني (نوفمبر) سنه ١٨٣٧ - آب (اغسطس) سنه ١٨٣٨ :

بدأت هذه الثوره في اواخر شهر تشرين الثاني سنه ١٨٣٧ ، وانتهت في النصف الثاني من شهر آب . سنه ١٨٣٨ ، بعد وقائع داميه خسر في اثنائها جيش ابراهيم باشا ، مالا يقل عن عشره الاف مقاتل ، بينهم عدد غير يسير من القواد ، ولا قى من الاهوال مالم يلاق مثله في حروبه مع الدوله العثمانيه أو في اخماد سائر الثورات في سوريه وغيرها (١) .

وحتى تتضح لنا الاسباب التي دعت حكومه محمد علي الى اثاره هذه الفتنه التي كلفتها الضحايا الغاليه ، بدون جدوى ، وتتجلى امامنا الاحوال التي مكنت الدروز رغما عن قلة عددهم من البطش بالحمله بعد الحمله واحتمال الجيوش الجراره تسعة شهور لا بد من ايراد بعض التفاصيل عن موقف المتحاربين (٢) .

سبب نزوح الدروز الى حوران : هجر بعض الدروز مواطن العمران في لبنان وغيره الى بلاد سادت فيها الفوضى ، وكثر الخراب ، وهي بلاد حوران (٣) . وكانت هجرتهم اما بسبب المشاحنات التي كانت كثيره الوقوع بين الاسر ، والاحزاب ، أو فرارا من مظالم حكام ذلك الزمان فوجدوا في حوران الحريه المطلقه ، وجوده الهواء والمساكن الرحبه في قراها القديمه المهجوره تحيط بها الاراضي الواسعه الكثيره الخصب (٤) . غير انهم ما لبثوا ان اضطروا ان يستأنفوا في وطنهم الجديد مثل

---

(١) نوفل كشف اللثام : ٤٨٢ ، ابوسمرا غانم : ٤٥١ ، رستم تاريخ محمد علي : ٩٠٤ بشير ٢ .

(٢) نوفل : ٤٨٢ ، اخبار الاعيان : ٤٨٨ ، الريش : ٦٥ .

(٣) الرافعي عصر ٣:٧ ، اخبار الاعيان : ٤٨٩ ، رستم تاريخ : ٩٠٤ ، المعلوف حروب ، ابراهيم باشا المقتطف ٦٧ : ٣٢٢ ،

(٤) نوفل : ٤٨٣ ، الرافعي عصر : ٣٠٦ ، ابو سمرا غانم : ٤٥١ ، الريش : ٦٥٠ ، ابو عز الدين ، حروب ابراهيم باشا المقتطف : ٦٩ : ١٦٧ ، نزوح الدروز الى حوران ، وحروبهم المقتطف ٦٨ : ١٢٧ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق ١٥ : ٤٨٢ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٧٩٩ .

ما كانوا عليه في وطنهم السابق ، من قتال ونزاع مع جيرانهم أو مع القبائل الرحالة التي اعتادت المرور والرعي في الديار التي نزلوها ، هذا فضلا عن تعرضهم الدائم لمقاومة غزاة البادية الذين يعيشون على السلب والنهب(١) .

وهكذا كان الدروز الذين أموا حوران حتى عهد ابراهيم باشا ، كانوا احلاس حرب ، محنتهم التجارب وتمرسوا بالحروب في وطنهم القديم . فكان ذلك افضل ما ادخروه لحفظ كيانهم في وطنهم الجديد حيث لم تزدد مزاياهم الحربية الا نموا لانهم كانوا على الدوام في حال حرب لا يخرج الواحد منهم من منزله الا وهو شاكي السلاح استعدادا للطوارئ والمفاجئات . فتمادي الاحوال على هذا المنوال صير جميع دروز حوران جيشا محاربا فيه الجنود والقواد . فبنوا الحمدان وهم اقدم اسرة درزية نزحت الى حوران على ما نعلم ، توطدت زعامتهم العامة فيها . ونشأت أسر غيرها ذات عصبية قوية ، وزعامة محلية ، فكان اولئك الزعماء قوادا ورجالهم جنودا (٢) .

والدروز في الحروب اطوع لقوادهم من البنان . كما ان قوادهم فوق ما اعتادوا به من البسالة والاقدام ، عرفوا في حروبهم بسعة الحيلة وحسن الادارة الحربية طالما برزوا في ذلك القواد المدربين . وفي الدروز من مزايا الجنود المنظمة سرعة حشد قواتهم والعمل بدأ واحدة بدون ارتباك وهذه المزايا توارثها الخلف عن السلف(٣) . غير انها ازدادت ظهورا في دروز حوران لكثرة تعرضهم لغزو الغزاة ، واعتبارهم رد الغارات ، فكانوا اذا جاءتهم اشارة من موقع الخطر اندفع مقاتلتهم نحوه من مختلف الجهات فيوحدوا صفوفهم وتقابلوا جنبا الى جنب كأنهم رجل واحد وهم يفوقون الجنود المنظمة في سرعة حركاتهم ومرونة ترتيباتهم الحربية وفي صفة الاعتماد

---

(١) العطار : ١٧٤ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٢ ، رستم تاريخ ٩٢٥ ، بشير٢ : ١٣٤ ، قرألي فتوحات : ٥٨ ، ابو عز الدين نزوح ٣٠ : ٣١١ .

(٢) نوفل : ٤٨٣ ، اخبار الاعيان : ٤٩ ، رستم تاريخ : ٩٠٥ ، بشير٢ : ١٣٤ ، الريش : ٦٥٠ .

(٣) نوفل : ٤٨٣ ، اخبار الاعيان : ٤٩٠ ، الرافعي عصر : ٣٠٧ ، المعلوف حروب ابراهيم باشا مقتطف : ٦٧- ٣٢٤ ، ابو عز الدين ، حروب ابراهيم باشا المقتطف ٦٩ : ١٧٠ ، ونزوح دروز حوران المقتطف ٦٨ : ١٣٢ حتى تاريخ سوريه : ٢٦٨ .

على النفس الضعيفه في اولئك الجنود فهذه المزايا كانت تجعل لهم اليد العليـــا في الكر والفر وتجعلهم اقل تعرضا للخسائر الجسيمه والنكبات عند تكاثر جمـــوع الاعداء(١) .

ومن مزاياهم الصبر على الشدائد وتحمل المشقات لصحة ابدانهم وقـــوه ايمانهم وخشونه معيشتهم واعمالهم الجسيه واتقانهم استعمال الاسلحه المختلفه كالسيف والرمح والاسلحه الناريه وفي ذلك يقول احدهم مفتخرا :ـ

حنا بني معروف نحمي الجار ولو جـــار نهوى الزندقيتلك ما نداريـــه

سيوفنا الحدب تبرى كل زنــــار وسلا حنا ولو صدى بالدم نجليـــه

باروتي فنتنا ومزنرة بســـــوار حالفه رصاصها علا الارض ما ترميـــه(٢)

وفوق هذه المزايا قد استفادوا من موقع اللجاه المنيع . واللجاه بســر فسيح طوله عشرين ميلا وعرضه خمسه عشر ميلا وهو شديد الوعوره كثير المغاوره والكهوف يصعب على الجيش المهاجم الاحاطه به ويجد اكبر المشقات اذا حاول اختراقـه(٣) . فالدروز انتقلوا اليه بعيالهم حالما ظهرت بوادر العدوان بينهم وبين حكومـــة محمد علي ، واتحدوا مع العربان الذين يقطنون اللجاه فبلغ عدد مقاتلتهم جميعـــا نحو الفي رجل منهم نحو الف وستمايه رجل من الدروز (٤) . وهذا عدد يسيـــر بالنسبه الى الالوف المؤلفه التي اعتادت جنود ابراهيم باشا المنظمه مصادقتها والتغلب عليها . غير ان وعوره مسالك اللجاه وصعوبه الحرب فيها على غيرها وفيها ضاعفت قوه الدروز وحلفائهم وبالنسبه عنها اضعفت قوه الجيش الذي هاجمهم فيها .

---

(١) ابو عز الدين : ١٩٦ ، العطار تاريخ سوريه ،: ١٧٢ ، نوفل : ٤٨٤ ، رستم تاريخ : ٩٠٥ ، بشير ٢ : ١٣٥ .

(٢) ابو عز الدين : ١٩٧ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٢ ، نوفل : ٤٨٤ ، الرافعـــي عصر : ٣٠٨ ، قرألي : ٥٨ .

(٣) ابو عز الدين : ١٩٧ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٢ ، العطار : ١٧٤ ، رستم تاريخ : ٩٠٦ ، بشير ٢ : ١٣٥ .

(٤) مخطوطه مشاقه مشهد العيان : ٢٥٧ ، نوفل : ٤٨٥ ، رستم تاريخ : ٩٠٦ ، الرافعي عصر : ٣٠٨ .

والسبب الذي جعل حكومة محمد علي تشدد في أمر التجنيد في سوريه فهو ان الدوله العثمانين كانت تحشد جنودها على مقربه من حدود سوريه الشماليه بحجه مقاتله ثوار الاكراد فاستعدادا للطوارئ بادر محمد علي باعطاء الاوامر الى ابنه ابراهيم باشا بتعميم التجنيد فيها ، وبمقتضى ذلك النظام طلبت حكومة دمشق من دروز حوران مائه وسبعين (١) مجندا ، مع انها لم تكلفهم التجنيد في سنه ١٨٣٤ ، لشعورها بحاجتهم الى الرجال لدفع اعتداء العربان المحيطين (٢) بهم .

من كل جانب لان الدروز انفسهم كانوا يقدرون في بلادهم بما هو من واجب جنود الحكومه ورجاله شرطتها فيتولون حفظ الامن في الداخل والدفاع عن حوزتهم عند وقوع اعتداء من الخارج (٣) .

وحالتهم في سنه ١٨٣٧ ، لم تتغير عما كانت في سنه ١٨٣٤ ز فتجنيدهم وتكليفهم الخدمه في اماكن بعيده عن جبلهم بينما جيرانهم من عربان الباديه يسرحون ويمرحون لا مبرر له من جانب الحكومه لان عدم تجنيد مايه وسبعين رجلا ليس له تأثير محسوس في قوة الجيش(٤) .

فالذي يتبادر الى ذهن الباحث هو ان حكومة محمد علي اتخذت مسألة التجنيد ذريعه للتحرش بدروز حوران توصلا الى اغراض اكثر اهميه من الحصول على مايه وسبعين مجندا فجبل حوران واللجاه كانا في ذلك الزمن ملجأ لكل عائت (٥) من جور الحكام او ثائر على الحكومه ومعقلا يضم به الفارون من التجنيد والمتملصون

---

(١) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه ص: ١٢٠ ، وروى احدهم ان العدد كان : ٥٧٠ ، وروى اخر ان كان ١٨٠ مجله .

(٢) مخطوط ابراهيم باشا المصري والدروز في حوران ووادي اليتم تعليم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف رقم المخطوط: ٢ ، يوجد منه نسخه في مكتبة الجامعة الاردنيه ، ص ١ ، رستم بشير ٢ : ١٣٦ ، حنا راشد ، حوران الداميه : ١٤٧ ، المعلوف حروب ابراهيم المقتطف : ٦٧ : ٣٢٥ ، ابو عز الدين حروب ابرهيم المقتطف ، ٦٩ : ١٧١ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق : ٥١٣-٥١٥ ، مشاقة تاريخ مقتطف : ٣٠ : ٨٠٠ ، بولس لبنان : ٩٦ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٦٨ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٤ .

(٣) المعلوف ، مخطوط ابراهيم باشا المصري ص١ ، نوفل : ٤٨٥ ، اخبار الاعيان : ٥٩١ ، رستم تاريخ : ٩٠٦ .

(٤) رستم ، بشير ٢ : ١٣٦ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصري ابو عز الدين : ١٩٨ ، رستم تاريخ : ٩٠٦ .

(٥) مخطوطه مشاقه : ٢٥٧ ، ابوسمراغانم : ٤٥٢ ، نوفل : ٤٨٦ ، اخبار الاعيان : ٥٩١ الرافعي عصر : ٣٠٨ .

من حمل الضرائب الثقيل حتى ان قرى عديده في جبل الكرمل خربت(١) في ذلك الوقت وانتقل اهلها الى جبل حوران لتنجوا من الضرائب الثقيله وشده وطأة التجنيد وفي ذلك خساره جسيمه على الحكومه في المال والرجال . فلذلك رأت الحكومة ان تدويخ دروز حوران يثبت قدمها في جبلهم وفي اللجاه ويمكنها من ايقاف تيار اللاجئين اليهما ومن فرض التكاليف العسكريه والماليه عليهم وتمهيد السبيل لبسط سلطتها على ما وراءهم من العربان .

وكانت تظن خطأ ان دروز حوران القليلي العدد لا يستطيعون مقارنتها لتفرقهم في قرى مختلفه وان روابط الولاء والاخلاص بين مشايخهم وفلاحيهم كادت تكون مفقوده وانهم عزل من سلاح ولا خبره لهم الا باستعمال المحراث والمنساس (٢) .

وعلى كل حال لم يكن لها ريب في نجاح تدابيرها لاخضاعهم لان جيشها كان على قدم الاستعداد وفيه الجنود المجربه والقواد المحنكون الذين تعودوا على القتال ، زد على ذلك انهم كانوا يفوقون الدروز عددا ويتمايزون عليهم بجوده السلاح ووفره الذخيره . اما مواطن الضعف في ذلك الجيش فكانت استصغاره شأن الدروز وعدم تقدير عواطفهم القوميه ومزاياهم الحربيه تقديرا صحيحا . كما ان قواد الجيش وجنودهم لم يتادوا الحرب في الاماكن الوعره كاللجاه التي كانوا يجهلون مسالكها فوعوره مسالك اللجاه اضعفت الجيش اهم مزاياه وهي قوه النظام وكثره العدد لانها اضطرت الجنود الى التفرق فلم يستطيعوا العمل مجتمعين وزال الاتصال الوثيق بينهم وبين قوادهم فسهل على عدوهم الفتك بافرادهم وجماعاتهم الصغيره وانزل النكبات بمجموعهم . هذا اضافه الى شتان ما بين مدافع عن وطن بالمهج الغاليه وبين مهاجم مأجور لا يندفع الى الامام الا بقوه النظام(٣) .

---

(١) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه ص١٢١ ، نوفل : ٤٨٦ ، المطار : ١٧٤ ، رستم تاريخ : ٩٠٦ ، الريش : ٦٥٠ .

(٢) مخطوط مشاقه ص: ٢٥٧ ، ابوسمراغانم : ٤٥٣ ، اخبار الاعيان : ٥٩٢ ، قرألي : ٨٥

(٣) ابو عز الدين : ١٩٩-٢٠٠ ، نوفل : ٤٨٧ ، اخبار الاعيان : ٥٩٢ ، الرافعي عصر : ٣٠٨ ، الريش : ٦٥٠ ، حنا راشد ، حوران الداميه : ١٤٩ ، المعلوف حروب ابراهيم باشا المقتطف : ٦٧ : ٣٥ ، الدمشقي تاريخ المشرق : ١٥ : ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣ : ٨٠١ ، بولس لبنان : ٩٨ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٢٥ .

جرت المفاوضه في امر تجنيد دروز حوران مابين شريف باشا (حكمدار الشام) والشيخ يحيى الحمدان شيخ مشايخ دروز حوران الذي حضر الى دمشق مع بعض اعيان بلاده . ونقل محمد شريف باشا الى الشيخ يحيى الحمدان رغبة محمد علي . فتعذر شيخ المشايخ واسترحم وتعهد ان يقدم حاصل مئتي فدان بدل التجنيد (١) . وحاول الشيخ اقناع شريف باشا بأن يعدل عن تجنيدهم لان لهم موقفا خاصا يختلف عن موقف غيرهم من السوريين . فهم مقيمون في صدر الباديه ومكلفون بحفظ الامن في بلادهم والمحافظه على ارواحهم واموالهم بقوه سلاحهم بينما تقوم الحكومه بذلك في سائر انحاء سوريه السارى عليها نظام التجنيد (٢) .

ولكن الشيخ طلب قبول عذره مره ثانيه . فغضب شريف باشا وكان حاد الطبع سريع الانفعال فصفع ضيفه على وجهه بحضور اعضاء مجلس دمشق . فنزل الشيخ بين يديه وسلم بالامر واقفل عائدا الى حوران لتنفيذ الامر العالي . ودعا الناس اليه واخبرهم بما جرى (٣) .

واثر هذا الاجتماع استقر الرأى فيه على رفض طلب شريف باشا والى جبل الى اللجاه واتفقوا مع السلوط المقيمين فيها على المقادمه وانضم اليهم عرب الشمال (٤) ثم اخذوا يغيرون على بعض القرى المجاوره التي تخص شريف باشا وبحري بك في حوران فقتلوا وكلاءها ونهبوا ما فيها (٥) .

فوجه شريف باشا عليهم الحكمدار علي اغا البوصيلي الهوارى باشي بثلاث مئه فارس ليقتص من الدروز . فانقض هؤلاء على هذه القوه ليلا واعملوا السيف في رقاب رجالها فقتلوا معظمها وفر قائدها علي اغا البوصيلي الى دمشق يخبر بما رأى (٦) .

---

(١) رستم بشير٢ : ١٣٦ ، المحفوظات ج ٣ ، ص: ٣٠٤ ، نوفل كشف اللثام: ٤٨٧ ، رستم تاريخ : ٩٠٦ .

(٢) ابو عز الدين : ٢٠٠ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٢ ، نوفل ٤٨٧ ، اخبار الاعيان : ٥٩١ ، قرألي فتوحات: ٥٩ .

(٣) المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصرى ص: ١ ، رستم بشير٢ : ١٣٦ ، اخبار الاعيان : ٥٩٩ ، الدبس : ٦٥٠ .

(٤) ابو عز الدين نقلاعن مذكرات تاريخيه : ١٢١ ، ومخطوطه مشاقه: ٢٥٧ ، رستم بشير ٢ : ١٣٦ ، تاريخ ٩٠٦ .

(٥) ابو عز الدين عن مذكرات تاريخيه المعلوف مخطوط ابراهيم باشا ص: ٢ القطان: ١٧٥

(٦) المصدر نفسه : ١٢١ ، ومخطوط مشاقه : ٢٥٨ ، رستم بشير٢: ١٣٦ ، الدبس: ٦٥٠ .

وعندئذ اشار كبير شيوخ العقل الشيخ ابو حسين ابراهيم الهجري بوجوب قيام الجميع الى اللجاه والاعتصام بها الى أن ينتهي عهد المصريين في البلاد وأكد ان ذلك لن يكون طويلا ولعله كان على صله بزعماء المعارضه من دروز لبنان ، فقام الدروز بعد ذلك الى اللجاه بعيالهم وارزاقهم ، وشدّ ازر شيخ المشايخ يحيى الحمدان ، وقال قوله جميع الزعماء منهم الشيخ فندى عامر والشيخ ابراهيم الاطرش ، والشيخ ابو حسين درويش(1) ،

غضب شريف باشا غضبا شديدا وهب يعاقب الدروز فانفذ حمله اليهم بقياده محمد باشا مفتش الجيش بمبلغ عدد رجالها سته الاف . وقام هذا الباشا من دمشق في اوائل سنه ١٨٣٨ فعارضه الدروز في بصرى الحرير ومنعوا عنه المسير فضربهم بالمدافع وضرب بلدتهم فتشتتوا (٢) .

وجدّ في اثرهم حتى حدود اللجاه فعسكر في قريه الماهره حول مياهها ثم قام منها الى سوميط فضرب الدروز فيها واجلاهم عنها وذلك في منتصف كانون الثاني . وما ان بدأ جنده بالنهب والسلب حتى عاد الدروز ففتكوا بهم فتكا ذريعا وقتلوا محمد باشا قائد الحمله وايوب بك الامير الاى ، وبكباشيين فانضم الى الدروز من انفار الحمله حوالي ثمان مئه نفر من دروز لبنان وشبان نابلس(٣) . وكتب ابراهيم باشا الى والده من حلب يقول ان الاسباب التي ادت الى فشل هذه الحمله تنحصر في " بلاهه الباشا واندفاع ايوب بك وتمسكه بالكرامه والشرف(٤) . واستولى الدروز في هذه الموقعه على مقادير كبيره من الميره والذخيره والسلاح (٥) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٣٦ ، نوفل : ٤٨٧ ، اخبار الاعيان : ٥٩٩ ، الرافعي عصر ٩ ٣٠ ، الدبش: ٦٥٠ .

(٢) ابوعز الدين عن مذكرات تاريخيه ١٢١-١٢٢ ، اخبار الاعيان : ٥٩٣ ، راشد ، حوران ١٥١ ، ابو عز الدين حروب ابراهيم باشا ، ٦٩ + ٢٢٧-٢٣١ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق ١٥ : ٥٢٣ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٦٩ .

(٣) ابو عز الدين عن مذكرات تاريخيه ص: ١٢٣ ، مخطوط مشاقه : ٢٥٧ ، ابوسمرا غانم ٢ ص٤ ، اخبار الاعيان : ٥٩٤ .

(٤) رستم بشير ٢ : ١٣٧ ، المحفوظات ج ٣ : ٣١٣-٣١٥ ، ابو عزالدين : ٢٠٣ ، نوفل ٤٨٨ ، رستم تاريخ : ٩٠٧ .

(٥) ابو عز الدين : ٢٠٣ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصري : ص٣ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ ، الرافعي عصر : ٣٠٩ .

(٦) المعلوف ص٣ ، ابوعزالدين : ٢٠٤ ، رستم بشير ٢: ١٣٧ ، نوفل : ٤٨٨ ، اخبار الاعيان: ٥٩٥ .

وعزز السر عسكر قوه محمد شريف باشا فامر بقيام الالا ى المشاه الفارديا الثاني من حماه الى حوران والالا ى المشاه الرابع عشر من انطاكيه الى المنطقه الثائره وقام هو بنفسه على رأس الالا ى المشاه الرابع من حلب الى حمص وكان ذلك في الحادي والعشرين من كانون الثاني سنه ١٨٣٨ (١) . وفي التاسع من شباط وصل احمد منكلي باشا وكيل الجهاديه على جناح السرعه من مصر الى دمشق فأثر الالتحاق بالجيش المحارب على المثول بين يدي السر عسكر في حمص . وفي العاشر من الشهر نفسه قام الالاى المشاه الفارديا الثاني والالا ى المشاه الرابع من دمشق الى حوران وتبعهما احمد باشا في اليوم التالي . وبقي السر عسكر في حمص لاسباب صحيه . وأوفد اللواء ولي بك الى حوران ليدرس الموقف مع كبار الضباط فيها ويشترك في وضع خطه الهجوم (٢) .

ويقول واضع المذكرات التاريخيه ولعله عبد الله نوفل احد الكتبه بمعيه محمد شريف باشا انه لما بلغ الحكمدار ما حل بمحمد باشا وحملته ركب حالا بنفسه وتوجه الى حوران يلم فلول الجيش وينتظر المعونه في قريه تبنه بالقرب من اللجاه (٣) . فلما تم له ذلك قام مع احمد منكلي باشا بعشرين الف مقاتل ودخل اللجاه وتوغل فيها مسافه يوم كامل ، ولم ير احد وانه قام في اليوم الثاني ، وتابع زحفه حتى الساعه الثالثه من النهار فاحاط به الدروز من كل جانب واصلوه نارا حاميه من وراء الصخور فتساقطت عساكره وجرح احمد باشا ثلاثه جروح و " تقنطر " الحكمدار وكاد يهلك لولا معونه على اغا البوصيلي (٤) . وقتل واسر من الجيش اربعة الاف وفقد الدروز ثلاث مئه من الفين وغنموا مالا وذخيره وعتادا .

---

(١) المعلوف ، ص : ٤ ، ابوعز الدين : ٢٠٤ ، رستم بشير ٢ : ١٣٧ ، نوفل : ٤٨٨ ، اخبار الاعيان : ٥٩٥ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٣٧ ، مخطوطه مشاقه : ٢٥٧ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصري ص٤ ، العطار : ١٧٤ .

(٣) ابو عز الدين نقلا عن المذكرات التاريخيه : ١٢٣ - ١٢٥ ، المعلوف ص٣ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ ، رستم تاريخ : ٩٠٧ .

(٤) ابو عز الدين عن المذكرات التاريخيه ، ص: ١٢٥ ، رستم بشير ٢ : ١٣٨ ، نوفل : ٤٨٨ ، اخبار الاعيان : ٥٩٦ ، الرافعي عصر : ٣٠٩ ، راشد ، حوران : ١٥٢ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٨٠١ ، حتي تاريخ سوريه : ٢٦٩ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٦ .

فكتب الحمدار الى محمد علي في التاسع عشر من شهر شباط يصف ما حصل بالالاى المشاه الرابع فيفيد انه بعد أن حارب افراده الثوار طيله نهار وليل من وراء المتاريس تكاثر عليهم الثوار والعربان فاضطروا ان يفروا وتوفي اكثرهم ثم ينقل ما افاد به خليل اغا اليوزباشي في الرابع الالاى الرابع عشر فيقول انه وقع في بؤره مجربه مع مئه نفر وان اللواء رجب بك سقط فيها ايضا ، وان العرب احاطوا بالبؤره المذكور ولكنه فرّ منها ونجا بنفسه وان فهم من اقوال الاغا المذكور ان رجب بك توفي (١) . ومن اقوال شاكر افندى البكباشي المدفعي ان طيفور بك وقع في ايدى العرب(٢) .

ورفع الحكمدار ومحمد شريف باشا في الوقت نفسه البيانات التي اعدها البكوات بعدد القتلى والجرحى وافادان الالايات المنكسره لا تزال تصل الى دمشق يوما بعد يوم . ويستدل من هذه البيانات ان الالاى المشاه الثاني فقد في الرابع عشر من شباط مئه واثنين لا يعرف مصيرهم وسته مجروحين وتسعه متوفين وان الالاى المشاه الفارديا الثاني . فقد ما بين الرابع عشر والتاسع عشر من الشهر نفسه مئتين واثنين وخمسين جريحا ومئه وتسعه عشر متوفين وسبع مئه وخمسه ضاعوا ابان المحاربه وان الالاى المشاه الرابع عشر فر مئه وثمانيه من الجرحى ومئه وواحد وستين ضاعوا ابان المحاربه وان الالايا اخر فقد الفا وخمسمئه وثلاثه وستين من مجموع قدره الفان ومئه وثمانون (٣) .

ويستدل من الكشف الذى اعده قائد الالاى المشاه الفارديا الاول انه فقد هذه الموقعه نفسها الفا وثلاثه عشر نفرا ورتبيا وان الالاى المشاه الثامن عشر فقد بين قتيل وجريح وضائع سبع مئه وعشرين . فيصبح مجموع الجرحى والقتلى والضائعين في هذه الموقعه وبموجب هذه البيانات الرسميه اربعة الاف وسبع مئه وثمانيه وخمسين (٤) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٣٨ ، المعلوف ابراهيم باشا المصرى ص: ٣ ، مخطوطه مشاقه : ٢٥٨ ، اخبار الاعيان : ٥٩٥ .

(٢) ابو عز الدين : ٢٠٤ ، المعلوف مخطوطه ابراهيم باشا : ص: ٣ ، ونوفل مخطوط كشف اللثام : ٤٨٦ ، رستم تاريخ : ٩٠٧ .

(٣) رستم بشير ٢ : ١٣٨ ، ابو عز الدين : ٢٠٥ ، ابو سمراغانم : ٤٥٣ ، العطار ، ١٧٥ ، رستم تاريخ : ٩٠٧ .

(٤) رستم بشير ٢ : ١٣٨ ، مخطوطه مشاقه : ٢٥٩ ، نوفل : ٤٨٦ ، اخبار الاعيان : ٥٦٦ ، الرافعي عصر : ٣٠٩ .

ثم اجمل القول ابراهيم باشا فأفاد ان الموقعه جرت بالقرب من راســه في قلب اللجاه في منتصف شهر شباط من سنه ١٨٣٨ وان الاي الفارد يا الاول ، والاي الفارد يا الثاني ، والاي المشاه والرابع ، الاي المشاه الرابع عشــر ، والاي المشاه الثامن عشر ، اشتركوا فيها وأن هذه الالايات لم تقو على الدروز ، فاختل نظامها وجرح قائدها احمد باشا المنكلي فاضطررت ان تعود الى قريــه تنبه(١) .

أما محمد شريف باشا الحكمدار فانه بعد ان يشيد الى انهزام الجيــش مرتين أمام صخور اللجاه وتوعك صحه السر عسكر وتوقع الحركات العدائيه من قبــل الباب العالي تفيد انه يسعى لحل مشكله الدروز حلا سلميا كأن يؤخذ منهــم عدد معين من الجنود ويطلب اليهم تسليم الذخيره التي استولوا عليها فيؤمنــوا عندئذ على ارواحهم ومتاعهم وتنتظر السلطه حلول فصل الضيف وجفاف برك المــاء في اللجاه قبل ان يضربهم ضربه قاضيه تنفذ بها اراده الجناب العالي (محمــد علي) . ويستدل من مضمون الرساله ان الرعب كان قد دب الى قلوب العساكــر وان الحكمدار خشي ان يخسر عددا لا يستهان به من ضباط الجيش ان هو اقــدم على متابعة الحرب(٢) .

واشتدت عزائم الدروز فترفعوا وتكبدوا وكتب زعيمهم الشيخ يحيى الحمدان الى ابي السعود افندي المرادي نجل مفتي الحنفيه في دمشق الشيخ حسين افندي المرادي والي شمدين اغا وعمر اغا البوزلي وغيرهم يقول : " بخصوص العساكــر الذين فاتوا علينا في حياتكم البركه وما بقي منهم الا القليل واخذنا المدافــع

---

(١) رستم بشير٢ : ١٣٩ ، ابو عز الدين : ٢٠٥ ، مخطوطه مشاقه : ٢٥٩ ، رستم تاريخ : ٩٠٧ ، ارشد حوران : ١٥٣ .

(٢) رستم بشير٢ : ١٣٩ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا ، ص: ٤ ، نوفل : ٤٨٤ ، اخبار الاعيان : ٥٩٦ ، الرافعي عصر : ٣٠٩ ، قرألي ، فتوحات : ٥٩ ، الدبس: ٦٥٠ ، ابو عز الدين حروب ابراهيم باشا المقتطف ، ٦٩ : ٣٣٣ ، المعلوف : حروب ابراهيم باشا المقتطف ، ٦٩ : ٣٢٧ ، الدمشقي تاريخ حوران المشــرق ١٥ : ٥٣٣ .

والخناجر والذخيره كلها . فاذا حسن عندكم شيء نشد ظهركم ونقوي قلوبكم . وقد فعلنا ما لم يفعله احد قبلنا لا اكبر ولا اصغر . ونحن لا ننتظر فزعه احد ولكننا نحمد الله الذي جعلنا اصحاب الجلاله ، ولنا موسى ونضرب بسيف الله والسلطان وغيرنا ماتت المروءه منه (١) ".

واخذت احاديث الفتن والفساد تترى بين اهالي دمشق وبدأت علائم الفتن تبدو في قراها وعهد بعض الاشقياء من اهالي قريتي نيطا والحلوه وهما من قرى دمشق الدرزيه الى قطع طريق بيروت دمشق ، وتغلغل عدد كبير من فرسان الدروز الى قرى الغوطه واخذوا يحضون القرويين على الهجوم على دمشق لاطلاق سراح المجندين من ابنائهم الموجودين في ثكنات المدينه قائلين : " لنركب جميعا ونسير للاستيلاء على دمشق وانقاذ اولادكم (٢) ". فازداد خوف الحكمدار وكتب السرعسكر ابراهيم باشا . يقول : " ان انهاء عصيان هؤلاء الاشقياء لمن اقدس الواجبات ولا بدّ والحاله هذه من ايجاد عساكر تألف القتال بين الصخور . وبما ان عساكر السكبان (الاليان) غير موجوده الان في بر الشام فاني ارى ان يتم انتقاء سبعة او ثمانيه الاف رجل من نصارى جبل الدروز وان يسلحوا بالبنادق من عكه ويزحفوا بقيادة الامير خليل الشهابي الى مناطق الثوره لاخمادها (٣) ".

ورأى ابراهيم باشا رأيين في أمر التنكيل بالدروز فاما ان يرجئ الزحف عليهم حتى موسم الصيف حين تجف المياه في مناطقهم الصخريه او ان يستفاد مما عليه الجو من اعتدال فتستدعي الالايات المرابطه في بر الشام وتعين لها اماكن نزولها وتراقب حركات الاتراك حتى اذا ما تبين انه ليس ثمه تدابير ينوي الاتراك

---

(١) رستم المحفوظات ج ٣ ، ص : ٣٣٤—٣٣٦ ، ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه : ١٢٥—١٢٦ ، نوفل : ٤٨٩ ، رستم تاريخ : ٩٠٧ .

(٢) رستم المحفوظات : ج ٣ : ٣٣٧—٣٣٩ ، مخطوط مشاقه : ٢٧٩ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصري ، ص : ٥ ، اخبار الاعيان : ٥٩٦ ، العطار : ١٧٥ .

(٣) المحفوظات : ج ٣ : ٣٣٩—٣٤٠ ، ابو عز الدين : ٢٠٧—٢٠٨ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصري : ص : ٥ ، نوفل : ٤٨٩ ، قرألي فتوحات : ٦٠

القيام بها يزحف هو بنفسه على الاشقياء بثلاثه الايات من الالايات الموجوده لديه في حلب ونواحيها فيعمل على سيوف الجناب العالي اللامعه في رقاب الاشقياء على نحو ما تشتهيه (١) . ثم عاد فكتب في الرابع من آذار يوجب ابقاء الالايات الاربعه في حلب استعدادا للطوارئ ويرجو ارسال الالاي الغارديا الثالث من مصر الى بر الشام وانزال الاورطه الرابعه منه المؤلفه من الدروز في السويديه واورط الثلاث الاخرى المؤلفه من الحلبيين والانطاكيين والدمشقيين في عكه وبيروت كي يقوموا منها الى الشام كما انه يطلب ارسال الالاى المشاه الثالث عشر الى بر الشام (٢) .

ولدى اطلاع محمد علي على اراء الحكمدار (محمد شريف باشا) والسر عسكر (ابراهيم باشا) امر بالاسراع في قمع الثوره لئلا يؤدي استمرارها الى استفزاز الاتراك . واذا كان ذلك غير ممكن فليعاد الى الطريقه التي اشار بها محمد شريف باشا لتهدئة الخواطر . وكتب في السابع من آذار الى سليمان باشا الفرنساوي الذى كان قد تولى قياده منطقه حوران ينبئه باستعداده لارسال الالاى التاسع من مصر الى بر الشام وبارسال ثلاثمئه من الاغاوات ذوى اللحى وبأنه اصدر أمره الى مصطفى باشا محافظ كريت ليقوم بالتجنيد العام في الجزيره ويتوجه بالعساكر المجنده الى بر الشام على ان يتولى قيادة العساكر غير النظاميه واضاف ان مصطفى قائد باسل يحسن الحرب في الجبال (٣) .

وقارب فصل الشتاء نهايته وخشي دروز حوران جفاف الصيف ففزعوا الى اخوانهم في اقليم البلان ووادى التيم وهب هؤلاء لمعونتهم فسلبوا خياليين من خيولهما وسلاحهما بالقرب من قريتي عنقيتا وشويا ونهبوا فى سبع عشرين حمل جبخانه واشتبكوا في بيت جن مع عساكر الامير مجيد حفيد الشهابي الكبير

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٤٠ ، مخطوط مشاقه : ٢٦٠ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصرى ، ص : ٦ ، رستم تاريخ : ٩٠٧ ، راشد حوران : ١٥٤ .

(٢) ابو عز الدين : ٢٠٨ ، رستم بشير ٢ : ١٤٠ ، مخطوطه مشاقه : ٢٦٠ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ ، نوفل : ٤٨٩ ، اخبار الاعيان : ٥٩٧ ، قرأ لي فتوحات : ٦١ ، ابو عز الدين حروب ابراهيم باشا المقتطف ، ٦٩ : ٤٥٢ ، المعلوف : حروب ابراهيم باشا المقتطف ، ٦٧ : ٣٧٥ — ٣٨٠ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٨٠١ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٧٠ .

وفي المساء تفرقوا وازداد عددهم حتى بلغوا اربع مئه خيال والفا من المشاه " فأمر ابراهيم باشا احمد بك امير لواء المدرعين ان يزحف على اقليم البلان وواد ي التيم بالاي المشاه السادس وعساكر السكبان الذين حضروا من ادنه . ثم علم ابراهيم باشا بوصول مصطفى باشا من كريت الى بيروت فأمر بالاتصال بحفيد الشهابي الكبير وبالتوجه على حاصبيا وراشيا في طريقه الى دمشق " لتأديب الثوار فيها (١) ".

وفي الرابع من نيسان زحف احمد بك المشار اليه بالاي المشاه السادس وعساكر السكبان بطريق سمسع الى قريه وربك فوقا فواقع الدروز فيها وتغلب عليهم وكان عددهم يزيد على السبع مئه والخمسين . فقشط منهم جمع غفير وخسر احمد ثلاثه عشر قتيلا وخمسه وستين جريحا (٢) .

وكان شبلي اغا العريان قد خرج من اللجاه على رأس مئتي فارس واتخذ له من قريه جبل شمس مقرا له فقام احمد بك بقوته اليه واضطره ان يخرج منها ويتجه نحو حاصبيا . ولدى وصول العريان الى وادي التيم قصد بلدة راشيا عند الفجر ودخل دار الحكومه فيها وولى ابن الجعفري متسلمها ثم أخذ يتجول بين القرى يهيج اهلها فقاموا معه ووافتي حتى اصبح عدد رجاله اربعة الاف .

فأرسل ابراهيم باشا الفا لقتاله ومئه من المدفعيين وبعض المدافع وتصدى لهم العريان فكسرهم فاتجهوا نحو راشيا واعتصموا بقلعتها فحاصرهم الدروز من كل صوب . ووصل المدفعيون فاتخذوا المدافعهم مراكز في الوعر العالي وحاصروا البلده فصبروا الدروز على هؤلاء حتى الليل ثم افلتوا عليهم ثمانين ثورا فظن المدفعيون انهم دروزا والتهوا بهم وما ان فعلوا حتى ادركهم الدروز من الوراء فقتلوا معظمهم واسروا الباقي (٣) .

---

(١) رستم المحفوظات ج ٢ : ٢٧٦-٢٧٨ ، المعلوف مخطوطه ابراهيم باشا المصرى ص : ٦ ، العطار .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٤١ ، مخطوط مشاقه : ٢٦١ ، ابو سمراغانم : ٤٥٣ ، اخبار الاعيان : ٥٩٧ ، راشد حوران : ١٥٨ .

(٣) رستم بشير ٢ : ١٤١ ، مخطوط مشاقه : ٢٦١ ، نوفل كشف اللثام : ٤٨٩ ، رستم تاريخ : ٩٠٨ ، الرافعي عصر : ٣٠٦ ، الدمشقي تاريخ حوران ١٥ : ٥٣٥-٥٣٧ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٨ - ٢٤٠ .

ثم شدوا الحصار على القلمه ومنعوا عنها كل وارد فجاع المصريون فيهـا وبعد ان أكلوا خيولهم اندفعوا منها الى الخارج تحت ستار الليل وعروا الـى البقاع فلحق بهم الدروز وما فتئوا حتى ادركوهم في قريه بر الياس بالقرب من شتوره فذبحوا منهم جانبا وساقوا الباقي الى قريه المحيدثه وذبحوهم فيها (١) . وثار ثائر الدروز في الشوف فتناس ناصر الدين العماد ماضي وجاء الى الشهابي الكبير يلتمس صفو الخاطر ويعرض نفسه للخدمه فطيب الامير قلبه وامر له بصله فقبضها وسار الى المربان . وتبعه دروز كثيرون فذهبوا الى المربان جهارا والشهابي الكبير لا يتعرض لهم (٢) . ولا غرو بعد ان صدر عن العزيز وابنه ما صدر اذ تساوى في نظرهما عام ١٨٣٥ ، الصديق والخصم .

واضطر ابراهيم باشا على الرغم من انفه ان يعمل بمشوره محمد شريف باشا فيطلب المعونه من لبنان مره اخرى فكتب الى الشهابي الكبير ان يجمع اربعه الاف ، مقاتل من نصارى لبنان ولا "ان يسلمهم اسلحه مؤبده لهم ولذريتهم" ويوجههم حميه ولده الامير خليل الى وادى التميم لقتال الدروز (٣) .

فوقع الشهابي الكبير في حيره من أمره ولكنه عاد فاهتدى فأوصى خليلا بالطاعه ووضع تحت تصرف ابراهيم باشا خبيرا في شؤون وادى التيم الشيخ جرجس الدبس يرشد ابراهيم باشا احيانا ويضله احيانا ثم ينقل اخباره احيانا اخرى الى القياده الدرزيه (٤) .

وجدّ ابراهيم باشا السير مسرعا الى وادى التيم فبلغه ما حلّ بعسكره فعاد الى دمشق وجهز جمله جديده فأرسل قسما منها بطريق بانياس فالاقليم وقام هو بالباقي الى سهل عيجا . فأتته الدروز وتحصنوا قبالته في حرج هناك وأنشب بينه وبينهم فلم يفز منهم بطايل .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٤٢ ، ابوعزالدين : نقلا عن مذكرات تاريخيه : ١٣٩-١٤١ ، المعلوف مخطوطه ابراهيم باشا المصرى ص٦ ، نوفل : ٤١٠ .

(٢) اخبار الاعيان لطنوس الشدياق : ٥٨٥ ، مخطوط مشاقه : ٢٦٢ ، ابوسمرا غانم : ٢٥٠ ، العطار : ١٧٦ .

(٣) رستم بشير ٢ : ١٤٢ ، اخبار الاعيان : ٥٨٥ ، مخطوط المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصرى ص٦ ، فرحات مختصر تاريخ ٢٤٢ .

(٤) اخبار الاعيان : ٥٩٥ ، مخطوط مشاقه : ٢٦٢ ، نوفل مخطوط كشف اللثام : ٤٩٠ ، الرافعي عصر : ٣٠٩ .

وبلغ الدروز ذات يوم انه قادم من دمشق الى عيحا علايق فأرسل الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد ثلاث مئه رجل لاخذها فلما وصلوا الى وادي ممسى وجدوا العلايف قادمه فتسلموها جبرا . وكان مصطفى باشا الكريتي قد وصل الى بيروت برجاله وقام منها الى دمشق وذهب الى وادي التيم لمعونه ابراهيم باشا فاصطدم بهذه الشرذمه الدرزيه واشتعلت نار الحرب بينه وبينهم فلما بلغ الشيخين المشار اليهما ذلك انطلقا اليهم بسبع مئه وخمسين مقاتلا . ولما اقبلوا على الارناؤوط شبوا عليهم نيران الوغى . وبلغ ابراهيم باشا ذلك فحمل على الدروز بشطر من عسكره من ورائهم . ولما اشتد الحرب على الدروز انسروا الى وادي بكّا واذا بابراهيم باشا هاجما عليهم نارا دائمه واطبقت العساكر من كل جانب . فانحاز الشيخ حسن جنبلاط الى قلعه صخريه تطل على الوادي ، ولجأ الشيخ ناصر الدين الى قلعه مماثله في اسفل الوادي ،وأحدقت بهم العساكر وحملت عليهم فصرعهما .

ولما نفذ الرصاص والبارود من جماعه الشيخ ناصر الدين صاح بهم ان اهجموا على القوم بالجوارح ففعلوا " فما كنت ترى الا دماء مهرأقه واشخاصا ممزقه ورؤوسا طائره واعضاء متناثره" .

ولما رأى الوزيران عسكرهما اوشك ان يولي الادبار امرا بهجوم متاكس متماثل فاستل الشيخ ناصر الدين سيفه يفرى به من يصل اليه حتى قتل خلقا كثيرا من حواليه . ثم قتل ولم ينجح من اصحابه سوى خمسين نفرا . وأما الشيخ حسن فانه أيقن ان لا نجاه له ولقومه الا بالهرب فـرّ بمن نجا منهم الى شبعا (١) .

وكان شبلي اغا العريان قد انتقل بجماعته الى جنعم على سطح جبل الشيخ فأراد ابراهيم باشا ان يحدق بهم من جهات ثلاث وطلب الى الشيخ جرجس الدبس ان يسنل خطته هذه الى العساكر المحتشده في بانياس كي تشترك في الهجوم فقام الشيخ جرجس الى بانياس فانكسروا ناكصين على اعقابهم مذعورين وما فتئوا حتى وصلوا الى نقطه انطلاقهم . ورد الدروز ايضا الامير خليلا وجنوده مذعورين مشتتين وقتلوا منهم الشيخ فضل الخازن وسبعة عشر رجلا آخرين ولكنهم لم يقوا على ابراهيم باشا وجنوده في قربه شبعا فتراجعوا امامه مغلوبين

---

(١) اخبار الاعيان : ٥٨٥ — ٥٨٧ ، رستم بشير٢ : ١٤٣ ، ابو عز الدين : ٢٠٩ - ٢١٠ ، العطار ١٧٦ ، حنا راشد حوران : ١٦٦ .

على امرهم ودخل ابراهيم باشا هذه القريه منتصرا وامر الشيخ جرجس ان يبلغ الدروز في جثعم وجوب تقديم السلاح . وما ان هم جرجس المسير حتى شاهد اثنين من عساكر الارناؤوط ممسكين بامرأة درزيه لارتكاب الفحشاء فأخبر الباشا بما رأى فطلب هذا الى "البورجي" ان يردهما عنها ثم يمتثلا وعندئذ "ساق السرعسكر بغلته" واتجه نحوهما وما ان وصل اليهما حتى قتلهما بيده . وتابع جرجس سيره فبلغ جثعم واخبر الدروز بما امر به ابراهيم باشا فامتثل اكثرهم ولكن العريان ابى وفر بمئة فارس الى حوران (١) .

وفي اليوم التالي قام وفد من دروز جثعم الى شبعا فمثلوا بين يدي ابراهيم باشا وقدموا الطاعه اليه واربعمئه بندقيه وطلبوا العفو منه فاجابهم الى سؤالهم وأمرهم بالعوده الى اوطانهم وقام هو بعسكره الى قطنه بالقرب من دمشق وامر جرجس بالبقاء في راشيا لادلاء النصح للعريان بوجوب التسليم . وعاد العريان من حوران بغية التسليم عن يد الشهابي الكبير . ولدى وصوله الى صبغين غربي البقاع ارسل مندوبا عنه الى عنه الى بيتدين فطلب الى الامير اللبناني ان يسلم عن يده فرفض الامير لانه لم يضمن له النجاح . فأقبل جرجس على العريان في ... ين وضمن له ما تمنى واخذه الى قطنه فتقبل ابراهيم باشا استسلامه وعينه رئيسا على خمسمئه خيال غير نظامي (٢) .

وفي صباح اليوم التالي دخل ياور السرعسكر على جرجس ينقل اليه امر سيده بالمثول امامه بين يديه . ففعل وما ان مثل بين يديه حتى قال له السرعسكر لقد جئتنا بذنب الحيه وابقيت رأسها . فاذهب الان الى حوران واتصل بالدروز في اللجاه وبلغهم العفو واخرجهم من معاقلهم واذهب بهم الى شريف باشا ليقدموا الطاعه اليه . وسلمه السرعسكر امرا مقتضيا الى الحكمدار يقول فيه : " شريف باشا !!

---

(١) اخبار الاعيان : ٥٩٧ ، رستم بشير ٢ : ١٤٤ ، مخطوطه مشاقه : ٢٦٢ ، نوفل : ٤٩٠ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٤٤ ، ابو عز الدين : ٢١١ ، مخطوطه مشاقه : ٢٦٣ ، المعلوف مخطوطه ابراهيم باشا ص ٧ ، نوفل : ٤٩٠ ، قرألي فتوحات : ٦٢ ، الدمشقي تاريخ حوان المشرق ١٥ : ٥٥٦-٥٥٨ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٨٠٢ . حتى تاريخ سوريه : ٢٧٠ .

واصل جرجس الـبس زي مـــــا يأمركم به افعلوه ! الامضاء : ابراهيم" فقام جرجس من قطنه الى حوران يرافقه الشيخ حسن البيطار احد اعيان الدروز في راشيـــا ، وذهب الى المعسكر المصري في قرية عاهره وطلب مقابله الحكمدار فأذن له بالدخول فوجد الحكمدار بمجلس عسكري يحيط به كبار الضباط والى جانبه المعلم ابراهيم دانوس كاتبه الخاص ولم يكترث الباشا به لخشونة مظهره . فقدم جرجس رساله السرعسكـــر وارفقها بأمر العفو عن الدروز . فانتصب الباشا قائما واكرم جرجس وقال " خلصنـــي من هذا العذاب لاني أصبحت كالاسير (١) " .

ثم دخل جرجس ورفيقه اللجاه وقصد الشيخ يحيى الحمدان فوصل اليـــه في نصف الليل فرحب به واثنى عليه ذاكرا خدماته لابناء وطنه الدروز فقص جرجـــس قصته على شيخ المشايخ وذكر له ما أبداه السرعسكر من اللطف دروز وادي التيـــم بعد ان قدموا سلاحهم ثم نصح اليه ان يقتدي بهم وان يقوم وفد من دروز اللجـــاه الى العاهره حاملين الاسلحه وما اخذوه من نوعها في موقعه داما ليمثلوا امـــام الحكمدار ويسمعوا نطق العفو (٢) .

فدعا شيخ المشايخ اشياخ الدروز واطلعهم جرجس على مهمته فاثنـــوا عليه واكدوا له انهم اصبحوا بحاله يرثى لها من العطش والجوع والبرد . وكان الشهابي الكبير قد كتب لهم يمثل ما تقدم فقاموا بمعيته اربعون شيخا يتبعهم ألف رجـــل . ومثلوا امام الحكمدار وقدموا الطاعه اليه مشفوعه بسبع مئه بندقيه من سلاحهم والفـــي بندقيه غنموها من الجيش . وتلا عليهم الحكمدار امر العفو فعادوا الى قراهـــم آمنين (٣) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٤٤ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصري : ص ٥ ، مخطوط مشاقه : ٢٦٣ ، العطار ، تاريخ سوريه : ١٧٤ .

(٢) المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصري ، ص٥ ، ابو عز الدين : ٢١١ ، المعلوف مخطوط ابراهيم باشا المصري : ص٧ .

(٣) رستم بشير ٢ : ١٤٥ ، مخطوط مشاقه : ٢٦٣ ، نوفل : ٤٩١ ، رستـــم تاريخ : ٩٠٩ .

وتعهدت الحكومه بمأن تعفيهم من التجنيد والسخرة والضرائب واذنت لهم بحمل السلاح وبأن يكون لهم حق انتخاب شيوخهم كما انها وعدت بعدم اقامة تحصينات في بلادهم(١) .

وهكذا بعد استسلام دروز وادي التيم ودروز حوران تكون الثوره الدرزيه قد انتهت في ٢٢ آب سنه ١٨٣٨ بعد مضي تسعة شهور من نشوبها ولم يبلغ ابراهيم باشا الغايه التي حارب من اجلها بل كانت عواقبها على غير ما يريد من الوجهتين العسكريه والسياسيه .

(١) ابو عز الدين : ٢٥٠ ، مخطوط مشاقه : ٣٦٤ ، المعلوف ، مخطوط ابراهيم باشا المصري ، ص: ٧ ، نادر المطار ، تاريخ سوريه ، : ١٧٥ ، نوفل : ٤٩١ ، رستم تاريخ : ٩٠٩ ، الرافعي عصر : ٣١٠ ، قرألي فتوحات : ٦٣ .

الفصـــــل الخامـــــس

- الفتره بين كوتاهيه وواقعه نصيبين ١٨٣٣–١٨٣٨
- معـركه نصيبين والحاله السياسيه بعدهما ١٨٣٩
- ثوره اللبنانييـــــن ١٨٤٠
- التدخـــــل الاوروبـي
- انسحاب ابراهيم باشا من سوريه
- تأثير حكومه محمد علي في سوريه

الفصـــل الخامس

الحـــرب السوريـــــه الثانيــــه

الفتره بين كوتاهيه ، وواقعة نصيبين (٢٤ حزيران سنه ١٨٣٩) ما فتئت الدوله العثمانيه بعد هزيمتها في قونيه ، في ٣٠ تموز سنه ١٨٣٢ ، وابرامهـــا اتفاق كوتاهيه في أواخر كانون الثاني سنه ١٨٣٣ ، تعد المعدات الوسائـــل لاسترجاع سوريه ، واقليم أدنه . فحشدت سنه ١٨٣٤ جيشا في سيواس ، تأهبـــا للزحف على سوريه عند سنوح الفرصه ، وعهدت بقيادته الى رشيد باشا قائد الجيـــش العثماني ، الذي أسر في واقعة قونيه (١) . ثم بعد وفاه رشيد باشا سنه ١٨٣٦ ، فخلفه في القياده محمود حافظ باشا أحد قواد تركيا المشهورين وفي خلال ذلـــك حدثت مفاوضات بين تركيا ومصر لتسويه الخلاف بينهما بطريقه وديه . ولكن المفاوضات أخفقت اذ لم يتوصل الفريقان على شروط يقبلانها (٢) .

وما فتئت الدوله العثمانيه طوال هذه المده تدس الدسائس لمصر فـــي سوريه ، وتحرض أهلها على الثورات وخلع ايديهم من الطاعه (٣) .

وفي هذه الاثناء حاول محمد علي ان يطالب بالاستقلال ، واستدعى وكلاء الدول في مصر وأعلمهم بعزمه هذا في أيار سنه ١٨٣٨ ، وهذه المره الثانيه التـــي يطالب فيها محمد علي بالاستقلال اذ كان قد طالب به في سنه ١٨٣٤ . ولكـــن وكلاء الدول رفضوا ذلك ، وفي المره الثانيه هذه عندما صارح وكلاء الدول رفضـــوا أيضا ان يعلن محمد علي باشا استقلاله عن تركيا لان الدول الاوروبيه تنظـــر

---

(١) ابو عز الدين : ٢٢١ ، عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي : ٣١٠ ، رستـــم تاريخ محمد علي : ٩٩٣ ، ذكرى البطل : ٣٦٩ .

(٢) نوفل كشف اللثام : ٤٧٣ ، ابوعزالدين : ٢٢-٢٢٣ ، الرافعي : ٣١١ ، ابوسمرا غانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦٠ ، الصليبي تاريخ لبنان : ١٠٧-١٠٨ ، مختصر تاريخ سوريه ، : ٢١٢ ، جلال مصر الحديثه : ٢٧٤-٢٧٥ ، حتي تاريخ سوريه : ٢٦٧ ، فرحات : ٢٣١ .

(٣) الرافعي عصر محمد علي : ٣١٠ ، نوفل كشف اللثام : ٤٧٣ ، العطار : ١٧٦ ، رستم تاريخ : ٩٩٣ ، الدبس ٨ : ٦٥٢ .

تنظر الى مصر بغير العين التي تنظر بها الى اليونان . (ذلك لان الدول الاوروبيه وافقت على استقلال اليونان عن تركيا) واعترضت على ما عزم عليه محمد علي وحذرته من جديد عواقب عمله ، وبدأ تجهيزها لتركيا جليا وظهر تحاملها على مصر مما جرأ السلطان محمود الثاني على التحرش بمحمد علي فأدى ذلك الى وقوع الحرب السوريه الثانيه (١) .

لكن يمكننا القول ان الطرفين كانا قد اعدا العدّه لهذه الواقعه ، اذ كانا يتألف الجيش التركي من ٣٨ ألفا مقاتل ، وتحتل مواقع حصينه ، ولم ينقصه القواد الاكفاء حيث شارك ضباط ألمان حيث تولوا تحصين نصيبين حتى جعلوها من أمنع المواقع الحربيه (٢) .

أما الجيش المصري فكان عدده اربعين ألفا فالجيشان متماديان من حيث العدد ، لكن الجيش المصري كان يفوق الترك في النظام ، وبراعة القياده ، ودربه جنوده ، ومراسهم على القتال ، وثقتهم بأنفسهم وبقوادهم الذين خاضوا وايا هم المعارك ورفعوا معا علم النصر من قبل . فكان لهذه الميزه تأثير معنوي كبير في نفوس الجنود هذا فضلا عن ان الجيش المصري كان مؤلفا من جنس واحد وهم المصريون أما الجيش التركي فكان اخلاطا من الاتراك والاكراد وسائر عناصر السلطه العثمانيه (٣) .

ومهما يكن من أمر فان نتائج المعركه كانت بالغة الاثر على الاتراك ، اذ بلغت خسائر الترك في معركه نصيبين نحو اربعه الاف بين قتيل وجريح ، وكان من قتلاهم بعض القواد والضباط واسر منهم بين اثني عشر الف الى خمسة عشر الف أسير . واستولى المصريون على نحو عشرين ألف بندقيه و ٤٤ مدفعا واستولوا

---

(١) الدبس ، تاريخ سوريه ج ٧ : ٦٥٢ ، الرافعي عصر : ٣١١ ، رستم تاريخ محمد علي : ٩٩٣ ، ذكرى البطل : ٣٦٩ .

(٢) الدبس : ٧ : ٦٥٢ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٦ ، نوفل كشف اللثام : ٤٧٣ ، العطار : ١٧٦ ، محمد كرد علي خطط : ٣ : ٥٦ .

(٣) الدبس ٨ : ٦٥٣ ، نوفل كشف اللثام : ٤٧٣ ، رستم تاريخ محمد علي : ٩٩٣ ، ذكرى : ٣٧٠ — ٣٧٤ ، مختصر تاريخ سوريه : ٢١٢ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٦٨ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣١ .

في اليوم التالي على ٣٠ مدفعا في حصن بيره جك . وكذلك استولوا على خزانه الجيش التي لم يتمكن الترك من اخذها عند الهزيمه وكان فيها من النقد ما قيمتـــه سته ملايين فرنك (١) .

أما الجيش المصرى فقد بلغت خسائره نحو اربعة الاف بين قتيل وجريـــح وهي خساره عظيمه ، كما ان هذه الواقعة قضت على قوه تركيا الحربيه ، وانقـــذت مصر من الخطر التي كان يتهددها من ناحية تركيا وكان فيها اكبر انتصـــار حازه الجيش المصرى في حروبه مع تركيا ، وهي أعظم الوقائع التي خاضغمارها مـــن حيث اهميتها الحربيه ونتائجها السياسيه (٢) .

أما عن الوجهه الحربيه ، فقد كانت هذه الواقعه تفوق المعارك الاخرى ، في عظم الجهود والخسائر التي بذلت فيها .

وأما من الوجهه السياسيه ، فلأنها حفظت استقلال مصر ، وكانت لمصر بمثابه السياج الذى صانها من الخطر . فلو ان تركيا فازت بهذه المعركـــه لاستمدت في زحفها على سوريه ثم على مصر . ولقضت على استقلال مصر وردتهـــا ولايه تركيه لا تمتاز عن سائر ولايات السلطنه العثمانيه في شيء (٣)

وكان وقع هذه المعركه أليما شديد المضض على تركيا ، لانها خاتمـــة الهزائم التي حاقت بجيوشها في معاركها المتعاقبه مع الجيش المصرى .

وأعقبت هذه الواقعه كارثه أخرى اصابت تركيا في اسطولها حيث كانـــت قد صدرت الاوامر للاسطول التركي بالتحرك من بوغاز الدردنيل بقيادة القيروان احمد

---

(١) الدبس ٨ : ٦٥٣ ، الرافعي عصر محمد علي : ٣٢٣ ، رستم تاريخ محمد علـــي المقتطف مجلد ٣٠ : ٩٩٣ ، ذكرى البطل : ٣٧٩—٣٨١ .

(٢) نوفل كشف اللثام : ٤٧٣ ، الدبس ٨ : ٦٥٣ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٧ ، العطار : ١٧٧ ، الصليبي تاريخ لبنان : ١١٠ .

(٣) الرافعي : عصر محمد علي : ٣٢٣ ، الدبس ٨ : ٦٥٤ ، محمد كرد علـــي خطط ج ٣ : ٥٦ ، مختصر تاريخ سوريه : ٢١٣ ، جلال مصر الحديثه : ٢٧٦ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٦٨ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٢ .

باشا فوزي لمنازله العماره المصريه ، ولكن فرنسا وانجلترا ارسلت بعض السفن لمنع التصادم بين الاسطولين تنفيذا للخطه التي كان عليها العمل بينهما من الحيلوله بين تصادم مصر وتركيا .

وبعد واقعة نصيبين وتولي السلطان عبد المجيد ، ورأى دعائم عرشه تتزلزل ، امام فتوحات الجيش المصري خضع للسلم ، فبعث برسول يدعى عاكف أفندي الى مصر يعرض على محمد علي عقد هدنه يمكن في خلالها اجراء المفاوضات للاتفاق على حل يرضي الطرفين ، وعهد اليه ان يأمر فوزي باشا قائد العماره التركيه أن يعود الى الاستانه ، ولكن فوزي باشا زين له وكيله عثمان باشا ان يلتجىء الى محمد علي " العداوه كانت قائمه بين فوزي باشا وخسرو باشا الصدر الاعظم للسلطان فظن انما استدعوه لقتله" خصم خسرو باشا القديم ويسلم الاسطول التركي عن يد خالصه فينال منه المكافأه وحسن الجزاء فأصغى فوزي باشا لهذه المشوره التي تنطوي في ذاتها على الخيانه والدناءه(١) .

وأقلع بالعماره التركيه وخرج بها من الدردنيل ومضى الى الاسكندريه ، وكانت هذه العماره على شأن من القوه مؤلفه من تسع بوارج كبيره (غلايين) واحدى عشر سفينه من الفرقاطه ، وخمسة من نوع الكورقت وعلى ظهرها ١٦١٠٧ من الملاحين والايان من الجنود يبلغ عددهم ٥٠٠٠ فيكون الجميع ٢١١٠٧ .(٢)

فكان منظر دخول تلك العماره الفخمه الى ميناء الاسكندريه يملأ القلب جلالا وروعه ، وصارت مصر بهذه القوه البحريه المزدوجه (العماره العثمانيه والمصريه) ، أقوى دوله بحريه في البحر الابيض المتوسط وتسلم محمد علي باشا هذا الاسطول الفخم فكان لهذا الحادث تأثير كبير في سير المسأله المصريه

---

(١) الرافعي ، عصر محمد علي : ٣٢٤ ، الدبس ، ٨ : ٦٢٨ ، رستم بشير ٢ : ١٦٤ ، نوفل : ٤٧٣ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٦٤ ، الدبس ٨ : ٦٢٨ ، الرافعي عصر محمد علي : ٣٢٥ ، المطار : ١٧٨ ، جلال مصر الحديثه : ٢٧٨ .

لان تسليم الاسطول التركي الى مصر بعد انتصارها في معركه نصيبين جعل كفتها الراجحه على تركيا في البر والبحر . وبلغت مصر في ذلك اوج قوتها على عهد محمد علي (١) .

ووصلت اخبار هذه الكوارث التي أصابت الباب العالي ثلاث مرات في ثلاثه اسابيع : هزيمه نصيبين (نزب) ووفاه محمود ، وخيانه القبودان (٢) . ووصلت هذه الاخبار الى عواصم اوروبه فاستولى على حكومتها شيء من القلق ، وأبدت الاهتمام اللازم بالامر . وكان ديساج اخصائي الخارجيه الفرنسيه في أمور الشرق قد كتب في الثامن والعشرين من ايار سنه ١٨٣٩ ، الى كوشله قنصل فرنسا العام في الاسكندريه يؤكد وجوب الاستمساك بمبدأ سلامه الدوله العثمانيه لدفع الخطر الروسي عن المضايق والخطر البريطاني عن مصر وبالتالي وجوب بقاء مصر جزءاً من الدوله العثمانيه .

ووجوب اعتدال محمد علي في مطالبه ، وابان ديساج في رسالته هذه ان فرنسه ، وبريطانيه والنمسه تستهدف ان تجعل حل المسأله المصريه الماثله قاعده أساسيه لحل المسأله الشرقيه (٣) بكاملها .

ومن هنا تدخل فرنسه المنفرد في شهر حزيران وايفاد كل من الكابتان كاللي الى الاستانه والاسكندريه لتدارك الخطر ، ومن هنا أيضا سكوت حكومتي بريطانيا والنمسه عن هذا الطريق التدخل . ثم جاءت الكوارث تترى فقابلها الفيكونت بالمرستون بهدوء ورباطه جأش ، وقال الى القائم بأعمال السفاره الفرنسيه في لندن : " ليس هنالك ما يدعوا الى تعديل الخطط المرسومه " . لكنه خشي

---

(١) رستم بشير٢ : ١٦٦ ، الدبس٨ : ٦٢٩ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٧ ، نوفل كشف اللثام : ٤٠٣ ، محمد كرد علي خطط ج٣ : ٥٦ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٦٩ .

(٢) رستم بشير٢ : ١٦٧ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٧ ، نوفل : ٤٧٣ ، رستم تاريخ محمد علي : ٩٩٤ ، محمد كرد علي خطط ج٣ : ٥٦ ،

(٣) ابو عز الدين : ٢٤٧ ، رستم بشير ٢ : ١٦٧ ، المطار : ١٧٨ ، رستم تاريخ : ٩٩٤ .

في الوقت نفسه انه اذا سكت عن مطامع محمد علي في بر الشام ، ووافق على بقاء هذا القطر في عهدته فانه لدى وفاته ستتدخل فرنسا لابقائه في قبضه ابراهيم من بعده ويكون بذلك قد مهد السبيل لتجزئه الامبراطوريه العثمانيه (١) .

ولمس الداهيه النمساوي البرنس مترنيخ هذا الظن ، المتبادل بين لندن وباريس منذ اللحظه الاولى فعلق بما يلي : " هنا سر هذه المعضله بريطانيه ترغب في الحد من قوه الباشا وفرنسه ترمي الى المحافظه على هذه القوه ان لم نقل انماءها " . وقد كان فهم القيصر الروسي كل الفهم وادرك انه مخلص في محافظته على سلامه الدوله العثمانيه فصاغ مذكرته الشهيره التي حازت القبول في جميع عواصم اوروبه وقضت بتدخل الدول مجتمعه لحل الازمه الطارئه (٢) .

وكان الباب العالي قد استرضى وقبل بالرضوخ لمطالب محمد علي والوصول الى تفاهم مباشر معه وأزمع على ايفاد مفيد بك الى القاهره في السابع والعشرين من تموز من السنه نفسها للتأكيد بأن مهمه عاكف أفندي اغا انحصرت في اعلان الجلوس السلطاني وان ما فاوض به عاكف افندي لم يكن نهائيا البته . وفي صباح هذا اليوم نفسه وفي الساعه الخامسه وفد على محمد خسرو باشا تعمد بونسو بني الخاص الجندال غرازافوفسكي ينقل اليه اتفاق الدول الخمس على التدخل في المسأله المصريه وينذره بسوء العاقبه ان رفض هذا التدخل (٣) .

وفي اليوم التالي اي في الثامن والعشرين من تموز قدم سفراء الدول الخمس الى الباب العالي مذكره مشتركه يطلبون بها عدم ابرام اي امر بشأن المسأله المصريه الا باطلاعهم وموافقتهم وفي السادس من آب اعلن معتمدوا الدول في الاسكندريه نص المذكره نفسها الى محمد علي ايضا وكان هو قد اخذ بها علما مسبقا عن طريق القنصليه الفرنسيه (٤) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٦٧ ، الدبس ٨ : ٦٣٣ ، نوفل : ٤٧٣ ، الصليبي : ١١٢-١١٤ ، مختصر تاريخ سوريه : ٢١٤ ، فرحات مختصر تاريخ : ٢٣٢ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٦٧ ، الدبس ٨ : ٦٣٤ ، نوفل : ٤٧٣ ، تاريخ محمد علي : ٩٩٥ ، الصليبي : ١١٤ .

(٣) رستم بشير ٢ : ١٦٧ ، الدبس ٨ : ٦٣٥ ، العطار : ١٧٨ ، الرافعي : عصر محمد علي : ٣٢٥ .

(٤) الدبس ٨ : ٦٣٥ ، الدول الخمس هي انكلترا وفرنسا والروسيا والنمسا وبروسيا . ابو سمرا غانم : ٣٦١ ، محمد كرد علي خطط ٣ : ٥٦ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٨٥٢ ، جلال مصر الحديثه : ٢٨٠ ، حتي تاريخ سوريه : ٢٨٧ .

وعلى كل حال فبعد هذه المذكره أصبح مصير سوريه معلقا بمشيئـــــــة الدول الاوروبيه . وكانت الدول العظمى ما عدا فرنسا ترى وجوب اعادة الحكـــــم العثماني الى سوريه . وكانت انكلترا اكثرهن تشددا في وجوب ذلك لان لم يكـــــن من مصلحتها ان تقوم في طريقها الى الهند دوله قويه تجعل مواصلاتها مع مستعمراتها الغنيه في خطر . ومحمد علي كان في وسعه انشاء تلك الدوله القويه لان لـــــــه مؤهلاته . وكان من مبادئ السياسه الانكليزيه ان لا تكون سوريه في قبضه دولـــــــه قويه بذاتها ، او يحتمل ايجادها مع دوله اوروبه مزاحمه لانكلترا ومحمد علي كـــــان صديقا صدوقا لفرنسا (١) ، فالطريق الى الهند ، وخوف بريطانيه من قيام دولـــــــه قويه في سوريه جعلها تعمل على مقاومه مطامع محمد علي في التوسع واصرارها علـــــى انسحابه من سوريه الا انها عادت فرضيت بابقاء جنوبي سوريه تحت سيطرته مـــــــده حياته وبمنحه الحكم الوراثي على مصر وخالفتها فرنسا فيما يختص بجنوبي سوريـــــه او طالبت منح محمد علي واعقابه الحكم الوراثي على ولايه عكا ايضا (٢) .

اما النمسا فاتفقت مع انكلترا لا لمصلحة هامه لها في سوريه بل لاتفاق نظريتها السياسيه نحو روسيا مع النظريه الانكليزيه . وانضمت بروسيا الى جانبهما . اما الروسيه فرغما عن اختلاف اغراضها السياسيه عن اغراض انكلترا والنمسا فانها كانت تحسب ان بقاء سوريه تحت حكم محمد علي واعقابه يؤدي الى سريان روح التجدد الى الاناضـــول وغيرها من البلاد العثمانيه . وهي انما كانت تبقي من اضعاف الدوله العثمانيـــــة لتكون لقمــه سائغه لها متى سنحت الفرصه لابتلاعها . وبعد مفاوضات ومناورات كثيره بين الدول العظمى .

انتهت بانفراد فرنسا اجتمع مندوبوا سائر الدول الاوربيه العظمى ومنـــدوب الدوله العثمانيه في لندن وعقدوا اتفاقا في ١٥ تموز سنه ١٨٤٠ كان أهم بنـــــوده ما يلي :

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٦٨ ، الدبس ٨ : ٦٣٧ ، ابو عز الدين : ٢٥٢ ،

(٢) Paton, Vol,2,P.152. ، نوفل : ٤٧٣ ، العطار : ١٧٩ ، الرافعي عصر محمد علي : ٣٢٥ ، ابو سمرا غانم : ٣٦١ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٦٥ ، مشاقه تاريخ ٨٥٣ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٨٨ .

أولا : منح محمد علي واعقابه من بعده الحكم الوراثي على مصر ويكون له فقط مدة حياته حكم ولايه عكا التي جعلت حدودها من رأس الناقوره الى رأس نهر السيسبان في شمالي بحيرة طبريا ومنه خط يمتد على جانب البحيره الغربي وضفه نهر الاردن اليمن فشاطئ بحر الميت الغربي ومنه خط مستقيم يمتد الى نقطه شمالي خليج العقبه على البحر الاحمر ثم تتبع الشاطئ من خليج العقبه فخليج السويس حتى بلده السويس نفسها . منح ذلك شرط ان يقبل المنحه في مده لا تتجاوز عشرة ايام من تاريخ تبليغه هذا القرار وان يشفع قبوله باصدار اوامره لسحب جنوده من جزيرة كريت ، والبلاد العربيه ، ومنطقتي ادنه ، وطرسوس من سائر البلاد العثمانيه ماعدا مصر وولايه عكا كما حددت اعلاه . وان يرجع ايضا الى السلطان الاسطول العثماني الذي كان قد فر به قائده احمد فوزي باشا الى الاسكندريه (١) .

ثانيا : اذا لم يقبل محمد علي هذا القرار في مده عشره ايام يحرم الحكم على ولايه عكا ويمهل عشره ايام اخرى لقبول الحكم الوارثي لمصر وسحبت جنوده من جميع الاراضي العثمانيه وارجاع الاسطول العثماني فاذا انقضت هذه المهله دون قبول هذه الشروط كان السلطان في حل من حرمانه من ولايه مصر (٢) .

ثالثا : يدفع محمد علي جزيه سنويه للباب العالي بنسبه البلاد التي تعهد اليه ادارتها .

رابعا : تسري في مصر وولايه عكا المعاهدات التي ابرمتها السلطنه العثمانيه وقوانينها ويتولى محمد علي وخلفاؤه جباية الضرائب باسم السلطان على ان يؤدوا الجزيه ويتولوا الاتفاق على الاداره العسكريه والمدنيه في البلاد التي يحكمونها (٣) .

---

(١) رستم بشير٢ : ١٩٣ ، ابوسمرا غانم : ٤٥٧ ، نوفل : ٤٧٣ ، الصليبي تاريخ لبنان : ١١٤ .

(٢) رستم بشير ٢ : ١٩٣ ، ابوعز الدين : ٢٥٣ ، العطار : ١٧٩ ، محمد كرد علي خطط ج ٣ : ٥٦ ، مشاقه تاريخ : ٨٥٣ ، زيدان تاريخ : ١٧٠ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٨٩ .

(٣) رستم بشير ٢ : ١٩٣-١٩٤ ، ابوعز الدين : ٢٥٣-٢٥٤ ، الدبس ٨ : ٦٣٨ - ٦٤٢ ، نوفل كشف اللثام : ٤٧٣ ، العطار : ١٧٩ ، ابو سمرا غانم المصريون الشرق ٣٠ : ٣٦١ ، محمد كرد علي ، خطط ج ٣ ص ٥٦ ، زيدان تاريخ : ١٧٠ ، جلال مصر الحديثه : ٢٨٢ .

خامسا : تعد قوات مصر البريه والبحريه جزءا من قوات السلطنه العثمانيه ومعده لخدمتها .

سادسا : يتكفل الحلفاء في حاله رفض محمد لهذه الشروط ان يلجأ الى وسائل القوه لتنفيذها . وتتعهد انكلتره والنمسا في خلال ذلك ان تتخذا باسم الحلفاء وبناء على طلب السلطان كل الوسائل لقطع المواصلات بين مصر وبر الشام ولمنع وصول المدد من احداهما الى الاخرى ولتعضيد الرعايا العثمانيه الذين يريدون خلع طاعه الحكومه المصريه والرجوع الى الحكم العثماني وامدادهم بكل ما لديهما من المساعدات .

سابعا : اذا لم يذعن محمد علي للشروط المتقدمه وجود قواته البريه والبحريه على الاستانه يتعهد الحلفاء بأن يتخذوا بناء على طلب السلطان كل الوسائل لحمايه عرشه وجعل الاستانه والمضايق في مأمن من كل اعتداء(١) .

جرى تبليغ هذا الاتفاق الى محمد علي في ١٧ آب سنه ١٨٤٠ ومضت المده القانونيه ولم يعلن رضوخه له بل ان ابلغ قناصل الدول شفاها عندما مثلوا امامه بعد انتهاء المهله الاولى انه يرفض قبوله رفضا باتا وطلب منهم ان ينسحبوا من مصر وفي ١١ آب اجتمع مندوب من قبل الباب العالي بسفراء الدول المتحالفه وقرروا تجريد محمد علي حتى من ولايه مصر وبعد تبليغه هذا القرار انسحب قناصل الدول ، الاوروبيه المتحالفه من القطر المصري وكان مندوب الباب العالي قد سبقهم الى مغادرة الاسكندريه عائدا الى الاستانه فصار محمد علي في حاله حرب مع الدولة العثمانيه وحلفائها .

ويؤخذ من مختلف الروايات الذي ادى الى عزل فرنسا عن المجتمع الدولي في هذه المسأله والى تصلب محمد علي في رفض شروط الدوله العثمانيه وحلفائها هو تحيز الحكومه الفرنسيه له وبنوع خاص السياسه التي انتهجها المسيو تيادن في المسأله الشرقيه فانه حاول التوفيق ما بين تركيا ومحمد علي منفردا على سائر الحكومات الاوروبيه وكان يحرض محمد علي على رفض طلب الانسحاب من سوريه واعدا اياه ان اذا اقتضت الحال ففرنسا تؤيده وبقوه السلاح (٢) .

---

(١) رستم بشير٢ : ١٩٣-١٩٤ ، ابو عز الدين : ٢٥٣-٢٥٤ ، الدبس ٨ : ٦٣٨-٦٤٢ ، منوفل كشف اللثام : ٤٧٢ ، العطار : ١٧٩ ، ابوسمراغانم المصريون المشرق ٣٠ : ٣٦١ ، محمد كرد علي خطط ٣ ص٥٦ ، زيدان تاريخ : ١٧٠ ، جلال مصر الحديثه : ٢٨٢ .
(٢) رستم بشير٢ : ١٩٤ ، ابوعز الدين : ٢٥٤ ، ابوسمراغانم المصريون في سوريه ولبنان المشرق عدد ٣٠ : ٣٦١ ، محمد كرد علي خطط ٣ ، ٥٦ .

وكانت انكلترا بنوع خاص تراقب احوال سوريه في أثناء ذلك مراقبه دقيقــــه وتزرع بذور الثوره بين اهلها . ونظرا لبعد مراميها السياسيه كانت فيما مضى قد ارسلت الى لبنان مستر ، تشرد وود ترجمان سفارتها في الاستانه لاجل درس اللغة العربيــه فتلقى دروس هذه اللغه على الخوري ارسانيوس فاخوري وتعرف الى كبار رجال الاكليروس الماروني واستمالهم اليه كما استمال الدروز وبعض زعماء واعيان الموارنه . ثم عاد الى الاستانه (١) .

ولما بلغت المسأله السوريه دورها الاخير وتخرج الموقف ما بين الدولــه العثمانيه ومحمد علي ثار اللبنانيون على حكومة محمد علي وكان للتحريض الخارجــي تأثير عظيم في اثارتهم ، كما ان مالاقوه من جور تلك الحكومه وتلون سياستها نحوهــم كان مبررا لانتفاضهم عليهما (٢) .

(١) ابو عز الدين : ٢٥٥ ، مخطوطه مشاقه : ٢٨٨ ، هنرى لامنسى ، ابراهيـــم باشا في سوريه المشرق ٢٧ : ٩٢٠ ، زيدان تاريخ : ١٧١ ، جواد بولس لبنان والبلدان المجاوره : ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) ابو عز الدين : ٢٥٦ ، مخطوطه مشاقه : ٢٨٨ ، قسطنطين الباشا ، صفحــه مجهوله الكليه عدد ١٦ : ٣٦٠ - ٣٦١ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق ١٥ : ٢٢٢ - ٦٢٥ ، مشاقه تاريخ المقتطف ٣٠ : ٨٥٤ .

ثـــوره اللبنانيـــــــن (١٨٤٠)

عندما خاب سعي محمد علي لدى حكومات الدول في ان تنظر في امره ونقدر ظروفه وهاله أمر اتفاقها ضده ، فعزم على الصمود في وجهها ، ومضى علـــى رأيه في هذا فقرر جلب قواته من اليمن ونجد والحجاز(١) . وانشأ الالايات الجديده في مصر واشرف بنفسه على انشائها ، وادخل فيها الطلبه اللبنانيين الذين كانـــوا قد التحقوا بمدرسه الطب في القصر العيني . فزاع الخبر في لبنان ان محمد علـــي يجند هذه المره من المسلمين والنصارى . وشاع في اثناء ذلك خبر قدوم عساكـــر مصريه الى بعلبك ، وطرابلس وورد الى بيروت مركبا مشحونا ثياب عسكريه . فلـــن اللبنانيون انها مهيـــأة لهم وازدادوا اضطرابا ودار بينهم لسان العصيان(١) . وتذكر محمد علي في غضون هذا كله ان في اوائل العام ١٨٤٠ فعمل بضائع ولده ابراهيم باشا فامر بأسترجاع الاسلحه التي وزعها على النصارى اللبنانيين في ابان ثوره الدروز سنه ١٨٣٨ ، فثار ثائر اللبنانيين وتشاوروا في الامر فألفوا جمعيه للدفاع عن لبنان ، انخرط في عضويتها عدد لا يستهان به من الوجوه والاعيان في اختلاف المذاهـــب والطوائف(٣) . وقرر القرار من قبل الاعضاء بالاجماع على امور اربعه :

أولا : الامتناع عن تقديم الاسلحه من لبنان عام ١٨٣٩ .

ثانيا : عدم الاذعان لاى تجنيد جديد .

ثالثا : الامتناع عن تسليم اى شخص يلجأ الى لبنان ويستغيث بأهله ولو كـــان قد فر من الجيش .

رابعا : انشاء صندوق عام للدفاع عن لبنان يتبرع اليه كل لبناني بمبلغ شهري يتراوح بين نصف قرش وثلاثة قروش(٤) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٧٣ ، ميخائيل الدمشقي ، تاريخ حوادث جبل لبنان حوادث سنه ١٨٤٠ ، مخطوط رقم ٥٧ ، مكتبه الجامعة الاردنيه ص١ .

(٢) اخبار الاعيان : ٥٨٨-٥٨٩ ، عيسى المعلوف مخطوط نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان مخطوط رقم ٥٧ ، مكتبة الجامعة الاردنيه ص ١٧ ، الدمشقي تاريخ حوادث ص١ .

(٣) المصريون في سوريه ولبنان قبل مائه سنه ، المشرق ٣٠ : ٤٥٣ ، الدمشقـــي مخطوط تاريخ حوادث ص ٢- ٣ .

(٤) ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا المصرى في سوريه ، والاناضول ج ٢ ، ص ١٣ ، المعلوف نوادر الزمان ص ١٧ .

واتصل هؤلاء الاعيان في اوائل ايار بالامير بشير الشهابي الثاني فذكروه بما جرى بينهم وبينه في اواخر العام ١٨٣١ عندما استدعاهم اليه ، واطلعهم على العهد الذي كان يربطه بمحمد علي . وكيف انهم قاموا معه الى عكا . وساروا أمام الجيش المصري الى دمشق وحاربوا الدوله في طرابلس وحمص وحماه . ثم كيف ناصروا الحكومه المصريه على الثوار في صفد وطرابلس ، وجبال النصيريه ، فأدخلوهم في طاعتها . وعادوا الى اوطانهم راجين ان تقابلهم الحكومه المصريه بالمثل فترفع عنهم " كافه المظالم " ولكنها جاءت بالعقوق ، فجردتهم من سلاحهم ، وجندت اولادهم ، وجاءت عليهم في ذلك " فمسكت" الحريم ، وعلقت الرجال في الاشجار ، ورتبت مال الاعانه ، وحبسته عن الاحياء ، والاموات ، حتى الذين ماتوا في الحرب امامها . ثم قهرتهم وذللتهم فكلفتهم القيام باستخراج الفحم الحجري ، ونقله الى الساحل لقاء بدل تافه واكرهت البنائين على العمل في كولك ابو غاز ، وعكه ، وحملت الجميع على محاربه" اخوانهم " في حوران . ذكر الاعيان الامير الحاكم بهذا كله واكدوا خضوعهم له وعدم رغبتهم بتولي الحكم ورجوه ان يستصدر اراده سنيه خديويه برفع المظالم المشروحه وان يتم ذلك بمعرفه " وكلاء فرانسه وانكلترا العظيمتين(١) " .

وعلى كل حال يمكن ان نعتبر ان الثوره اللبنانيه ابتدأت في ٢٧ أيار سنه ١٨٤٠ ، وكان آل ابي نكد واهل دير القمر أول القائمين بها والداعين اليها رغما عن قرب بلدتهم ، من بيتدين مقر الامير بشير الشهابي حاكم البلاد ليقينهم بأن اللبنانيين بوجه عام كانوا شديدى النقمه على حكومه محمد علي والامير بشير ومعظم نفخ في بوق الثوره وقاد رجالها بعض الامراء الشهابيين ، والمعنيين والمشايخ ، آل الخازن ، وجبنبن ، والدحداح ، لان الامير بشير سلبهم ما كانوا يتمتعون به من السلطه الاقطاعيه ، لا رفقا بأهل البلاد بل لينقلها الى اهله ومؤيديه كاولاده وحفدته المقربين اليه من ذويه وغيرهم . فكانوا اشد وطأه على الاهلين من حكامهم السابقين . وممن اشترك في قيادة الثوار الامير خنجر الحرفوش، وابو سمرا غانم واحمد داغر ، ويوسف الشنتيرى (٢) .

---

(١) رستم بشير ٢ : ١٧٤ ، المصريون في سوريه ولبنان المشرق ٣٠ : ٤٥٦ ، تاريخ حوادث ص ٣-٤ ، المعلوف مخطوط نوادر الزمان : ص١٧ ، تاريخ محمد علي المقتطف ، مجلد ٣٠ : ٨٠٩ ، قرألي فتوحات ٧ ، الدبس ٨ : ٦٥٦ ، لامنسى ابراهيم باشا في سوريه المشرق ٢٧ : ٩٢٠ ، مشاقه تاريخ : ٨٥٤ احد الاباء اليسوعيين مختصر تاريخ سوريه ولبنان : ٢١٤ – ٢١٥ ، بولس لبنان ١١٠ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٩٦ .

(٢) ابوعزالدين : ٢٦١ ، اخبار الاعيان : ٥٩٠-٥٩٤ ، الدمشقي ، مخطوط تاريخ حوادث ص٥ ، رستم تاريخ محمد علي : ٩٠٨ .

فتح باب القتال مع الجنود المصريه اهل جنوبي لبنان ، وكان في أول الامر جميع الثائرين تقريبا من دير القمر ، والمناصف ، والشحار ، وساحل صيدا فحملت منا شدات عند جسر الاولي ، وحول صيدا وضيقوا الخناق على المدينه ، وقطعوا عنها الماء وحالوا بينها وبين المطاحن الكائنه على نهر الاولي فوجه سليمان باشا الفرنساوي الذي كان مقيما في صيدا الايا من الجند لحراسه المطاحن وقناه الماء وحفظ المواصلات بينها وبين المدينه لكنه اصدر امره الى الجنود ان يجتنب مصادمه الثوار وكتب الى هؤلاء يخبرهم أن أمر محمد علي لا يقصد به نزع سلاحهم بل استرجاع السلاح الذي وزعه عليها سابقا لانه لازم لتسليح الرديف . وتعهد لهم بأنه يحمل الحكومه على استبقاء سلاحهم في ايديهم ،وأكد لهم انه لم يخطر ببالها تجنيدهم (١) .

وبينما كان سليمان باشا يخاطب الثوار بهذه اللهجه المعتدله كان الامير بشير يزرع بذور الشقاق في صفوفهم وبعد مفاوضات اشترك فيها ولداه الامير قاسم ، والامير أمين ، والمطران عبدالله السبتاني واختياريه دير القمر . اصدر الامير بشير مرسوما يتضمن افكار الثائرين . وفي ٤ حزيران توجه وقد قبل الامير قاسم ، وأهل دير القمر على اختلاف مذاهبهم الى معسكر الثوار بجوار صيدا ، وتلا عليهم مرسوم الامير بشير فاطمأنت خواطرهم وعادوا الى اوطانهم بسلام (٢) .

وبعد بضعه ايام ورد مرسوم ابراهيم باشا بالعفو عنهم والتأكيد لهم ان الحكومه لا تنوى تجنيدهم (٣) . اما بجوار بيروت فنشرت رايه العصيان ، في أول حزيران وكان اول من شق عصا الطاعه احمد داغر وابوسمرا غانم ، ومع عدد قليل من الرجال

---

(١) ابو عزالدين : ٢٦١ ، اخبار الاعيان : ٥٩٠-٥٩٤ ، الدمشقي ، مخطوط تاريخ حوادث ص٥ ، رستم تاريخ نوادر الزمان ص٨١ ، قرألي فتوحات ٧٥ ، الدبس ٨ : ٦٥٦ الطليبي : ١١٦ ، لامنسى ابراهيم باشا المشرق ٢٧ : ٩٢١- ٩٢٢ ، قسطنطين الباشا صفحه مجهوله الكليه عدد ١٦ ، الدمشقي تاريخ حوادث المشرق ١٥ : ٦٢٧ ، تاريخ مقتطف مجلد ٣٠ : ٨٥٤ ، زيدان تاريخ ١٧٢ ، مختصر تاريخ سوريه ٢١٥ ، بولس لبنان : ١١١ — ١١٣ ، حتى تاريخ سوريه ٢٩٧ .

(٢) ابو عزالدين : ٢٦٢ ، الدمشقي ، مخطوطه تاريخ حوادث : ص٧ ، المعلوف مخطوط نوادر الزمان ص ١٨ .

(٣) ابو عزالدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا ج ٢ ص ٢١-٢٤ ، الدمشقي : ص٧ ، تاريخ محمد علي : ٩٠٨ .

وكانوا أهل المتن ، ودير القمر ، وانضم اليهم بعض اهل الساحل . وهاجموا بيـــروت من جهه المكورنتينا فالتزمت حاميه بيروت خطه الدفاع ، وقابلت الثائرين باطـــلاق المدافع فرجعوا عنها (١) ؛

ثم ثار اهل المتن من نصارى ودروز وتوجهوا في ٤ حزيران الى ديـــر مار الياس انطلياس ، وتحالفوا على العمل يدا واحده ، وانضوا الى سائر الثائريـن(٢) . وفي ٥ حزيران لبى داعي الثوره بعض اهل كسروان بقيادة الشيخ فرنسيس الخازن ، والشيخ شمسين حبيش . ونهب الثوار مخازن الحكومه الكائنه خارج المدينه وحرضوا أهل دير القمر على العوده الى العصيان فلم يفلحوا (٣) .

وقد نشر ابو سمرا غانم نص هذا العقد وهو برحفه :

" انه يون تاريخه قد حضرنا الى مار الياس انطلياس نحن المذكوريـــن أسماؤنا به بوجه العموم من دروز ونصارى ، ومتاوله واسلام ، المعروفين بجبـــل لبنان . من كافه القرى وقسمنا يمين على مذبح القديس بأننا لا نخون ولا نطابـــق بضرر احد منا ابدا ، بل يكون القول واحد والرأى واحد ، ونحن جمهور الدروز ؛ اذ خفـش منا ديان ادنى خلل نكونـــا بارئين من دياننا ، ومقطوعين من شركـة الدروز والخطوط الخمسه ونكون نساؤنا طالقه من السبعة مذاهب ، ومحرمه علينـــا من كافه الوجوه ، وايضا يشهد علينا القديس مار الياس ويكون خصمنا وقد قمنا علينـــا شيخنا جناب الشيخ فرنسيس ابن جناب الشيخ حنا هيكل الخازن من غوسطـــا ونحن جمهور النصارى الذين يخون منا يكون مار الياس خصمه ولا يكون لـه موتـــه على دين المسيح حرر في ٨ ربيع الاول سنه ١٢٥٦ "(٤) .

---

(١) ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا ج ٢ ص ٢٩ – ٣٠ ، المعلوف : ص ١٨ ؛

(٢) ابو عز الدين : ٢٦٣ ، الدمشقي ٩ ، قرأ لي فتوحات : ٧٦ ، لامنس ابراهيم باشا ، المشرق : ٢٧ : ٩٢٣ .

(٣) اخبار الاعيان : ٥٩١ ، الدمشقي : ٩ المعلوف ص ١٨ ، الدبس ٨ : ٦٥٦ ، مختصر تاريخ سوريه : ٢١٧ ، بولس لبنان : ١١٣ ، حتى تاريخ سوريه : ٢٩٧ .

(٤) المصريون في سوريه ولبنان المشرق ٣٠ : ٤٥٦ ، الدمشقي تاريخ حوادث ص ١٠ ، رستم تاريخ : ٩٠٨ .

ثم ارسل الامير بشير ، وفدا من أختياريه دير القمر بصحبهم البلوكباشي جرجس ابو دبس الى ثوار ساحل بيروت ليدعوهم الى الطاعه فعادوا مخذولين فكرر الامير مفاوضتهم بواسطه ولده الامير أمين ثم بواسطة ، سواه غير أن الثوار أصروا على العصيان الا اذا اجيبت مطالبهم التاليه وهي :-

١- بقاء سلاحهم في أيديهم ؛
٢- عدم تجنيدهم .
٣- ان لا يدفعوا الفرده الا عن الاحياء فقط وأن لا يكلفوا دفع ما كان قريبا على الذين توفوا او قتلوا في اثناء الخدمه ؛
٤- ابطال السخره والشغل في معدن الفحم الحجرى في قرنايل [١] .

وطلبوا من الامير بشير :-
١- انشاء ديوان مشوره في بيتدين يؤلف من عضوين من كل طائفه .
٢- ان يكون تحصيل " الميرى " في عيد الصليب .
٣- ان يكون معدل الفرده اى المال المفروض على كل رجل ثلاثين قرشا .
٤- ان " الحوالي " لا يكلف المديون شيئا .
٥- اذا اعجز مديون عن وفاء دينه لا يجوز التحويل على اقربائه . واضاف بعضهم الى هذه الشروط شرطا آخر وهو ابعاد المعلم بطرس كرامه عن ديوان الامير [٢] .

ومما لوحظ في ذلك الاثناء اختلاط بعض الفرنسيين بالثوار وتشديد عزائمهم على القتال وشوهد رجل افرنسي يوزع عليهم اسلحه وذخائر ونقود [٣] ، كما ان المسو بورا قنصل فرنسا في بيروت عامل الحكومه المحليه بتشدد [٤] يخالف

---

(١) اخبار الاعيان ٥٩١ ، ابو عز الدين : ٢٦٤ ، المصريون في سوريه ولبنان المشرق : ٤٥٧ .
(٢) ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا ج ١ ص٥٣ ، واخبار الاعيان : ٥٩٢ ، الدمشقي ص١١ ، المعلوف مخطوط نوادر : ص٩١ ، رستم تاريخ : ٢٠٨ ، قرأ لي فتوحات : ٧٦ ، الدبس ٨ : ٦٥٧ ، الصليبي : ١٢١ ، قسطنطين الباشا ، صفحه مجهوله الكليه عدد ١٦ : ٣٦٣ - ٣٦٥ ، الدمشقي تاريخ حوران المشرق ١٥ : ٦٣٠-٦٣٣ ، مشاقه تاريخ : ٨٥٤ ، مختصر تاريخ سوريه : ٢١٧ .
(٣) ابو عز الدين : ٢٦٤ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ ، الدمشقي مخطوط تاريخ حوران : ص١١-١٣ .
(٤) اخبار الاعيان : ٥٩٢ ، المعلوف ، مخطوط نوادر الزمان : ص٩١ ، الدبس ٨ : ٦٥٧ .

يخالف خطة دولته الولائية نحو حكومة محمد علي فادى ذلك الى لخلة من بيــــروت وأبداله بسواه .

وفي اواسط حزيران اظهر الثوار نشاطا عظيما فتوجهت شراذم منهـــم الى جهات مختلفه لاثاره اهل البلاد كزحله وبعلبك حيث انضم اليهم الامير ــــر فنجر الحرفوش ، واهل شمالي لبنان ، وذهب فريق منهم الى جهة صيدا (١). ولا حظ محمود بك متسلم بيروت: انه لم يبق الا القليل من الثوار في ظاهر المدينه فوجـــه عليهم كبيلد بين من جهه ومن جهه الكورنتينا ومثلها من طريق بوابه يعقوب فحصلـــت موقعه استمرت نحو ثلاث ساعات(٢) ، وكان قد اقترب الليل فرجعت الجنود الـــى اماكنها ، وحصلت مواقع صغرى في جهات طرابلس ، وشمالي لبنان ، والبقاع ، واستولى الثوار على مقادير كبيره من الذخائر والمؤن كانت مرسله للعسكر المصري من الشام(٣) .

اتصل بمحمد علي ما يبديه الثوار اللبنانيون من النشاط فبادر الى ارسال حفيده عباس باشا الى سوريه ، ومعه قوه تبلغ اثني عشر الف فوصل الى بيروت فـــي ٢٧ حزيران سنه ١٨٤١(٤) ، وحضر عثمان باشا من شمالي سوريه الى بعلبـــك بنحو اثني عشر الف مقاتل ، وكان سليمان باشا يتولى قياده نحو عشرين الـــف جندي مرابطه في المدن البحريه من صيدا الى طرابلس فأضحى لبنان بيـــن نارين هذا عدا اضطراب الافكار ، واختلاف المشارب في داخله ، فاللبنانيون بوجـــه عام كانوا متذمرين من حكومة محمد علي غير ان عوامل مختلفه قسمتهم الى ثلاثـــة اقسام ، فالقسم الاكبر وقف موقف الحياد ، والتذبذب، من هؤلاء اكثـــــر

---

(١) ابو عز الدين ، ٢٦٥ ، الدمشقي : ص١٤ ، المعلوف ص١٩ .
(٢) ابو عز الدين : ٢٦٥ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ ، قرأ لي فتوحات : ٧٧ ، لا منسي ابراهيم باشا المشرق ، ٢٧ : ٩٢٥ .
(٣) ابو عز الدين : ٢٦٥ ، الدمشقي ص١٤ ، الدبس ٨ : ٦٥٧ .
(٤) ابو عز الدين : ٢٦٥ ، المعلوف : ص١٩ ، مشاقه تاريخ مقتطف ، ٣٠ : ٨٥٥ ، مختصر تاريخ سوريه ولبنان : ٢١٨ ، بولس لبنان : ١١٥ ، حتى تاريخ سوريـــه : ٢٦٨ .

الدروز نظرا لتجردهم من السلاح ولان المئات من أبنائهم كانوا مجندين ، وبعض زعمائهم كانوا رهائن عند محمد علي أضف الى ذلك حنقهم من المسيحيين لانهم فيما مضى كانوا ممالئين لحكومه محمد علي والامير بشير عليهم والسلاح الذي كان مطلوبا من المسيحيين اللبنانيين هو ذلك السلاح الذي وزعته الحكومه عليهم سنه ١٨٣٨ ليقاتلوا به الدروز (١) .

وكان حزب الامير بشير الموالي لحكومه محمد علي مؤلفا من أبناء الامير وحفدته وبعض المقربين اليه من ذويه الشهابيين ، والامير امين أرسلان والشيخ حسين تلحوق ، والشيخ يوسف عبد الملك ودروز بعقلين وعتابال ، وفريق من جميع الطوائف في مختلف انحاء لبنان (٢) .

أما حزب الثوره فكان أكثره مؤلفا من اهل دير القمر ، والمناصف ، والشحار ، والمتن ، وكسروان والسواحل بزعامه من ذكرناهم قبلا ، من الناقمين على الامير بشير من الامراء الشهابيين والمعنيين ، والمشايخ ، والخوارنه ، والنكديين ، والدحادحه . وكان يبث في الثوره روح النشاط بعض المحرضين الاجانب (٣) . ولولا هذا الانقسام لنجا اللبنانيون اولا وأخيرا من مظالم ومغارم ابراهيم باشا والامير بشير لان سكان لبنان كانوا حينئذ نحو ثلثمائه الف نفس وبلادهم شديده الوعوره كثيره المياه وقد رأينا ما لاتحاد الكلمه من اثر في ثوره حوران حيث تمكنت فئه قليله من مقاومه الالوف الكثيره تسعة شهور ونجت مما اصاب اللبنانيين وهي موفوره الكرامه مرفوعه الرأس . واللبنانيون لا يقلون بساله عن الحورانيين غير ان الشقاق الداخلي اضعفهم عن دفع الاعتداء الخارجي .

---

(١) اخبار الاعيان : ٥٩٢ ، الدمشقي : مخطوط تاريخ حوادث ص ١٥ ، رستم تاريخ : ٩٠٨ .
(٢) ابو عز الدين : ٢٦٦ ، ابوسمرا غانم : ٢٥٣ ، المعلوف مخطوط نوادر الزمان : ص ١٩ .
(٣) إبو عز الدين : نقلا عن حروب ابراهيم باشا : ج ٢ ، ٣٩ : ٤٢-٤٢ ، الدمشقي : ١٥ — ١٦ ، قرألي فتوحات : ٧٧ ، الدبس ٨ : ٦٥٨ ، الدمشقي تاريخ حوران المشرق ١٥ : ٦٣٥ — ٦٣٨ ، مشاقه تاريخ : ٨٥٦ .

فبعد وصول عباس باشا الى بيروت بجنوده أخذت عوامل الارهاب والترغيب تعمل بين اللبنانيين . فحدث قتال بين عثمان باشا واللبنانيين في البقاع ابلى اللبنانيين فيه بلاء حسنا في اول الامر (١) ، ثم عاد العسكر فنهب الفرزل والمعلقه وحدثت موقعه ما بين جنود عباس باشا والثائرين المرابطين في ظاهر بيروت في اواخر حزيران استمرت من الظهر الى المغيب رجحت فيها كفه اهل البلاد (٢) وجرت موقعة ثالثه في سن الفيل تغلب فيها الجيش على الثوار وتبعهم الى المكلّس (٣) وحدث قتال شديد بجوار صيدا استبسل فيه الثوار وكان اكثرهم من الديريين الذين كانوا قد عادوا الى العصيان . وفي الوقت نفسه كان الامير بشير مجدا في مفاوضة اهل البلاد المحايدين ليعرف موقفهم الحقيقي وفي مخابره الثوار ليثني عزمهم عن المقاومه ويلقي بذور التخاذل في صفوفهم ، فدعيا اهل الشوف الى اجتماع في مرج بعقلين وطلب منهم ايضاح موقفهم بازاء الحكومه والثائرين فأجابوا (٤) :

١— انهم بقلب واحد درزي ونصراني .
٢— ان يعطوا سلاح .
٣— ولا يقدموا نظام .
٤— لا يعطوا فرده .
٥— لا يعطوا ميري سوى مال واحد .
٦— لا يدعوا نظام تدخل البلاد .
٧— لا يحاربوا احد من البلاد الا اذا كان قصده يحارب سعادته .

غير ان كثرة الوعود ، وضغط الجنود من جهات مختلفه ادى الى وقف رحى القتال في جهات صيدا ، وتفرق الثوار الى اوطانهم فتشتت المرابطون في ظاهر بيروت وتفرق زعمائهم (٥) .

---

(١) ابو عز الدين ، عن حروب ابراهيم باشا : ٣٦-٣٧ ، الدمشقي تاريخ حوارن : ص١٧ .
(٢) المؤلف نفسه : ص٣٩ . اخبار الاعيان ٥٩٣ ، المعلوف نوادر الزمان : ص: ٢٠ .
(٣) المؤلف نفسه : ص: ٤٣ ، اخبار الاعيان : ٥٩٣ ، رستم تاريخ : ٢٠٩ .
(٤) المؤلف نفسه : ص: ٣٦ —٣٧ ، ابو سمرا غانم : ٤٥٣ ، الدمشقي : ص١٧ ، قرأ لي فتوحات : ٧٩ .
(٥) المؤلف نفسه : ص٤٤- ٤٥ ، اخبار الاعيان : ٥٩٥ ، المعلوف : ص: ٢٠ ، قرأ لي فتوحات : ٨٠ ، الدبس ٨ : ٦٥٨ ، مشاقه تاريخ : ٨٥٧-٨٥٨ ، مختصر تاريخ سوريه : ٢١٩ .

ودخل عثمان باشا مقاطعه المتن من جهه البقاع ، وانحدر قسم من جيشه الى حمانا ونهبها فحصل بين العسكر قتال شديد انجلى عن بضع مئات من القتلى من الجانبين . وكانت خاتمه الاعمال الارهابية في اواسط تموز اذ هاجمت عساكر عباس باشا القرى الواقعه بجوار بيروت ، وهي المكلّس والمنصوريه وبيت مري وبطشيه ، ووادي شحرور فنهبوها واعملوا فيها السيف والنار (١) ، وانقطع الثوار عن مواصله القتال (٢) .

ثم ذهب عباس باشا بعسكره الى بيتدين وعاد منها الى بيروت فلم يلاق ادنى مقاومه وشرع الامير بشير في جمع السلاح من انحاء لبنان ومطارده زعماء الثوار والقبض عليهم . وفي ٧ آب سنه ١٨٤٠ ارسل الذين قبض عليهم من زعماء وغيرهم الى الاسكندريه بحرا وكان عددهم سبعه وخمسين شخصا بينهم اربعه من الامراء الشهابيين وهم الامراء فاعور قعدان من عبيه ، وفارس حسن من كفر شيما ، ويوسف سلمان من الحدث ، وحمود سلمان من الحدث ايضا . واربعه من الامراء اللمعيين وهم الامير حيدر من صليما وعبد الله شديد مراد من فالوغا وعلى منصور قائد بيه من برمانا ، وعلى فارس من بسكنتا . والشيخ نقولا الخازن . والمشايخ حمود ابو نكد وولده قاسم وعباس ناصيف ابو نكد (٣) ، وابراهيم الشامي ، وغالب الشدياق ، ويوسف الشنتيري ، وطنوس عبد النور (٤) . وبعد وصولهم الى الاسكندريه ابعدوا الى سنار في بلاد السودان .

---

(١) ابو عز الدين : عن حروب ابراهيم باشا ج ٢ ، ص٤٣–٤٥ ، قرألي فتوحات : ٨٢ .

(٢) اخبار الاعيان : ٦٠٠ ، الدمشقي مخطوط تاريخ حوران : ص١٠٠ .

(٣) ابو عز الدين : ٢٦٩ ، المعلوف نوادر الزمان ، ص ٢٠ .

(٤) ابو عز الدين : ٢٦٩ ، الدمشقي : ص ١٨ ، المعلوف نوادر الزمان : ص٢٠ ، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠ : ٨٦ . Paton, Vol,2,p 533

تدخل الدول الاوروبيه لاخراج ابراهيم باشا من بلاد الشام

كما ذكرنا قامت الحمله المصريه على بلاد الشام ، بقيادة ابراهيم باشا وبدأت طلائعها في ٢٣ تشرين الاول سنه ١٨٣٠ ، وتمكن ابراهيم باشا من دخول عكا في ٢٧ آذار سنه ١٨٣٢ ، ثم دخل دمشق وحمص وعبد جبال طوروس بعد معارك مختلفه بينه وبين الجيش التركي (١) .

ووصل في ١٩ كانون الاول سنه ١٨٣٢ الى قونيه ، ومنها تحرك الى كوتاهيه ، وفتحت الطريق امامه الى الاستانه ، لكن والده اثر التريث لتحرج الموقف من الناحيه الدوليه (٢) .

ولا شك ان تلك الانتصارات المتلاحقه دلت على ماكان لمحمد علي من القوه وقتئذ ، من القوه العسكريه وضعف الجيوش العثمانيه . حيث ان السلطان محمود كان مشغولا بنظم جيش جديد ، وبعد ان الغى الانكشاريه . ووقع الخلاف بينه وبين محمد علي . مما اضطر السلطان الى الاستعانه بالدول الاوروبيه (٣) .

فانتهزت روسيا هذه الفرصه — لتقويه نفوذها في تركيا — وجعل سيطرتها عظيمه على الباب العالي فأظهرت استعدادها لمساندتها ضد محمد علي . وارسلت الى الاستانه الكونت موراقييف ليعرض خدمات روسيا على الدوله العثمانيه ، واستعداد مواقييف للسفر الى الاسكندريه ، لاخبار محمد علي بحل المشكله سلميا .

---

(١) ابو عز الدين نقلا عن حروب ابراهيم باشا المصرى في سوريه والاناضول ج ١ ص ١٢ ، ابو عز الدين ٧٥-٨١ ، كرتييس ابراهيم باشا : ١٨٠-١٩٠ ، كشف اللثام : ٥٠٠ ، رستم اسباب الحمله المصريه على بلاد الشام : ٥٢-٦٢ ، بركات البطل الفاتح : ١١٠ ،

st Jhon vol,2,pp 486-490

(٢) اخبار الاعيان : ٦٩ Wilkinson p 548 - Paton vol,2,p117 كرد علي خطط ٥٦:٣ ،

(٣) رستم تاريخ مقتطف ٣٠ : ٩٩٢ Paton vol,2,pp 122-125 الدبس ٨ ، تاريخ سوريا : ٨٥ : ٦٥٥ ، ابو عز الدين : ٩٤ ، مصطفى كامل المسأله الشرقيه : ١٢٨ .

وفي ١٨ نيسان سنه ١٨٣٣ ، وقعت اتفاقيه كوتاهيه بين محمد علي والدوله العثمانيه . ومما جاء فيها ان تتنازل الدوله لمحمد علي عن ولايات ،عكا ونابلس ، وصيدا ، وبيت المقدس وادنه ، وجزيرة كريت ، ويرحل عن الاناضول مقابل مال معلوم . يدفعه كل سنه قبل انه ستون ألف كيس وذلك لمدة خمس سنين ، والسلطان" لا يسأل محمد علي غير ذلك ، والخطبه تلقى بالمساجد باسم السلطان"(١)

فجاء الاسطول الروسي الى مياه البسفور ، وجعل مرساه امام سراي السلطان وبعد وصوله بأيام قليله ، وصل جزء من الجيش الروسي الى الاستانه واقام بها . فهاجت لذلك انكلترا والنمسا وفرنسا ، وطلبت من الدوله العثمانيه الاسراع بالاتفاق مع محمد علي ،وابعاد العساكر الروسيه عن اراضي الدوله . وطلبت الدول الاوروبيه من روسيا ، ان تسحب اسطولها من مياه البسفور وجنودها من اراضي الدوله فأجابت الطلب الا انها لم تنفذه ، الا بعد أن امضت مع الدوله على معاهدة خنكار اسكلسه التي جعلت لروسيا نفوذا قويا وسلطه عظيمه (٢) .

وقد علمت فرنسا وانكلترا بهذه المعاهده ،وعملت كلتاهما على ابطالها ولكن مسعاهما لم ينجح . وتكدرت بذلك علائقهما مع روسيا (٣) .

ورأى محمد علي سوء النيه ،ودس الدسائس ،فاتصل بقناصل انكلترا وفرنسا والنمسا في اواخر صيف سنه ١٨٣٤ ،معلنا رغبته في الاستقلال ،وكتب هؤلاء الى

---

(١) حروب ابراهيم باشا المصرى ١ : ٣١ ، كشف اللثام: ٥٠٢ ، رستم المقتطف ٣٠ : ٦٣ ، بركات: ١٢٢ ، مجلة الكليه ١٥ : ٢٧٥-٢٧٧ ، Paton Vol,2,p101. st Jhon Vol,2,p525

(٢) بركات: ١٢٨ ، الرافعي عصر : ٣٢٧ ،كرتبيس: ٨٨ ، st Jhon vol,2pp525-528 ابو عز الدين : ٢٣١ ،المسأله الشرقيه : ١٣٥-١٣٦ ، رستم تاريخ المقتطف ٣٠ : ٩٩٣ ، مجله الكليه ١٥ : ٢٧٥ -٢٧٧ ، كشف اللثام : ٥٠٤ ، الدبس ٨ : ٦٥٦ ، الايوبي محمد علي : ٨٧ .

(٣) لتشوفسكي الشرق الاوسط: ٣٧٠ ، نار المطار تاريخ سوريه في العصور الحديثه : ١٧٦ ، كشف اللثام: ٥٠٧ ،رستم بشير ٢ : ١٥٨-١٦٢ ، الدبس ٨ : ٦٥٢ ، كرد علي خطط ٥ : ٦٢ ، Napier, charles the war in syria vol,1, p33

حكوماتهم بذلك فجاء الرد بالرفض . لكن طلبه هذا اقلق البريطانيين وأقض مضجعهم ، لانهم رأوا في طموح محمد علي تهديدا لسلم طالمانشدوه ، وسببا لتدخل الروس وتطبيقا لمعاهدتهم المشئومه ، وذهب بعضهم الى ابعد من هذا ، فقال بوجود تفاهم ضمني بين محمد علي وبين الروس(١) .

الان سنرى كيف تدخلت الدول الاوروبيه في سوريه واخرجت ابراهيم باشا فيها ارسل الانكليز في كانون الثاني سنه ١٨٣٥ ، السيد ريتشارد وود الى جبل لبنان ، ومن أجل التفاهم مع الامير بشير الثاني ، والخضوع للسلطان ، واشار اليه الى فصل بر الشام عن محمد علي ، والحاقه ثانيه بالسلطنه الا ان الامير بشير رأى في هذا العمل ، بأنه سيؤدي الى حروب طاحنه ، وان الدوله اذا عادت الى سوريه لم تجد سوى الحجاره . فعزا وود هذا التردد في نفس الامير ، الى نفوذ فرنسا عليه .

فالتفت وود الى الامير بشير قاسم وفاوضه بما فاوض به بشير الثاني ، فأبدى استعداده للتعاون مع الانجليز ، شريطه امداده بالسلاح (٢) .

ثم قام وود يبث دعايته بين الموارنه والدروز ضد محمد علي . واخذ يتعلم العربيه على الخوري ارسانيوس الفاخوري . واستطاع ان يبعد الموارنه عن فرنسا كما سنرى فيما بعد (٣) ، واتصل بالدروز وأبان لهم خطأهم في الابتعاد عن الدولة

---

(١) حروب ابراهيم باشا المصري ١ : ٣١ ، كشف اللثام : ٥٠٢ ، رستم المقتطف ٢٠ : ٩٣ ، بركات : ١٢٢ ، مجلة الكليه ١٥ : ٢٧٥ — ٢٧٧ ، st Jhon vol,2,p 529.

Paton vol,2,p527

(٢) بركات : ١٢٨ ، الرافعي عصر : ٣٣٧ ، كربتيس : ١٨٨ ، Napier vol,1, p40 ابو عز الدين : ٢٣١ ، المسألة الشرقيه : ١٣٥ — ١٣٦ ، رستم ، تاريخ المقتطف ٢٠ : ٩٣ ، مجلة الكليه ١٥ : ٢٧٥ — ٢٧٧ ، كشف اللثام : ٥٠٤ ، الدبس ٨ : ٦٥٦ ، الايوبي ، محمد علي ٨٧ .

(٣) لتشوفسكي الشرق الاوسط : ٢٧٢ ، نار العطار تاريخ سوريه في العصور الحديثه : ١٧٦ ، كشف اللثام : ٥٠٧ ، رستم بشير ٢ : ١٥٨ - ١٦٢ ، الدبس ٨ : ٦٥٢ ، كرد علي خطط ٥ : ٦٢ ،

Paton vol,2,pp 528-530

العثمانيه ، وأكدّ لهم عوده الاتراك الى الحكم وبعد ذلك رفع تقريرا الى سفيره في الاستانه (١) .

وعمل وود هذا دفع اللبنانيين الى رفع شكاوى وعرائض استرحام سنه ١٨٣٦ ، الى الباب العالي ، والى سفارتي انكلترا وفرنسا في الاستانه من أجل رفع مظالم ومفارمه حكومه محمد علي واعاده حكم السلطان العثماني (٢) .

ويظهر ان التقرير الذي رفعه وود كان فيه بعض المغالاه (٣) ، الا انه كان ولا شك من الاسباب التي دفعت الدول الاوروبيه المتحالفه والموقعه على اتفاق ١٥ تموز سنه ١٨٤٠ ، الى التعجيل في استعمال الشدّه لحل المشكله السوريه واخراج محمد علي باشا من سوريه (٤) .

وكانت نوايا الانكليز قد بدأت تظهر بذلك حينما بدأ قناصلها في تسهيل فرار رجال الاسطول العثماني ، الذي سلم خيانه الى مصر (اثر موقعه تزب ٢٤ حزيران سنه ١٨٣٩ ، سلم احمد باشا القبوذان في ٤ تموز ١٨٣٩) . وكان بالمرستون رئيس الحكومه الانكليزيه قد صرّح سنه ١٨٤٠ بأنه موافق على ايه خطه تعيد الرعايا في بلاد الشام الى السلطان (٥) . وكان محمد علي في هذه الاثناء يرسل

---

(١) المسأله الشرقيه ، ١٣٦-١٣٨ ، الدبس ٨ ، ٦٥٤ ، كشف اللثام : ٥٠٨ ، رستم بشير ٢ : ١٥٨ ، Napier Vol, p 201

(٢) المسأله الشرقيه : ١٣٨ ، العطار : ١٠٨ ، كشف اللثام : ٢٠٨ ، حروب ابراهيم باشا المصري : ٤٢ ، Paton, vol, 2, p590

(٣) حيث كان وود قد ضخم الاحداث والامور عن ثورات اللبنانيين وهذا كان له رده فعل عند دول الحلفاء .

(٤) كانت الدول الموثقه على اتفاق ١٥ تموز سنه ١٨٤٠ ، لاتفاقيه لندن ، هي انكلترا والنمسا وبروسيا وروسيا ، كل دول اوروبا ماعدا فرنسا . ونصت الاتفاقيه ان يرد محمد علي كل سوريه ، للدوله باستثناء عكا له فقط مده حياته وانه ان لم يخضع لاوامر الدول في مده عشره ايام اخرى ، لا نترك له مصدر نفسها . Napier, vol, 1, p212
مجله الكليه ١٥ : ٢٧٨ ، كشف اللثام : ٥٠٨ ، رستم بشير ٢ : ١٦٦-١٦٧ ، الايوبي محمد علي : ٨٨ ، مشاقه تاريخ : ١٦١ .

(5) Napier, p 213

النجدات الى سوريه بواسطه السفن العثمانيه ، ليما علم قائد الاسطول الانكليزي في المتوسط بخبر ثوره اللبنانيين ، والجنود التي ارسلها محمد علي . ارسل بعض سفنه بقيادة تشارلز نابيه الى بيروت لمراقبه الموقف عن كثب . ومكث هناك حتى اوائل آب سنه ١٨٤٠ (١) .

ثم عاد بعد ذلك للانضمام للاسطول ، ولكن وهو في الطريق أتته تعليمات تقضي برجوعه الى بيروت ، وزيد عدد السفن التي وضعت تحت قيادته . وتسلم نسخه من اتفاق ١٥ تموز الذى عقد بين الدوله العثمانيه وحلفائها لاخراج محمد علي من سوريه ، وبموجب ذلك الاتفاق كان محمد علي قد اعطي مهله عشرين يوما من تاريخ تبليغه مضمونها ليعلن قبول شروطها (٢) .

وبعد ان وصل نابيه الى بيروت في ٢ آب سنه ١٨٤٠ ،عمل على ابلاغ محمود نامي بك متسلم بيروت ان انكلترا والنما وروسيا وبروسيا قد قررت اعاده سوريه الى السلطان العثماني ، وطلب منه كذلك ان يضع تحت حمايته (نابيه) الجنود العثمانيين التي ارسلهم محمد علي الى بيروت . وان يعيد الى اهل لبنان السلاح الذى نزعه منهم ، كما انه يحذره من القيام بأى عمل عدائي (٣) .

كما واتصل نابيه قنصل انكلترا في بيروت ، وابلغه بأن يتصل بقناصل الدول والتجار البريطانيين في بيروت . ويخبرهم بأن الدول قررت عوده سوريه الى السلطان (٤) ، كما اتصل بالامير بشير شهاب حاكم جبل لبنان ، يطلب منه اطاعه السلطان ، وكذلك ارسل رساله الى الامير بشير قاسم ملحم شهاب كل الامير بشير قاسم عمر شهاب (حاكم الجبل) يطلب منه ان ينحاز الى جانب السلطان ويعده بالمساعده (٥) .

---

(١) المسأله الشرقيه : ١٣٩ ، رستم بشير٢ : ١٦٨ ، المطار : ١٨٠ ، الدبس٨ : ٦٥٣ ،
Napier vol,1, p150

(٢) ابو عز الدين : ٢٧٦ ، كربتيس ابراهيم باشا : ٢٥٣ ، رستم تاريخ المقتطف ٣٠ : ٦٩٤ ، كشف اللثام : ٥١٠ ، المسأله الشرقيه : ١٤٠ ،

(٣) كشف اللثام ٥١٠ ، كربتيس : ٢٥٤-٢٥٦ ، الرافعي عصر محمد علي : ٣٢٦-٣٢٨ ، الدبس٨ : ٦٥٤ . st Jhon,vol,2,p532

(٤) بركات البطل الفاتح : ١٥٩-١٦٢ ، المسأله الشرقيه : ١٤٢ ، Napier,p,48 لتشوفسكي الشرق الاوسط : ٣٨ ،

(5) رستم بشير٢ : ١٧٠ ، كشف اللثام : ٥١٠ ، الايوبي ، محمد علي : ٨٨ ، مشاقه تاريخ : ٨٦٢ . Paton vol,2,p532

بحجز السفن المصريه التي تحمل المؤن والمهمات الحربية للجيش المصرى في سوريه (١) .

وفي هذه الاثناء ٢٠ آب سنه ١٨٤٠ وجهت الى بيروت قوات بحريه بريه مختلطه من انكليز ونمساويين وعثمانيين بقياده السر روبرت ستوبفورد . وكانت قوات الحلفاء من عشرين سفينه انكليزيه ، وثلاث سفن نمساويه يقودها بندييرا . وثلاث سفن عثمانيه بقياده القبطان الانكليزى ووكر (٢) .

وكانت القوات البريه مكونه من ٥٣٠٠ رجل من العثمانيين و ١٥٠٠ رجل من الانكليز ومائه من النمساويين وكان قائد القوات البريه السيد تشارلز سمث وكان مريضا فتولى القياده للقوات البريه تشارلز نابيه (٣) .

أما القوات المصريه في سوريه ، فكانت حوالي ٨٠ ألف رجل . منها في بيروت تحت قياده سليمان باشا ١٥ الف ، وفي صيدا ٣ آلاف وفي طرابلس ٥ الاف ونحو ١٠ الاف في بعلبك ، وما بين اربعين وخمسين الفا في سائر البلاد السوريه (٤) .

وكان الجيش المصرى قويا في عدده وعدده وبحسن النظام اكثر رجاله وامتداد قواده ، الا ان قوه اساطيل الحلفاء ، كانت تفوق الجنود البريه قوه اذا جرت الحرب بقرب الشواطيء نظرا لبعد مرمى السفن الحربيه ، كما ان استيلاء الانكليز على خط المواصلات البحريه ما بين مصر وسوريه جعل الجيش المصرى في سوريه تحت الحصار . وفي ذلك ما فيه من التأثير المادي والمعنوي في حاله الجيش . هذا بالاضافه الى ان الحكومه المصريه كانت بعد

---

(١) المسأله الشرقيه : ١٤٣ ، رستم بشير٢ : ١٧٥-١٧٦ ، الرافعي عصر محمد علي : ٣٤٠ ، حروب ابراهيم باشا المصرى ١ : ٤٢ ،

(٢) Napier Vol,1,p50 ، محمد كرد علي خطط ٥ : ٦٤ ، بركات البطل الفاتح : ٢٠٠ ، ابو عز الدين : ٢٧٩ .

(٣) المسأله المصريه : ١٤٣ ، كشف اللثام : ٥١١ ، محمد كرد علي : ٦٤-٦٥ ، الدبس ٨ : ٦٥٩ .

(٤) Paton,Vol,2,p,p533 ، كريتيس ابراهيم باشا : ٢٦٠ ، كشف اللثام : ٥١١ ، الايوبي محمد علي : ٨٩ ، كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلاميه : ٧٦ ، مشاقه تاريخ : ٨٦٢ .

موقعه نزى أمسكت مرتبات الجند مددا تتراوح بين اربعه عشر شهرا ، وكان بين هؤلاء الجنود كثيرون من السوريين الذين يرغبون في التخلص من نير الحكومه المصريه ، هذا اضافه الى ان اللبنانيين كانوا شديدى النقمه على حكومه محمد علي (١) .

على ان الضربه قاصمه الظهر لم تأت من اعداء محمد علي بل من اصدقائه الفرنسيين فان المسيو تيارس ، رئيس الوزاره كان قد غرر بمحمد علي ودفعه الى رفض شروط الحلفاء ، ووعدته الحكومه الفرنسيه بأن تمده بالمال وبمائه ألف جندى ومائه واربع سفن . الا ان فرنسا لم تستطع ان تقدم شيء لمساعده محمد علي ، في محنته واستقالت حكومة تيارس وجاءت حكومه جيزو مساعده محمد علي (٢) .

وهكذا اصبح محمد علي في عزله تامه ، بعد ان صار في حاله حرب مع خمس من الدول الكبرى (٣) . وصل روبرت ستوبفرد قائد الحلفاء ، الى بيروت في ٩ أيلول سنه ١٨٤٠ ، وقرر نزول الحلفاء في جونيه حيث يسهل الاتصال باللبنانيين ، ويسهل توزيع الاسلحه عليهم (٤) . وفعلا بدأ بانزال الجنود في ١٠ أيلول وسلم اللبنانيين السلاح ، وكان من بينهم حاكم كسروان عبدالله حسن شهاب ، ابن اخ الامير بشير شهاب حاكم جبل لبنان ، وكان يرابط في منطقه عبدالله عثمان باشا ، احد كبار قواد ابراهيم باشا (٥) .

واحتلت الجنود العثمانيه ، **عزيز وجريصه وزوق** ميكائيل من البلاد الكسروانيه وبعد ان ثبتت ، عساكر السلطان اقدامها في جونيه وجوارها (٦) .

---

(١) ابو عزالدين نقلا عن Napier Vol,1,p54 ، العطار : ١٨٢ ، كشف اللثام : ٥١١ .

(٢) بشير٢ : ١٧٦—١٨٠ ، رستم تاريخ مقتطف ٣٠ : ٩٩٥ ، مجله الكليه ١٥ : ٢٧٨-٢٨٠ .

(٣) St Jhon Vol,2,pp535-536 ، الرافعي عصر محمد علي : ٣٣٦ ، محمد كرد علي خطط : ٦٤ .

(٤) كشف اللثام : ٥١١ ، المسأله الشرقيه : ١٤٣ ، نقلا عن ابو عزالدين : Napier pp 51-55 ، الدبس ٨ : ٦٥٩ .

(٥) رستم بشير٢ : ١٨٢ ، كربتيس ابراهيم باشا : ٢٦٣ ، الرافعي ٣٤١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب : ٧٧ .

(٦) ابو عزالدين نقلا عن Napier Vol,1,pp56-60 ، حروب ابراهيم باشا المصرى ٢ : ٥٢ .

أخذ الاسطول في اتخاذ التدابير لاحتلال المدن الساحليه، ففي ١١ ايلول ضرب الاسطول الانكليزي والنمساوي بيروت، ان الجنود لم يتمكنوا من دخولها . وفي ١٢ و ١٣ ايلول سنه ١٨٤٠ استولى الحلفاء على جبيل التي سهلت لهم الاتصال بعد ذلك بأهل البلاد المجاوره . فأقبل الكثيرون منهم على تسلم السلاح، والمحاربه الى جانب الحلفاء (١) .

وفي ١٥ ايلول استولى الحلفاء على البترون ثم استولوا على حيفا في ١٧و١٨ ايلول سنه ١٨٤٠، كما استولوا على صور في ٢٤و٢٥ ايلول سنه ١٨٤٠ (٢) .

اما الاستيلاء على صيدا فكان في ٢٦ ايلول سنه ١٨٤٠، حيث هاجمها ثمان من السفن بقياده نابيبه، ونحو الف مقاتل، فرفضت حاميتها التسليم، وكانت مقدره بنحو ثلاثه الاف مقاتل . فضربها الحلفاء ودخلوها واسروا معظم حاميتها (٣) .

وكان لسقوط صيدا في ايدي الحلفاء، وقع سيء في نفس ابراهيم باشا، لقربها من جنوبي لبنان الذي يقيم فيه حاكم الجبل ولذهاب حاميتها كلها بين قتيل وأسير (٤) .

وكان في هذه الاثناء قد غادر الامير بشير قاسم ملحم معسكر المصر بين، القريب من بيوت وانضم الى معسكر الحلفاء وتلقوه بالاكرام، وعند وصوله الى جونيه صعد الى الجبل ليتولى قياده اللبنانيين الذين كانوا يراقبون حركات ابراهيم باشا (٥) .

أما الامير بشير الثاني الشهابي حاكم جبل لبنان، فانه اتصل بالحلفاء سرا وأبدى استعداده للانضمام اليهم شريطه ابقاؤه حاكما على منطقة الجبل . واعطوه مهله حتى يصل ويحضر اولاده وبحضرته من عسكر ابراهيم باشا والا ضربه (٦) .

---

(١) كشف اللثام: ٥١١، كريتيس ابراهيم باشا: ٢٦٥، الرافعي، عصر محمد علي: ٣٤٢.

(٢) بشير٢: ١٨٥، العطار: ١٨٣، محمد كرد علي خطط٥: ٦٥، المسأله الشرقيه: ١٤٤،

(٣) Paton,vol,2,p541، حروب ابراهيم باشا المصري ٢: ٥٨، الدبس ٨: ٦٦٠.

(٤) كشف اللثام: ١٥٢، Napier,vol,1,p125، مشاقه تاريخ مقتطف ٣٠: ٨٦٢.

رأى الحلفاء ان يهاجموا بيروت من البر والبحر ، فتحرك اللبنانيون والحلفاء برا وبحرا عن طريق جونيه وبرد كسروان ، نحو بلاد القاطع على ان يكون الملتقى بحر صاف . وكان سليمان باشا قد ادرك الخطر . فأخلى بيروت في ٩ تشرين اول ، وكان ابراهيم باشا ومن معه في هذه الاثناء يحتلون موقعا حصينا في بحر صاف . فاحتل الحلفاء موقعا حصينا آخر بازائهم (١) .

وعمل نابييه على خطه تقضي بمهاجمه بعض اللبنانيين الجنود المصريين من الخلف ، وفعلا في ١٠ تشرين اول اطلق الرصاص . على مؤخرة المصريين ، وتقدم نابييه بجنوده وانصاره اللبنانيين لمقاتله المصريين وكانت النتيجه ان انهزم المصريون (٢) ، وكان ابراهيم باشا معه شرذمه من رجاله وانسحب وسليمان باشا الى البقاع . والفرقه التي تركت في بيروت سلمت مع قائدها الى الحلفاء في تشرين اول سنه ١٨٤٠ (٣) .

اما الامير بشير الكبير فقد انتهت مهله التسليم التي اعطيت له في ٦ تشرين اول ، ولم ينضم الى الحلفاء ، فصدر فرمان بعزله . وولي بدلا منه على جبل لبنان الامير بشير قاسم ملحم شهاب . وكان بعد انكسار ابراهيم باشا في بحر صاف وانسحابه وسليمان باشا نحو البقاع (٤) .

وذهب الامير بشير الكبير الى صيدا في ١٢ تشرين اول ومنها ارسل الى بيروت حيث تقرر ابعاده الى مالطه واذن له ان يستصحب عائلته واتباعه . واستبقت الحكومه لـه املاكه في لبنان وحمل معه امواله . وقيل انه كان لديه من النقود الذهبيه ثمانيه عشر الف كيس (٥) .

---

(١) المسأله الشرقيه : ١٤٥ ، بركات البطل الفاتح : ٢٠٠ ، رستم تاريخ مقتطف ٢ : ٢٩٦ ،
(٢) نادر المطار : ١٨١ ، المسأله الشرقيه : ١٤٦ ، Napier p 172
(٣) Napier pp 197-211 ، ابو عز الدين : ٢٩٢ ، حروب ابراهيم باشا المصري ٢ : ٦٠ .
(٤) كشف اللثام : ٢١٢ ، بشير ٢ : ٤٠٥ ، كرتبيس ابراهيم باشا : ٢٦٥ ، الدبس ٨ : ٦٠٠ ،
(٥) نقلا عن ابو عز الدين ، Paton vol,2, p 570 محمد كرد علي خطط ٥ : ٦٥ ، الرافعي عصر محمد علي : ٣٤٩ .

بعد انسحاب ابراهيم باشا وسليمان باشا ،كانت الحاميه المصريـــــه الموجوده في طرابلس واللاذقيه وأدنه قد أجليت بدون قتال . ولم يبقى على الحلفاء الا ان يستولوا على عكا وهي المدينه الحصينه (١) .

تقدمت القوات البريه والبحريه من عكا في ٢ تشرين الثاني سنه ١٨٤٠ ، وكانت قوات الحلفاء البحريه مؤلفه من واحد وعشرين سفينه حربيه منها سبع عشــــره سفينه انكليزيه . اما حاميه عكا فكانت مؤلفه من نحو خمسه الاف مقاتل ، وكانت عكـــا محصنه تحصينا قويا (٢) .

وفي ٣ تشرين الثاني ،ابتدأ الهجوم على عكا ،فسلطت جميع السفـــن قذائف مدافعها على المدينه واسوارها فكان القصف كما يقول سليمان ابو عز الديـــن جهنميا كما وصفه احد الشعراء بقوله :

قالوا بان جهنما تحت الثـــرى ... مالي أراها فوق عكه تضـــــرم
لو لم تكن دار الشقاوه عكـــه ... ما امطرتها بالشرار جهنـــــم (٣)

ورغما عن بساله الحاميه ، وقيام رجال المدفعيه بدفاع مجيد ، لم يكـــن في استطاعته احد الثبات طويلا . فكانت هناك اربعمائه وسبعين مدفعا علــــى موقع لا يزيد طوله عن ثلاثه الاف وثلاثمائه قدم وعرضه عن الف وخمسمائه قدم (٤) .

---

(١) نادر المطار ، سوريه ، : ١٨٢ —١٨٣ ، المسأله الشرقيه : ١٤٦ .

(٢) بركات، البطل الفاتح : ٢١٠- ٢١٢ ، ابوعز الدين : ٢٩٣ .

(٣) لا يذكر سليمان ابو عز الدين في ابراهيم باشا في سوريه اسم الشاعر الذى اخذ عنه : ٢٩٣ .

(٤) رستم بشير ٢ : ٢١٥ -٢١٧ ، كشف اللثام : ٥١٢ ، كرد علي خطط ٣ : ٦٦ ابو عز الدين : ٩٤ .

ومما زاد في الدمار لحق في المدينه ان قذيفه اصابت مخزن الذخائر فانفجر فدمر ما حوله . وكانت الخسائر من ذلك الف وخمسمائه من الانفس اكثرهم من جنود الحاميه ، اما حاكم المدينه فانسحب منها ليلا مع بعض الجنود والاتباع ودخل الحلفاء المدينه في صبيحه اليوم التالي (١) .

على اثر سقوط عكا في ايدى الحلفاء في ٣ تشرين الثاني سنه ١٨٤٠ ، سلمت حاميه يافا وقدم النابلسيون خضوعهم . وصار الانقلاب شاملا على حكومة محمد علي . فدخلت المسأله السوريه دورها النهائي واصبح ابراهيم باشا وجيشه غرباء في ارض اعداء ولم يبقى امامهم سوى التعرض للهلاك ، او الجلاء وهذا ما كان (٢) .

(١) ابو عز الدين : ٩٤ ، بركات البطل الفاتح : ٢١٧ ، مشاقه تاريخ : ٨٦٥ .

(٢) المطار : ١٩٥ ، ابو عز الدين : ٩٤ .

تقييم حكومة محمد علي في سوريه

لعل الباحث يخطيء في الحكم على الرجل اذا عزا فشله الى قصر نظره، و سوء تصرفه، فقد حاول محمد علي في سوريه الاصلاح ففشل وتجمع عليه الاعداء من كل حدب وصوب.

أخطأ محمد علي في محاوله احتكار الحرير واكثار الضرائب في سوريه، وأخطأ في محاوله جمع جيش من السوريين يحارب السلطان، ثم اخطأ في استفزازه الدروز واللبنانيين، بعد ان وعد بحمايته استقلال لبنان والحفاظ عليه، وأخطأ عند ما حاول ان يطبق في سوريه نفس ما طبقه في مصر دون حساب الفارق. وربما كانت غلطته الكبرى ان لم يتابع سيره الى القسطنطينيه عند ما كان جيشه على بعد يسير منها، ولو فعل لاضفى على المسأله الشرقيه طابعا ينحل دونه كل اتفاق اوروبي، الا انه تريث وتراجع، وافسح بذلك لاعدائه المجال للدس والتآمر.

على ان فشله يعود في قسم كبير منه الى اعتماده على فرنسا، وثقته بها الى حد اودى بامبراطوريته الواسعه الفتيه، والواقع ان كلا من الصديقين اخطأ في الحكم على الاخر، فقد اثارت اعجاب فرنسا الانتصارات الكبرى التي تمت على يد ابراهيم ضد قوات تتفوق على جيشه بنسب كبيره في العدد، في حين كانت تلك الانتصارات تعود الى فقدان النظام في الجيش العثماني وضعف قيادته من ناحيه والى قوه الجيش المصري، وقدره ابراهيم باشا العسكريه من ناحيه ثانيه وقد اخذ الفرنسيون في الاعتبار الثاني واهملوا الاعتبار الاول، وحسبوا ان قليلا من المساعده يكفي المصريين لرد اية قوه اوروبيه تحاول الاعتداء عليهم فجاء حسابهم خاطئا ادى الى هذه النتيجه.

اما محمد علي وابراهيم، فقد كانا يعرفان قوتهما حق المعرفه، خصوصا بعد كارثه نافارين الا انهما وثقا بفرنسا. وجرأهما تأييدها السياسي والدبلوماسي على توقع تأييدها العسكري، رغم الفارق الكبير بين الاثنين، فتصلب الاب، وقاوم الابن فاذا بالمعونه الفرنسيه خطب اخلاقيه في مجلس النواب، ومقالات مطوله في الصحف لا تسمن ولا تغني من جوع.

كل ما ادته فرنسا الى محمد علي انها احقدت عليه بريطانيا فتعذر تفاهمه معها واثارت حفيظة روسيا، فتنازلت عن معاهدتها مع السلطان ليسهل اتفاقها مع اصدقائه، وتسببت في انضمام روسيا الى هؤلاء الاصدقاء نكايه بفرنسا وحطا من نفوذها في الشرق، فاذا بأربع دول كبرى تعقد الخناصر على استئصال اسباب الحكم المصري لسوريه والقضاء على محمد علي، وحمايه السلطان، وهكذا وقع المقدر وكان الفشل. على ان هذا الفشل العسكري لم يمح من سوريه الاثار الناجمه عن تلك السنوات التسعه (١٨٣٢ـ١٨٤٠).

تأثير حكومة محمد علي في سوريه

ترى ما الذى جناه محمد علي من احتلال سوريه ؟! لا شيء سوى فقد الرجال وضياع الاموال ، وخراب الديار ، واحلال الدمار محل العمار .

لقد فشل محمد علي كما فشل معظم قادة الشعوب الذين تسول لهم انفسهم وتزين لهم المطامع حب التوسع واكتساح المدن ، وتدويخ البلدان للتسيطر عليها واخضاعها ، فيغلبون على امرهم وتخونهم الحظوظ وينكسون على اعقابهم تاركين ورائهم سلاسل من الويلات والارزاء .

يجب علينا قبل اختتام هذا البحث ان نذكر شيئا صالحا تركت اثره الحمله المصريه في سوريه . من شأنه ان يلطف مرارة الويلات التي نزلت بهذه الديار ، ويحملنا على نسيان العداء الذى كان نحو المصرين .

نستطيع القول ان حكومة محمد علي زالت من سوريه بانسحاب جنوده منها اما تأثيرها ، فلم يزل مع ذلك الانسحاب لانها احدثت في نظام الاحكام انقلابا عظيما فادخلت انظمه جديده للاداره ، والقضاء ، والماليه ، والجنديه . وانفذت في السوريين سلطه محمد علي المقتدر . فكان لذلك تأثيرات جمه في حياة البلاد الاجتماعيه ، والادبيه ، والاقتصاديه ، والاداريه ، والسياسيه ، منها ما كان بعيد المدى فاتصل تأثيره بوقتنا الحاضر (١) .

التأثير الاجتماعي :

من التغييرات التي نشأت عن حكم محمد علي في سوريه ، اطلاق الحريه الدينيه ، ونشر روح الديمقراطيه ، بالضرب على ايدى الزعماء والمتغلبين . ونزع السلطه من ايديهم ، وانشاء العلاقه ما بين افراد الشعب وحكامه مباشره . وتأليف مجالس شوره تمثل الشعب بعض التمثيل ، ولها حق في النظر في الشؤون المحليه بعد ان كان النظر في جميع الشؤون منوطا بحكام مستبدين (٢) .

---

(١) ابو عز الدين : ٣١١ ، ابو سمرا غانم : المصريون المشرق : ٣٠ : ٤٩٩ ، محمد كرد علي خطط ٣ : ٦٦ ، الايوبي محمد علي : ٥٦ .

(٢) ابو عز الدين : ٣١١ ، مخطوطه مشاقه : ١١١ — ١١٣ ، ابو سمرا غانم : ٤٩٩ ، نوفل : كشف اللثام : ٤٩٢ ، مجلة النكليه ١٥ : ٤٥ ، محمد كرد علي : خطط ٣ : ٦٦ ، نقولا ابماد : ٨٢ ، الايوبي : ٥٧ .

وقد كان لوجود ابراهيم باشا في سوريه تأثير في بساطه المظاهر بعد ان كان كبار البلاد يباهون بالملابس الفاخره والمظاهر الخلابه ، وكثرة الاتباع ، وانما كانوا يقلدون في ذلك الحكام العثمانيين . اما ابراهيم باشا فكان ميالا بفطرته الى بساطه المظهر والتخشن في المعيشه . ولعل حياة الجنديه زادته استمساكا بذلك لان احوال الجنديه تقتضي التخشن ، وملابس رجالها بسيطة متماثله لا تمييز فيها بين ملابس كبار الضباط وصغارهم الا بما عليها من العلامات الفارقه (١)

ويروى انه لما جاء ابراهيم باشا بجيشه الى لبنان وحل في دير القمر اقام في منزل حقير لا ينزل فيه امثاله من الوزراء . وذهب ذات ليله لزيارة الامير بشير زياره غير رسميه ، فلم يستصحب احدا من رجال حاشيته بل كان يصحبه احد خدمه فقضى السهره عند الامير في المسامره والتدخين . وكان الامير قبل ذلك لا يعهد في وزراء سوى مظاهر الابهه والترفع عن الناس . فلا تتحرك ركابهم من مكان الى آخر الا وهم مرتدون الملابس الفاخره محاطون بالجند والعظماء . وكان الامير نفسه بل من دونه من الزعماء يجرون على الخطه نفسها كل حسب مكانته أما بعد ان تلقى هذه الزياره الوديه من ابراهيم باشا الخاليه من التكلف البعيده عن الفخفخه ، لم يسعه الا ان يحذو حذوه . وبما ان ابراهيم باشا وهو ابن محمد علي حاكم مصر ، ورأس الحكومه السوريه ، وقائد الجيش العام زاره مستصحبا خادما واحدا فحتى يحفظ النسبه ما بين مقامه ومقام مولاه وهما نازلان عينئذ في مكانيين متقاربين رد له الزياره منفردا (٢) .

وفي عهد ابراهيم باشا في سوريه طرح الامير بشير واولاده العمائم واستبدلوها بالطربوش المغربي اقتداء بمحمد علي وابراهيم باشا ، ورجالهما فتبعهم في ذلك كبار رجال البلاد وغيرهم (٣) .

واظهر ما قامت به حكومة محمد علي من التغيرات الاجتماعيه المساواه بين رعاياها على اختلاف الاديان والمذاهب . اصدر اوامره المشدده بمعاملة المسيحيين كالمسلمين في كافة الحقوق والواجبات . وهو الذى اجاز لهم ارتداء الملابس التي كان يلبسها المسلمون دون سواهم فالمسيحيون ما خلا الذين يقطنون لبنان ، كان محظورا عليهم لبس الحرير ، والاعتمام بالعمائم البيضاء او الخضراء او الحمراء . والانتعال الاحذيه التي من هذه الالوان ، وركوب الخيل والسير في الطريق الى يمين المسلم خصوصا في المدن الداخليه البعيده عن لبنان كحمص وحماه (٤) .

---

(١) مخطوطة مشاقه ١١٣ ، ابو عز الدين ٣١٢ ، ابو سمره غانم المشرق ٣٠ : ٥٠٠ ، اخبار الاعيان ٥٨٨ ، نقولا ابماد ٨٢ .

(٢) ابو عز الدين ٣١٣ ، ابو سمره غانم المشرق ٣٠ : ٥٠٠ ، اخبار الاعيان ٥٨٨ محمد كرد علي ٦٧ ، نقولا ابماد ٨٢ ،

(٣) اخبار الاعيان ٥٨٦ ، محمد كرد علي ٦٧ ، الايوبي محمد علي ٥٨ .

(٤) ابو سمره غانم المشرق ٣٠ : ٥٠١ ، ابو عز الدين ٣١٣ ، المعلوف مخطوط تنهدات سوريه ١٠ .

وأباحت حكومة محمد علي للمسيحيين ما هو مباح للمسلمين من حقوق ، اجتماعيه ووطنيه وقلدت كثيرين من المسيحين الوطنيين والافرنج الوظائف في الجيش والحكومه الملكيه ومنحتهم الرتب والالقاب ويروى عن حنا بك بحرى الذى كان يتولى منصبا رفيعافي حكومه سوريه ان زملاءه المسلمين كانوا لا يعاملونه بالاكرام الذى يستحقونه ويستحقه منصبه وكان محمد علي قد منحه رتبة مير ميران فشكا امره الى ابراهيم باشا .

فهذا لم يحدث احدا عن هذه الشكوى لكنه دخل مره الى مجتمع ضم كبار رجال مجلسه وبينهم حنا بك بحرى فنهضوا واقفين . فقال ابراهيم باشا : " يا بك تقدم نحوى " دون ان يذكر اسم البك الذى طلب تقدمه ولم يخطر ببال احد انه يقصد بحرى بك دون غيره من البكوات الواقفين امامه فتقدم موظف آخر اسمه حافظ بك فقال له ابراهيم باشا : " اني انادى بحرى بك " فرجع حافظ بك الى مكانه وتقدم بحرى بك ولما دنا منه قال له : " تفضل " واجلسه على مقربه منه . اما سائر رجال المجلس فبقوا في اماكنهم وقال لهم " اجلسوا " . فبعد هذا الحادث صار كبار رجال الحكومه يعاملون حنا بحرى بك المعامله اللائقه بمقامه (١) . فيكون ابراهيم قد ساوى بين المسلمين والمسيحيين بالحقوق والواجبات والوطنيه .

وقد تساوى المسيحي والمسلم في كافه المعاملات والتكاليف والغيت جميع الامتيازات التي كان يتمتع بها اقارب الولاه وذوى الاقطاع وهذه الحريه التي تمكنت بها لبنان قد سهلت السبل للاوروبين خصوصا للمرسلين منهم الى دخول البلاد ، لانشاء في كافه الانحاء فكان ذلك فاتحه عصر جديد لانتشار المدنيه والتهذيب (٢) .

وأما بيروت فهي مدينه للدوله المصريه اكثر من سائر المدن الساحليه فبعد ان كانت تابعه ولايه صيدا وعكا استقلت بنفسها واعظم فائده جنتها من حكومة محمد علي هي انشاء الحجر الصحي " الكرنتينا " فيها المدنيه فكان ذلك فاتحة تقدمها على ماعداها من المدن الفنيقيه فظلت متابعة السير في طريق النجاح حتى بلغت المنزله العاليه وقد لقبوها في عهد الاتراك بالدره الغاليه في تاج آل عثمان (٣) .

---

(١) ابو عز الدين : ٣١٤ ، مخطوط طه مشاقه : ٢٧٠ ، رستم بشير ٢ : ٩٧ ، ذكسن البطل - اداره الشام : ١١٢ .

(٢) ابو سمرا غانم المصريون في سوريه ولبنان المشرق ٣٠ : ٥٠١ ،

Jhon, Vol, 3, P. 53.

(٣) ابو سمرا غانم : ٥٠١ ، Paton, Vol, 2, P. 113. ، المعلوف مخطوطه تنهدات سوريه ص : ٩ .

كما سوت حكومه علي بين المسلم والذمي في دفع الضرائب ولم تفرق بينهم في شيء سوى تكليف المسيحيين دون المسلمين دفع الخراج لكنها كلفت المسلمين القيام بالخدمه العسكريه ولم تكلف بها المسيحيين (١) وقد تجاوزت حكومه محمد علي في سوريه حد المساواه بين المسلمين والمسيحيين في امر التسليح فبعد ان كانت قد جمعت او فرضت جمع السلاح من جميع البلاد السوريه عادت في سنه ١٨٣٨ ، فسلحت النصارى لتستعين بهم على مقاتله الدروز (٢) .

وكان التضييق على المسيحيين والافرنج (٣) قبل عهد ابراهيم باشا مثله على المسيحيين الوطنيين فكان الوافدون منهم على سوريه قليلي العدد ولا ، يستطيعون التجول فيها الا وهم مرتدون الملابس الوطنيه او تحت حراسة الجند ، فلما ساح بركهرت في سوريه في اوائل القرن التاسع عشر ارتدى الملابس الوطنية واتخذ لنفسه " اسم الشيخ . ابراهيم "(٤) - وعينت انكلترا قنصلا لها في دمشق المستر فرن سنه ١٨٢٩ ، فلم يستطيع دخول دمشق بل بقي في بيروت مده طويلة الى ان احتل ابراهيم باشا مدينة دمشق في سنه ١٨٣٢ ، فأذن حينئذ للقنصل الجديد بالذهاب اليها فدخل المدينه باحتفال مهيب ولم يجرأ احد من الاهالي ان يبدى اى تذمر او اعتراض لان ابراهيم باشا كان يحكم البلاد بيد من حديد (٥) .

التأثير العلمي والادبي :

لم تقم حكومة محمد علي في سوريه باعمال علميه وادبيه ذات شأن فالمدارس التي انشأها كانت قليله العدد وكانت في معظم الاوقات مشتغله بالفتح وتسكين الاضطرابات واخماد الثورات وقاومة الدسائس والاعتداءات الداخليه والخارجيه . على ان اقيامها في سوريه مهد السبيل لنهضه علميه ادبيه لان تنظيماتها استوجبت

---

(١) ابو عز الدين : ٣١٤ .
(٢) ابو عز الدين نقلا عن مذكرات تاريخيه : ٦٢—٦٥ .
(٣) Paton , Vol,2, P,113.
(٤) ابو عز الدين : ٣١٤ .
(٥) مخطوطه مشاقه : ٢٧٨ ، محمد كرد علي ، خطط الشام ج ٣ ، : ٦٨ ، الايوبي محمد علي : ٦٠ .

اختيار المتنورين لادارة الاحكام والقيام بالاعمال القضائيه والماليه والكتابيه وسهلت قدوم الافرنج من مرسلين دينيين وتجار وغيرهم فأنشأت بواسطتهم المدارس(١) .

كما ان ارسال بعض الشبان لدرس الطب في القطر المصرى واستخدام بعض السوريين في حكومه محمد علي باشا انشأ صله ادبيه دائمه بين القطرين فامتدت تلك الصله ونتائجها الى وقتنا الحاضر (٢) .

وادخلت حكومه محمد علي روحا علميه الى البلاد في اعمالها فأنشأت محجرا صحيا في بيروت كما اشرنا وبذلت اهتماما يذكر في الامور الصحيه وكانت تجرى فيها حسب مشوره الاطباء كما فعلت في دمشق بانشاء مصارف للمياه الراكده ، واستخدام المهندسين في ذلك وفي الانشاءآت التي تحتاج الى معرفه فنيه (٣) .

التأثير الاقتصادي :

لو قدر لحكومة محمد علي الثبات في سوريه لاثرت في حالة البلاد الاقتصاديه أفضل تأثير لان محمد علي كان رجلا عمرانيا طامحا الى توطيد دعائم ملكه عالما على ان العمران دعامه الملك الكبرى . فما قامت به حكومه محمد علي من الاعمال الاقتصاديه من تنشيط زراعه الكرمه والتوت والزيتون (٤) واستخرجت المعادن واشهرها معدن الفحم الحجرى في قرنايل وقيل في نبر بدين ايضا وفي مكان يدعى عين بوقه كما انها استخرجت الحديد من مرجبا في قاطع المتن في لبنان (٥) .

وقد كان لحكومه محمد علي تأثير خاص في نهضة بيروت الاقتصاديه لان اقامه المحجر الصحي فيها اوجبت على جميع البواخر القادمه الى الشواطيء السوريه

---

(١) ابو عز الدين : ٣١٦ ، ابو سمرا غانم المصريون في سوريه ولبنان المشرق ٣٠ : ٥٠٢ .

(٢) مخطوطه مشاقه : ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٣) ابو عز الدين : ٣١٦ ، Paton Vol, P,123.

(٤) ابو عز الدين : ٣١٦ ، مخطوطه مشاقه : ٢١٣ ، Barker,Vol,2, P.256، بركات : ١٤٦ ،

(٥) Barker, PP.209-216-Paton,Vol,2,P.123. ابو عز الدين : ٣١٦ ، ٣١٧ ، بركات : ١٤٧ ، نقولا ابعاد : ٨٢ .

ان ترسنو في مياه بيروت (١) . واجرت تجارب في زراعه السكر ، والنيله ، وشجر البن ، وتربيه دود القز ، وغير انها لم تتمكن من مواصلة هذه الاعمال والتوسع فيها لان البلاد كانت في حالة حرب والحرب والعمران لا يجتمعان فبعد فتح البلاد بزمن قصير قامت الثورات في مختلف انحاء البلاد ، وما كادت تخمد هذه الثورات حتى تجددت الحرب مع الاتراك ثم تلتها محاربه الحلفاء فالانسحاب من سوريه وكان اهل سوريه ومواردها الاقتصاديه مقيدين في اثناء تلك الحوادث بمشيئة الحكومه تتصرف بهم في التجنيد ، والتسخير ، والاحتكار ، وفرض الضرائب ، الثقيله الوطأة . حسبما اقتضته الحاجه ومكنت القوه من تنفيذه . فاشتغل من اشتغل من رجال البلاد في الجنديه ، او الثوره ، او السخره ، وفرّ الى الباديه او البلاد المجاوره من استطاع الى الفرار سبيلا فحرمت الاراضي الواسعه من ايديهم العامله كما ان ثقل وطأة الضرائب والاحتكار ثبطا عزائم من بقي من القادرين على الانتاج وفي اثناء الثورات والحروب دمرت قرى عديده (٢) واهملت الزراعه فقل الانتاج وارتفعت اسعار لوازم المعيشه (٣) ، ولا سيما انها كانت محتكره وقسم كبير منها مطلوب لاعالة الجيش المرابط في البلاد (٤) . واصبح الاهلون في ضيق شديد وبعد ان كانت قد ظهرت بوادر النشاط في اسواق التجاره بسبب تأمين طرق المواصلات الداخليه وتسهيل المعاملات مع البلدان الخارجيه ، كسدت البضاعه ووقف دولاب الاعمال الصناعيه ايضا ولا سيما ان البضائع الاجنبيه اخذت تزاحم المصنوعات الوطنيه واقبل الناس على شرائها لانها كانت ارخص ثمنا من مصنوعات البلاد واجمل منها منظر (٥) .

ورغما عما عرف عن محمد علي من الرغبه الشديده في تنشيط الصناعه لم تتمكن حكومته من تنفيذ رغبته هذه في سوريه نظرا لما سبقت الاشاره اليه من اضطراب الاحوال واشتغالها في الحروب واخماد الثورات.

---

(١) رستم ، بيروت في عهد ابراهيم باشا واعمال الامير محمود نامي بك فيها المقتطف ٣٠ : ١٣١ ، وابو سمرا غانم ، المصريون في سوريه ولبنان ج ٣٢ : ٧٠ ، محمد كرد علي : ٦٧ .

(٢) ابو عز الدين : ٣١٧ .

(٣) اسد رستم ، الاصول العربيه ج ٣-٤ ، ١٧٣-١٧٥ ، ٢٠٨ - ٢١٠ .

(٤) Paton , Vol,2,P,123. ، نقولا ابعاد : ٨٢ .

(٥) مخطوطه مشاقه : ٢٢٢-٢٢٣ ، محمد كرد علي : ٦٩ .

التأثير الاداري والسياسي :

من حسنات حكومة محمد علي ان مبادئها كانت نظاميه ومع ان النظام لم يطبق دائما تطبيقا عادلا نظرا لما تخلل اداره الحكومه من الاختلاط والفساد فانه وضع الاساس لترقيه الحكم بترقية القائمين به والشعب الخاضع له . ووزع السلطات الاداريه والقضائيه ، وقرر اختصاص كل منها بقدر الاستطاعه فأقام الحوائل دون الحكم المطلق الذي كان فيما مضى يمصد السلطه في الحاكم وحاشيته .

وجرى في اثناء ذلك تعيين عدد كبير من اهالي البلاد في المناصب المختلفه ، فتمرنوا على طرق الحكم الجديد (١) . والفيت مجالس المشوره من ابناء المدن فتعودوا على اداره بعض شؤونهم بنفوسهم وربطت اجراءاتهم بنظام معلوم فهذا التبديل في اداره البلاد ومد رواق المساواه فوق جميع ابناء الشعب الواحد المختلط في الاديان والمذاهب كان بمثابه مقدمه كخط كلخانه الذي اصدره السلطان عبد المجيد في تشرين ثاني سنه ١٨٣٩ ، ولما عقبه من التنظيمات الاصلاحيه التي حاول اسلافه ادخالها فلم يفلحوا (٢) .

وأكبر نجاح صادفته حكومه محمد علي في سوريه هو اقرار الامن في نصابه ففي عهد الحكومه العثمانيه السابق دخول ابراهيم باشا الى سوريه كان حبل الامن مضطربا في كل مكان وكان الاشقياء يعبثون فسادا حتى في البلاد الساحليه وعلى ابواب المدن . وكذلك الاماكن الواقعه على الطرق السلطانيه كما بين بيروت والشام التي كان من الواجب اقامه مخافر فيها لتأمين المواصلات كانت في ذلك العهد مكانا للصوص (٣) وكان المسافرون يضطرون الى السير جماعات وهم شاكو السلاح ليستطيعوا الدفاع عن انفسهم واموالهم وكان من منتهى الشجاعه ان يذهب الرجل وحده من بيروت الى الشام ومن ذلك نشأت الاغنيه المشهوره في جبل لبنان التي منها قولهم :

---

(١) ابو عز الدين : ١٣١ ، رستم تاريخ محمد علي : المقتطف مجلد ٣٠ : ١٠١ ،
Wilkinson, Vol,2, P 550.
(٢) مشاقه مخطوطه مشهد العيان : ٢٤٢ ، بركات : ١٤٢ ، نوفل مخطوطه كشف اللثام : ٤٩٢ ، ابو سمرا غانم : المصريون في سوريه ولبنان المشرق : ٣٠ : ٣٦٤ ،
(٣) رستم ، البطل الفاتح : ١٠٩ ، بشير ٢ : ١٠٠ ، محمد كرد علي : ٦٩ ، نقولا ابعاد : ٨٢ .

جوزك يا مليحـــــه راح عالشـــــام وحده

جوزك يا المليحـــــه بو زيد الهلالـــــي (١)

أما حكومة محمد علي فانها شددت النكيير على اصحاب الجرائم وانزلـــت بهم العقابات الصارمه ، وكان القاتل يقتل بدون تردد ولا امهال ، وجازت المجرميـن بالضرب الموجع ، وبزجهم في السجون المظلمه وتكليفهم القيام بالاشغال الشاقـــه وحافظت على طرق المواصلات محافظه دقيقه والقت على عواتق روؤساء القبائل و شيـوخ القبائل وشيوخ القرى تبعت ما يقع في دوائر نفوذها من الجنايات والسرقات التـي لا يكشف مقترفوها فكان اهل القريه او الناحيه يكلفون ايجاد او دفع ثمن مايســـرق او ينهب في ارضهم ، (٢) .

فهذه الاجراءات فكان بعضها لا ينطبق على العداله فانها لم تكـــــن مخالفه لروح وقتضيات ذلك الزمان كما انها جاءت بفوائد عامه تبررا تخاذهـــا فاستتب الامن في جميع انحاء البلاد وفيما عدا زمن الثورات . كادت حوادث القتـــل والسلب والسرقه ، تنقطع من البلاد .

أما جبل لبنان فلم تترك فيها حكومة محمد علي من حسن التأثير ما تركتـــه في سواه من البلاد السوريه فضل حلول تلك الحكومه في سوريه وكان الامن مستقـــرا في لبنان لان الامير بشير كان متصرفا بكليته الى ذلك وكانت هيبته في البـــلاد ملء الاسماع والابصار . غير ان الامير كان مستبدا وحكومة محمد علي لم تضعف استبداد(٣)

ولا أذهبت سيئات الحكم الاقطاعي وضغطه على الشعب اللبناني لان السلطه التي كانت لاصحاب المقاطعات الاصليين انتقلت الى ايدى ابناء الامير وحفدته واقاربـه ومريديه وهؤلاء كانوا يستمدون من الامير قوره ويكون الاقطاعيين الذين تقدموهم جـورا على الاهليين والذى ادى بلبنان الى هذا الموقف الشاذ هو ان الامير بشير خدم

---

(١) نقلا عن رستم بشير٢ : ١٠، محمد كرد علي : ٧٢.

(٢) ابو عزالدين : نقلا عن مذكرات ، تاريخيه : ٧٧ ، ٩٦،

Paton . Vol, 2. P.124.

(٣) مخطوطه مشاقه : ٢٥٤ ، Paton, VOl,2.P.119.

محمد كرد علي خطط الشام ج٣ : ٦٦ ، نقولا ابعاد : ٨٢.

حكومه محمد علي في سوريه ، خدما جليلا وكان اقدر اللبنانيين على تنفيذ مأرب محمد علي وابراهيم باشا في لبنان ، فنظر الى هذه الامور بعين المراعاه ولم تتعرض حكومه محمد علي للامير بشير في ادارة البلاد الداخليه ولا انشأت مجالس مشوره في لبنان كما فعلت في مدن سوريه فبقيت السلطه محصوره في شخص الامير بشير فازداد تمكنا من رقاب اللبنانيين واغتنم الفرصه السانحه فجمع ثروه طائله من اموالهم . هذا فضلا عن ان حكومه محمد علي رتبت على اللبنانيين نحو ثلاثه اضعاف ما كانوا يدفعونه للخزينه العثمانيه ، (١) .

ومن اشد مساوىء حكومه محمد علي في لبنان طعن الوطنيين اللبنانيين في صميمها ، بما زرعته من بذور التفريق بين المسيحيين والدروز(٢) .

وقد احدث النزاع بين الدوله العثمانيه ومحمد علي تطورا عظيما في المسأله الشرقيه فأبرز مطامع الدول الاوروبيه في تركيا وغيرها من بلاد الشرق فاشتدت المزاحمه مابين الروسيه والانكليز والافرنسيين فرجحت السياسه الانكليزيه في النهايه على سياسة سائر الدول لانها كانت اذا ناظرت الروسيه او فرنسا تمكنت من عزل مناظرتها والتحالف مع سواهما من الدول .

فحالت دون تحقيق اماني الروسيه في الاستانه والاناضول والبحر المتوسط وضربت السياسه الفرنسيه في الشرق ضربه قاسيه . وبما انها كانت ترمي بنوع خاص صيانه طريق الهند من سطوه كل متغلب على مصر وسوريه بادرت الى احتلال مواقع ذات اهميه حربيه في البحر الاحمر وخليج العجم اشهرها بوغاز باب المندب واخذت في درس المشاريع التي تكثر وتؤمن مصالحها الواقعه في طريقها الهنديه من البحر المتوسط الى الخليج العجمي كوصل نهر العاصي بنهر الفرات وانشاء مواصلات مائيه ما بين مصب النهرين والنزول في جزيرة قبرص وجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود .

والخلاصه ان الغنم كله من المسأله السوريه كان لانكلترا ، اما الدولة العثمانيه صاحبة البلاد فكان نزاعها مع تابعها سببا لفقدان استقلالها السياسي اذ اصبحت دول اوروبا العظمى من ذلك الوقت اوصياء عليها .

---

(١) اخبار الاعيان : ٥٩٠ — ٥٩٤ ، ابو عز الدين : ٢٦١ .
(٢) مخطوطه مشاقه : ٢٩٣ .

المراجع

أولا : المخطوطات ،

١ـ ابكاريوس (اسكندر بك) ـ كتاب نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان ـ مخطوط ، بمكتبة الجامعة الاردنيه ـ رقم ٥٧ ـ حققه عيسى اسكندر المعلوف ١٩٢٢ .

٢ـ الدمشقي (ميخائيل) ـ تاريخ حوادث وقعت بالشام وجبل لبنان ـ مخطوط ، بمكتبة الجامعة الاردنيه ـ رقم ٥٧ ـ حوادث سنه ١٨٤٠ ـ ص١٠- ص٩٠ .

٣ـ مشاقه (ميخائيل) ـ مشهد العيان بحوادث سوريه ولبنان ـ مخطوط بمكتبة الجامعة الاردنيه :ـ رقم ٥٦ .

٤ـ المعلوف (عيسى اسكندر) ـ ابراهيم باشا المصري في حوران ووادي التيم ـ مخطوط ـ بمكتبة الجامعة الاردنيه ـ رقم ٢ .

٥ـ المعلوف (عيسى اسكندر) ـ تاريخ حوادث جبل لبنان ـ مخطوط بمكتبة الجامعة الاردنيه ـ رقم ٥٦ .

٦ـ المعلوف (عيسى اسكندر) ـ تنهدات سوريه ـ مخطوط بمكتبة الجامعة الاردنيه تحت رقم ٥٧ ـ مكتبة عيسى اسكندر المعلوف وأولاده ـ آذار ١٩٢١ .

٧ـ نوفل (نوفل) ـ كشف اللثام عن محيا الحكومه والحكام ـ مخطوط بمكتبة الجامعة الاردنيه ـ رقم ٥٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

المصادر العربية

ثانيا : المصادر العربيه ،

١ـ ابكاريوس (اسكندر) ـ المناقب الابراهيميه والمآثر الخديويه ـ حمص ـ ١٩١٠ .

٢ـ الايوبي (الياس) ـ محمد علي سيرته وآثاره واعماله ـ دار الهلال ـ مصر ـ ١٩٢٣ .

٣ـ باز (رستم) ـ مذكرات رستم باز ـ طبعة افرام البستاني ـ منشورات الجامعة الاردنيه ـ ١٩٥٥ .

٤ـ بركات داود ـ البطل الفاتح ابراهيم باشا وفتحه للشام ـ القاهره ـ ١٩٣٢ .

٥- بروكلمان (كارل) - تاريخ الشعوب الاسلاميه - الاسلام في القرن التاسع عشر - عربه نبيه ابو فارس ومنير البعلبكي - اربع اجزاء - الطبعة الاولى - دار العلم - بيروت - ١٩٥٠ .

٦- بولس (جواد) - لبنان والبلدان المجاورة - الطبعة الثانيه - مؤسسة بدران وشركاه - للطباعه والنشر - بيروت - ١٩٧٣ .

٧- بولس (جواد) - تاريخ لبنان - بيروت - دار النهار - ١٩٧٢ .

٨- بيركهارت - رحلة في سوريه الجنوبيه - ترجمة انور عرفات - عمان - ١٩٦٩ .

٩- البيطار (عبدالرزاق) - حليه البشر في تاريخ القرن الثالث عشر - تحقيق محمد بهجت البيطار - مطبوعات مجمع اللغة العربيه - دمشق - ١٩٦١ .

١٠- توتل (فرديناند) - وثائق تاريخيه عن حلب - المطبعة الكاثوليكيه - جزئان - ١٩٦٢ .

١١- الجبرتي (عبدالرحمن) - عجائب الاثار في التراجم والاخبار - ٤ أجزاء - بولاق - ١٨١٢ .

١٢- جلال (يحيى) - مصر الحديثه - منشأة المعارف الاسكندريه - ١٩٦٩ .

١٣- حتي (فليب) تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين - ترجمة كمال اليازجي - جزئان - مؤسسة فرانكلين - بيروت - ١٩٥١ .

١٤- حتي (فليب) - تاريخ لبنان منذ اقدم العصور التاريخيه الى عصرنا الحاضر ترجمة انيس فريحه - مراجعة نقولا زيادة - بيروت - دار الثقافة - ١٩٥٢ .

١٥- حتي (فليب) - لبنان في التاريخ - ترجمة انيس فريحه - بيروت - دار الثقافة - ١٩٥٩ .

١٦- حراز (سيد رجب) - المدخل الى تاريخ مصر الحديثه من الفتح العثماني الى الاحتلال البريطاني - (١٥١٧-١٨٨٢) - دار النهضة العربيه - ١٩٧٠

١٧- الحصري (ساطع) - البلاد العربيه والدوله العثمانيه - بيروت - ١٩٥٩ .

١٨- الحصيني (محمد اديب آل تقي الدين) - كتاب منتخبات التواريخ لدمشق - ٣ أجزاء - دمشق - ١٩٢٧ .

- ت -

٢١- الحلبي (محمد راغب) - اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء - ٣ أجزاء - الطبعة الاولى - المطبعة العلميه - بحلب - ١٩٢٥ .

٢٢- الدبس (المطران يوسف) - تاريخ سوريه - ٨ مجلدات - بيروت - ١٩٠٣ .

٢٣- الرافعي (عبدالرحمن) - عصر محمد علي - مطبعة الفكره - الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٩٥١ .

٢٤- رافق (عبدالكريم رافق) - بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت - (١٥١٦-١٧٩٨) - الطبعة الثانيه - ١٩٦٨ .

٢٥- الراميني (اكرم) - نابلس في القرن التاسع عشر - رسالة ماجستير سنه ١٩٧٧ ، في قسم التاريخ - كلية الاداب - الجامعة الاردنيه - مع بعض التصاوير لسجلات المحاكم الشرعيه في نابلس في مركز الوثائق بالجامعة .

٢٦- رستم (اسد) - الاصول العربيه لتاريخ سوريه في عهد محمد علي باشا - ٥ أجزاء في ٤ أجزاء - الجامعة الامريكيه في بيروت - منشورات كلية العلوم والاداب (١٩٣٠-١٩٣٤) .

٢٧- رستم (أسد) - محفوظات الملكيه المصريه - (بيان بوثائق الشام) - ٤ مجلدات - بيروت - (١٩٤٠-١٩٤٣) .

٢٨- رستم (اسد) - بشير بين السلطان والعزيز - (١٨٠٤-١٨٤١) - جزئان بيروت - ١٩٥٦ .

٢٩- رستم (اسد) - ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا - (١٨٤٨-١٩٤٨) - مجموعة ابحاث ودراسات لتاريخه تنشرها الجمعية الملكيه للدراسات التاريخيه بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته - مطبعة دار الكتب المصريه - القاهره - ١٩٤٨ .

٣٠- رفعت (محمد) تاريخ مصر السياسي - القاهرة - ١٩٢٠ .

٣١- زياده (نيقولا) - ابعاد التاريخ اللبناني الحديث - قسم البحوث والدراسات التاريخيه والجغرافيه - ١٩٧٢ .

٣٢- زيدان (جورجي) - تاريخ مصر الحديث - الجزء الاول - مطبعة المقتطف - مصر - ١٨٨٩ .

٣٣- زيدان (جورجي) - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر - القاهره - ١٩٠٢ .

٣٢- سركيس (خليل) ـ تاريخ القدس ـ بيروت ـ ١٨٧٤ .

٣٣- سعيد (أمين) ـ تاريخ مصر السياسي منذ الحملة الفرنسيه حتى سقوط الملكيه- طبع بدار احياء الكتب العربيه ـ عيسى الحلبي وشركاه ـ ١٩٥٩ .

٣٤- الشدياق (طنوس) ـ اخبار الاعيان في جبل لبنان ـ جزئان ـ بيروت ـ ١٩٧٠ .

٣٥- شكرى (محمد فؤاد) ـ بناء دولة مصر محمد علي ـ (السياسه الداخليه) ـ الطبعة الاولى ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٤٨ .

٣٦- شكرى (محمد فؤاد) ـ مصر في مطلع القرن التاسع عشر ـ ٣ أجزاء ـ مطبعة جامعة القاهرة ـ ١٩٥٨ .

٣٧- الشطي (محمد جميل) ـ روض البشر في اعيان القرن الثالث عشر ـ مطبعة دار اليقظه العربيه ـ دمشق ـ ١٩٦٣ .

٣٨- الشهابي (احمد) ـ لبنان في عهد الامراء الشهابيين ـ ٣ أجزاء عني بطبعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع مقدمته وفهارسه اسد رستم وفؤاد البستاني ـ بيروت ـ ١٩٦٩ .

٣٩- الصليبي (كمال الدين) ـ تاريخ لبنان الحديث ـ دار النشر ـ الطبعة الثانيه بيروت ـ ١٩٧٠ .

٤٠- الطباخ (راغب) ـ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ـ ٧ أجزاء ـ حلب (١٩٢٣-١٩٢٦) .

٤١- طوسون (عمر) ـ صفحه من تاريخ مصر في عهد محمد علي ـ (الجيش المصرى البحرى والبرى ـ دار الكتب ـ القاهره ـ ١٩٤٠ .

٤٢- العارف (عارف) ـ المفصل في تاريخ القدس ـ القدس ـ ١٩٦١ .

٤٣- العطار (نادر) ـ تاريخ سوريه في العصور الحديثه ـ دمشق ـ بدون ذكر سنة الطبع .

٤٤- علي (محمد كرد) ـ خطط الشام ـ ٤ اجزاء ـ دمشق ـ (١٩٢٥-١٩٢٨) .

٤٥- عوض (عبدالعزيز) ـ الادارة العثمانيه في ولايه سوريه ـ القاهره ـ ١٩٦٦ .

٤٦- غرايبه (عبدالكريم) ـ سوريه في القرن التاسع عشر ـ دار الجيل للطباعة ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ .

٤٧- الغزي (كامل) — نهر الذهب في تاريخ حلب - ٣ اجزاء — حلب (١٩٢٢— ١٩٢٦) .

٤٨- فائز (خليل همام) — ابو سمرا غانم او البطل اللبنانين — مصر —١٩٠٥ .

٤٩- فرحات (اديب) — مختصر تاريخ سوريه ولبنان - صيدا — ١٩٢٤ .

٥٠- فريد (محمد) — البهجه التوفيقيه في تاريخ مؤسس العائله الخديويه — القاهره — ١٣٠٨ هـ .

٥١- قرألي (الخوري بولس) — فتوحات ابراهيم باشا في فلسطين ولبنان وسوريه — نقلاعن تقارير انطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا ، ١٨٣١ — ١٨٤١) — . مطبعة العلم بيت شباب — ١٩٣٧ .

٥٢- القساطلي (نعمان يوسف الدمشقي) — الروضه غناء في دمشق — المطبعة الامريكيه — ١٨٧٩ .

٥٣- كامل (مصطفى) — المسألة الشرقيه — المطبعة الثانيه — الجزء الاول — القاهره مطبعة اللواء — ١٩٠٦ .

٥٤- كربتيس (ببيير) — ابراهيم باشا ترجمة محمد بدران — مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر — القاهرة — ١٩٣٧ .

٥٥- كيرك (جون) — موجز تاريخ الشرق الاوسط ترجمة - عمر الاسكندراني وسليم حسن بيروت — ١٩٥٧ .

٥٦- لتشوفسكي (جورج) — الشرق الاوسط في الشؤون العالميه — الطبعة الثانيه — ترجمة جعفر الخياط — العراق — ١٩٥٦ .

٥٧- لوتسكي — تاريخ الاقطار العربيه الحديث — ترجمة عفيفه البستاني — موسكو — ١٩٧١ .

٥٨- مشاقه (ميخائيل) — تاريخ حوادث الشام تحقيق الاب يوسف معلوف — بيروت — ١٩١٢ .

٥٩- المعلوف (عيسى اسكندر) — دواني القطوف في تاريخ بني معلوف — بعبدا — الطبعة الثانيه — (١٩٠٧ —١٩٠٨) .

٦٠- مؤنس (حسين) ـ الشرق الاسلامي في العصر الحديث ـ الطبعة الثانية ـ القاهره ـ المطبعة التجاريه ـ الكبرى ـ ١٩٣٨ .

٦١- النمر (احسان) ـ تاريخ جبل نابلس والبلقاء ـ ٣ اجزاء ـ دمشق ـ ١٩٣٨ .

٦٢- نوار (عبدالعزيز سليمان) ـ وثائق اساسيه من تاريخ لبنان الحديث ـ (١٥١٧ ـ ١٩٢٠) ـ بيروت ـ ١٩٧١ .

٦٣- هملتون وهارلود (جب وبون) ـ المجتمع الاسلامي والغرب ـ جزئان ـ ترجمة احمد عبدالرحيم مصطفى ـ مصر ـ ١٩٧١ .

٦٤- هنتس (فالتلر) المكاييل والاوزان الاسلاميه وما يعادلها في النظام المترى ـ ترجمة كامل العسلي ـ منشورات الجامعة الاردنيه ـ عمان ـ ١٩٧٠ .

٦٥- ينى (جرجي) ـ تاريخ سوريه ـ بيروت ـ ١٨٨١ .

٦٦- مؤلف مجهول حسر اللثام عن نكبات الشام ـ مصر ـ ١٨٩٥ .

٦٧- احد الاباء اليسوعيين ـ مختصر تاريخ سوريه ولبنان ـ المطبعة الكاثوليكيه ـ بيروت ـ ١٩٣٤ .

الدوريـــات والمقالات

ثالثا : الدوريات

١- بك (كلوت) ـ مقاله عن الصحه في الشام ايام ابراهيم باشا ـ (الحمى المتقطعه في سوريه) ـ صفحه ١٣١ ـ ص١٣٧ ـ مجلة الكليه ـ عدد ١٥ ، سنه ١٩١٢ .

٢- الجميل (امين) ـ الطب في البلاد قبل مئه سنه مجلة المشرق ـ عدد ٢٧ ص٢٧١ ، ص ٣٦٠ سنه ١٩٢٩ .

٣- الدمشقي (ميخائيل) ـ تاريخ حوادث الشام ولبنان ـ مجلة المشرق ـ عدد ٣٠ ، عني بنشره الاب لويس معلوف ـ سنه ١٩١٢ ، ص٥٧٧ ـ ص٥٨٩ .

٤- دوسوكو (غوستون) ـ تاريخ الحرير في بلاد الشام ـ مجلة المشرق ـ عدد ١٥ ، ص٣٧٥ ، ص٣٧٥ ـ ٨١٣ . سنه ١٩١٢ .

٥- رستم (اسد) - القوميه العربيه منذ مئه عام - مجلة الكليه - عدد ١٥ ص٣٨، سنه ١٩٢٨ .

٦- رستم (اسد) - محمد علي باشا والسلطان محمود والنزاع بينهما - مجلة المقتطف عدد ٦٦، ٦٧ ، - سنه ١٩٢٥ - ص٥٣٩، ص٥٤٠ .

٧- رستم (اسد) - دمشق . تتقرب الى عكا - مجلة الكليه - عدد ١٥ - ص٣٨٤ سنه ١٩٢٨ .

٨- رستم (اسد) - الاصول العربيه لتاريخ سوريه - (١) مجلة الكليه - عدد ٤ - ص١٢٧ (٢) مجلة المقتطف - مجلد ٨٤ - ص١١٥ - سنه ١٩٢٧ .

٩- رستم (اسد) - بشائر الفتح المصرى لعكا - مجلة الكليه - عدد ١٦ - ص٣٣ سنه ١٩٢٩ .

١٠- رستم (اسد) - تاريخ ابراهيم باشا - مجلة المقتطف - عدد ٦٧ - سنه ١٩٢٥ .

١١- رستم (اسد) - صفحه جديده من تاريخ الثورة الدرزيه - سنه ١٨٣٤ - سنه ١٨٣٥ - مجلة المشرق - عدد ٣٥ - سنه ١٩٣٧ - ص ٤٧٥ - ص٤٩٠ .

١٢- رستم (اسد) - بيروت في عهد ابراهيم باشا واعمال الامير نامي بك فيها - مجلة الكليه عدد ١٣ - ص ١٢٤ .

١٣- رستم (اسد) - تاريخ محمد علي باشا - مجلة المقتطف - عدد ٣٠ - سنه ١٩٠٥ - ص ٥٢١، ص ٦٣٧، ص٧٩٦ ، ص٩٠١ ، ص١١٧٤ .

١٤- رستم (اسد) - عبدالله باشا يبسط قضيته - مجلة الكليه - عدد ١٥ - ص٣٠٥ . سنه ١٩٢٨ .

١٥- رستم (اسد) - اسباب الحمله المصريه على سوريه - (١٨٣١ - ١٨٤١) - مجلة المقتطف - عدد ٨٩ - ص ٢٤٩ - ص ٢٥٦ ، سنه ١٩٣٦ .

١٦- رستم (اسد) - القضاء في بيروت قبل مائه سنه - مجلة المشرق - مجلد ٣١ - ص٤٠١ - ص ٤٣٥ ، سنه ١٩٣٣ .

١٧- شبلي (ميشال) - نزوح الامير بشير - سنه ١٨٢٢ - مجلة المشرق - عدد ٤٥ - سنه ١٩٥١ ، - ص٢١٩ - ص ٢٢٤ .

١٨- عبدالكريم (احمد عزت) - التقسيم الادارى في العهد العثماني - مجلة كليـة الاداب - جامعة القاهره - الجزء الثاني - سنه١٩٥٣ .

١٩- ابو عز الدين (سليمان بك) — ابراهيم باشا في سوريه — مجلة المشرق — مجلد ٥٧ — ص ٢٢٦، سنه ١٩٦٢ .

٢٠- ابو عز الدين (سليمان بك) — موقعة بحر صاف — مجله الكليه — عدد ١٥ — ص ٢٧٥ ، سنه ١٩٢٨ .

٢١- ابو عز الدين (سليمان بك) — حروب ابراهيم باشا ودروز حوران — مجلة المقتطف — مجلد ٦٩ ، — ص ١٦٤ .

٢٢- ابو عز الدين (سليمان بك) — نزول الدروز الى حوران وحروبهم ضد ابراهيم باشا — مجلة المقتطف — مجلد ٦٨ ، — ص ٥٥٦ — سنه ١٩٢٦ .

٢٣- العينطوري (انطونيوس ابي خطار) — كتاب مختصر جبل لبنان — مجلة المشرق — عدد ٤٧ — سنه ١٩٥٣ — من ص ٢٦ — ص ٦٤ .

٢٤- غانم (ابو سمرا) — المصريون في سوريه ولبنان قبل مائه سنه — مجلة المشرق — عدد ٣٠ — سنه ١٩٣٢ ، ص ٣٥٨ — ص ٣٦٤ .

٢٥- قسطنطين الباشا (الاب) — صفحه مجهوله من تاريخ محمد علي باشا في سوريه — مجلة الكليه — العدد ١٦ .

٢٦ — كرامه (بطرس) — شذرات عن ابراهيم باشا المصرى — مجلة المقتطف — المجلد ٦٨ — من ص ٥٣ — ص ٥٦ — سنه ١٩٢٦ .

٢٧- مشاقه (ميخائيل) — تاريخ محمد علي باشا — مجلة المقتطف — القسم الثاني — مجلد ٣٠ — سنه ١٩٠٥ — ص ٧٦٦ فما بعد .

٢٨- المعلوف (عيسى اسكندر) — الصناعه في لبنان وصناعة سكب الاجراس — مجله المشرق — عدد ٨ ، ص ٣٠٢ — ص ٣٠٧ — سنه ١٩٠٥ .

٢٩- المعلوف (عيسى اسكندر) — الروابط التاريخيه بين مصر وسوريه — مجلة عدد ٧١ — ص ٣٦٦ — سنه ١٩٢٧ .

٣٠- المعلوف (عيسى اسكندر) — شذرات عن ابراهيم باشا — مجلة المقتطف — عدد ٦٨ — ص ٥٣ — سنه ١٩٢٣ .

٣١- المعلوف (عيسى اسكندر) — حروب ابراهيم باشا ودروز حوران — مجلة المقتطف — عدد ٦٨ — ص ٥٦٦ — سنه ١٩٢٣ .

٣٢- المغربي (عبد القادر) — يهود الشام منذ مائه عام — مجلة مجمع العلمي في دمشق — المجلد الاول — ١٩٢١ ، ص ٦٤١—ص ٦٥٢ .

٣٣- مكاريوس (شاهين) — في الصناعه عموما وصناعه السوريين خصوصا — مجلة المقتطف — عدد ٨ — السنه الثانيه — ص ٦٥٠ — سنه ١٨٨٣ .

٣٤- نوفل (نوفل الطرابلسي) — كشف اللثام عن محيا الحكومه والحكام في اقليمي بر مصر والشام — الخ . مجلة الكليه — عدد ١٣ — ص ٤٢ .

٣٥- اليسوعي (لويس شيخو) — نبذه مختصره في حوادث لبنان والشام — (١٨٤٠ — ١٨٦٢) — مجلة المشرق — مجلد ٢٤ — سنه ١٩٢٤ ، ص ١٠٨ فما بعد .

٣٦- اليسوعي (لويس شيخو) — بيروت اخبارها واثارها — مجلة المشرق — عدد ٢٤ — ص ٣٦٤ — ص ٣٦٧ . سنه ١٩٢٦ .

٣٧- اليسوعي (الاب هنري لامنس) — المعادن في لبنان — مجلة المشرق — عدد ٨ — ص ٣٤٨ ، ص ٨٩١ ، ص ٩٤٢ ، . سنه ١٩٠٥ .

٣٨ - اليسوعي (الاب هنري لامنس) — ابراهيم باشا في سوريه — مجلة المشرق — عدد ٢٧ — سنه ١٩٢٦ من ص ٩٢٠ — ص ٩٢٤ .

٣٩ - اليسوعي (الاب هنري لامنس) - صناعة الحرير في دمشق — مجلة المشرق — عدد ٢٠ — من ص ٣٤٨ - ص ٣٥٠ ، سنه ١٩٢٢ .

٤٠- مصر والشام منذ مائه عام — مجلة المقتطف — ٤١ — سنه ١٩١٤ — من ص ١٤٠ — ص ١٤٨ .

٤١ - مجلة المقتطف - الامير بشير الشهابي — عدد ٢٩ — ص ٤٥ — ص ١٤٤ ، ص ٢٤٣ ، سنه ١٩٠٤ .

- ر -

رابعا - المصادر الاجنبيـــــــــة

1- Barker. Jhon, Seryia And Egypt Under the last Five Sultan of Turkey , 2 vols, lond, 1876

2- st Jhon, A.S. Egypt And Mohamed Ali, vol,2, lond, 1834

3- Kelly, walter: Syria And the Holy Land, Their Scenery, And Their people london 1844

4- Mao'z, Moshe Ottoman Reform In Syria And palestine 1840-1861 london 1968.

5- Paton .A.A. History of Egyption Revolution etc,2vol,lond, 1870

6- Rustum.A.J- Materials For Corpus of Arabic Documents Relating to the History of Syria Under Mehemdd Ali Pasha-
American, unive Beirut - Vol-1-,1930-1934

7- Rustum.A.J. The Straggle of Mehemed Ali Pasha with sultan Mahmud II And Some of Its Geographical Aspdcts Nots prepared For the International Georgraphical Congres at cairo Berut 1926.

8- Rustum.A.J. The Origins of the Egyptian Expedition to Syria, Beirut, 1936

9- Rustum.A.J. The Disturbances In Palestine in 1834, Beirut, 1938

10- Wilkinson.J.G. Modern Egypt the b.s . vol,II, Lond. 1834

The Egyptian Rule in Syria

1831 - 1840

This research consists of five parts. The first one talks about the Egyptian pre occupation to syria. Besides that, I talk in details about religions, communities, inhabitants and the internal cirumstances in syria. In this part also I try to display fully the reasons that stand behind Mohamed Ali's relationships with syria before the occupation and his attempts to connect with the syrian leaders so as to stregthen biliteral relations between the two sides. I explain eventually the direct and indirect reasons that make Moh'd Ali direct acapaign so as to capture syria.

The second part gives the reader a clear picture about the military campaign that Moh'd Ali waged against syria, in addition to the a dministratine division and the judgement system in syria. Then I talk about finances in syria I explain the sorts of taxes which were found before the coming of the Egyptions and spread through syria during their rule. The social and economical lives are covered completely in this section.

Following this, I explain- in the third part-the reasons which stand behind groaning of people in syria that make them rebel against the government. I also discuss the administration, the maltrea tment of subjects, blookshed

and establishing of off-lionces. I also explain other matters such as Al-Miri, the exceptional taxes, Al-Fardah, Al Swkhrah, getting tip, monopoly, expropriation, fisingprices, conscriptian and disarmmement in syria and Lebanon (1834-1837).

Part four:

This part takes about the different kinds of rebillions on Mohammad Alis government in 1634 and the palastinians rebillions which extended from April 1834 to August 1834.

During this Period There were also many disturbances that took place in Al-Sham , Tarablus, Akar, Safeeta, and Al-H usun in May, Jone, July, and August respectivelly, Addel to the rebellion of Alnosuriah and other two small ones in the north part of syria, Halab and Antakia, There was also anotable rebellion was executed by the Drus Huran in november 1837. to August 1838.

Part five :

The seoond syrian was.

This part Contains on the period between the bettle of Kotahiah to the bettle of Nassebein during 1833-1838. it alsotalkes about the precedding, mentional bettle and the political situation after that date. The same part also talkes about the lybanon's rebellion in 1840, the Eropian interference Ebrahim's Bash Withdrawer from syria and the effect of Muhamad Alis government on syria.